الحنين والغربة
في الشعر العربي

الحنين إلى الأوطان

الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري

عميد البحث العلمي
جامعة إربد الأهلية - الأردن

الحنين والغربة
في الشعر العربي
الحنين إلى الأوطان

الحنين والغربة
في الشعر العربي
الحنين إلى الأوطان

الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري

عميد البحث العلمي
جامعة إربد الأهلية - الأردن

حقوق التأليف محفوظة، ولا يجوز إعادة طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه على أية هيئة أو بأية وسيلة إلا بإذن كتابي من الناشر.

الطبعة الأولى

1428هـ - 2008م

المملكة الأردنية الهاشمية رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2007/7/1959)

811.9
الجبوري، يحيى
الحنين والغربة في الشعر العربي: الحنين إلى الأوطان/
يحيى وهيب الجبوري.- عمان: دار مجدلاوي، 2007
( ) ص.
ر.أ: (2007/7/1959)
الوصفات: /الشعر العربي//العصر الحديث//النقد الأدبي//
التحليل الأدبي/

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

ISBN 978-9957-02-301-0 (ردمك)

Dar Majdalawi Pub.& Dis.
Telefax: 5349497 - 5349499
P.O.Box: 1758 Code 11941
Amman- Jordan

دار مجدلاوي للنشر والتوزيع
تيلفاكس : ٥٣٤٩٤٩٧ - ٥٣٤٩٤٩٩
ص.ب ١٧٥٨ الرمز ١١٩٤١
عمان - الاردن

www.majdalawibooks.com
E -mail: customer@majdalawibooks.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار الناشره.

المقدمة

الحنين إلى الأوطان غريزة في النفوس سواء أكان عند الإنسان أم الحيوان، يتجلى ذلك في حنين الإبل إلى أوطانها ومعاطنها، وحنين الطير إلى عشه مهما أُخذ وبُعِد به، يعود إلى وكره قاطعاً مئات الأميال بل الآلاف حتى يجد قرارة نفسه في وطنه، وكذلك يقال في بقية الحيوانات، كالقطط والكلاب، والكلاب أشد حنيناً ووفاء من بقية الحيوان، فإذا كان هذا حنين الحيوان فكيف لا يحن الإنسان إلى أرضه ووطنه مهما عاش في حرمان وبؤس، وعانى من الظلم والجوع والفاقة، وخير دليل على ذلك هؤلاء المهاجرون إلى بلاد الدنيا الجديدة، وقد كسبوا المال والجاه والترف، ولكنهم يحنون أبداً إلى أوطانهم، ويتحسرون على ما يجري فيها من مصائب وضيم ونكبات وعدوان، وفي الآيات الكريمة دلالة على حب الناس لأوطانهم ولو قتلوا في سبيلها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ (النساء 66) وفي الحديث النبوي: (حب الأوطان من الإيمان)،وكان رسول الله ﷺ يحن إلى مكة وطنه، فكان إذا جاء أحد منها يسأله عنها فتغرورق عيناه بالدموع، وكذلك كان الصحابة يحنون إلى ديارهم، ولزوم الأوطان غبطة،قيل لبعض الأعراب: «ما الغبطة ؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان، قيل فما الذلة ؟ قال: التنقل في البلدان، والتنحي عن الأوطان»، ولمكانة الوطن في نفوس الناس فقد ألف المؤلفون في التراث العربي أكثر من ستة عشر كتاباً وصل بعضها.

والحنين إلى الأوطان ظاهرة إنسانية عامة في نفوس البشر، وإن كان حب الأوطان عند العرب أكثر وضوحاً لأن الشعر سجل هذه الظاهرة، منذ الجاهلية وحتى العصر الحديث، مع اختلاف يسير فيما بين البدوي والحضري، وللوطن في كل بيئة أثر واضح في سلوك الإنسان وتفكيره ومظهره من حيث الملبس والمأكل والطباع والعادات

والمُثُل العليا، ولكل شعب صفاته وعاداته ومثله، ولذلك فمن الجور على المنهج أن تطبق النظريات الغربية في الحنين إلى الأوطان، والغربة والاغتراب على المجتمعات العربية، حيث كثر التأليف في هذا العصر وأسبغوا النظريات الأوربية على المجتمعات العربية، مع الاختلاف الكبير في الحياة والتفكير والعادات والمثل والمعتقد.وإذا كنا نستأنس ببعض الأفكار، فهذا لايعني تطبيقها بحذافيرها على مجتمعاتنا العربية، وتناولت هذه الدراسة الحنين والغربة في الحياة العربية والإسلامية منذ العصر الجاهلي حتى العصور المتأخرة، ولم نتناول الغربة في الشعر الحديث، فقد كثر دارسوه، إلا ما يخص العراق وبغداد خاصة من حنين المغتربين والمحبين، وكان دليلنا في كل ذلك ما ضفرنا به من النصوص الشعرية أولاً والنثرية ثانياً.

وقد قامت الدراسة في هذا الكتاب على موضوعات وقفنا عندها ودرسنا ظواهرها ومعطياتها، تتمثل في:

الوقوف عند موضوع الحنين والغربة وآراء القدامى في المعنى والمدلول، وتعرفنا على المؤلفات التي تناولت الحنين إلى الأوطان،ومفهوم الغربة والاغتراب ومظاهرهما على مدى العصور من الجاهلية حتى العصور المتأخرة، ودرسنا الغربة ودواعيها في كل عصر ومدى المعاناة التي مثلها الشعراء، وخاصة الصعاليك الذين كانوا يعانون من غربة اللون والانتماء ورفض المجتمع للصوص والخلعاء، وهناك من الشعراء من عبر عن غربته ولوعته عند الموت سواء أكان بين أهله وقومه أو كان غريباً أدركه الموت، أو غريباً في الأسفار والحروب، وقد تميزت قسوة الاغتراب لدى الجند الفاتح في ديار الأعاجم، حين تطول الأيام والشهور أو تنقطع بهم السُّبل،وكان للمرأة دورها في معاناة الحنين وقسوة الغربة حين تتزوج في غير قبيلتها أو يرحل عنها زوجها، وتتغير أحوالها بين حياة البادية والحاضرة، فتكثر وحشتها ويزداد حنينها إلى البادية.

وكان للظلم السياسي والاقتصادي الذي يفرضه السلاطين والولاة على القبائل أو الأحزاب أن ظهرت آثاره في شعر الشعراء وكثر التذمر والشكوى.ووقفت الدراسة عند كل شاعر من

الشعراء الذين عانوا من الحنين والغربة في شعرهم مع بيان الحالات والظروف التي كان يقاسيها كل شاعر وتميزه عن الآخرين،في كل عصر وخاصة في العصرين الأموي والعباسي.

ووقفت الدراسة عند ظاهرة المغتربين الذين نأوا عن ديارهم لسبب ما، وصاروا يحنون إلى أوطانهم ويشكون من قسوة الاغتراب، فعبروا عن مكنونات صدورهم بكتابة الأشعار والأقوال على الأبنية والجدران، في ديار الغربة، تنفيساً عما يعانونه من شوق وحنين وهَمٍّ دفين.

ورأينا أنَّ هناك تميزاً وخصوصية للغربة في التراث الإسلامي، فوقفنا عند مفهوم الغربة في الإسلام، والمؤلفات التي كتبت من الوجهة الإسلامية في مفهوم الغربة، وكان لأبي حيان التوحيدي تميُّز وخصوصية في إحساسه بالغربة في مجتمعه، وقد أدى ذلك إلى أن أحرق كتبه، وظهرت آراؤه وأفكاره في كتابه الإشارات الإلهية الذي اقتبسنا بعضاً من نصوصه.

وبالعودة إلى الحياة والطبيعة وجدنا أن هناك مثيرات للحنين والغربة تثير الشعراء وتستدر أشعارهم، من ذلك دموع العين، والريح التي تهب من جهة الأهل والوطن فتثير الحنين، وكذلك البرق الذي يلمع في السماء من جهة الأهل والأوطان ونجوم السماء التي يتأمل فيها الغريب فتذكره بقومه وأحبابه، حيث تلتقي عندها نظراته بنظرات الحبيب، أما الحمام فهديله نواحاً يتعب الغريب ويثير أشجانه فيشاركه في البكاء والشجن ومثلما يحن الإنسان الغريب، فكذلك تحن الإبل إلى أوطانها وتتجه بأنظارها نحو ديار أهلها فتثير في نفس صاحبها ما يكبت من الوجد والشوق وكان للنخلة في بلاد الغربة الأثر الكبير في آثاره الحنين إلى الأوطان، وقد تميزت بعض النخلات في مواضع من البلاد التي يقل فيها النخل فتذكّر المغتربين بأوطانهم، وقد اشتهرت بعض النخلات ودارت حولها أحداث وقصص وأشعار من ذلك نخلات مرّن وكرمان ونخله الرصافة بالأندلس التي أثارت حنين عبدالرحمن الداخل فكان يناجيها في شعر رقيق، وتغنى الشعراء بنخلتي حلون وأثيرت حولها قصص وأشعار من قبل الخلفاء والشعراء.

وكان للمكان نصيب وافر في شعر الشعراء، وحضي نجد بمكانة كبيرة متميزة في قلوب الشعراء فتغنوا بالأرض والطبيعة ومحاسن النساء وعبروا عن حنينهم وأشواقهم

إلى تلك الديار، وكثرت الأشعار في ذكر نجد والحجاز وخاصة في شعر الصمة القشيري ويزيد من الطثرية، والأبيوردي والشريف والرضي، والطغرائي، وأسامة بن منقذ وقد عرضنا لهذه الأشعار ودوناها اعتزازاً بما تمثله من شوق وحنين.

وكانت خاتمة المطاف ما جاء من الحنين والشوق إلى العراق بلد الحضارة والترف والغنى، وما تميزت بها بغداد من محاسن، فحن إليها الشعراء على مدى العصور منذ العصر العباسي وحتى العصر الحديث، وقد تناول الشعراء حضارة بغداد وجمال مدنها وأنهارها وما فيها من رقة وترف وغنى، وما كان فيها من جالس للشعر وجمال الصبايا والنساء، وما نزل بها من مآس وأحداث وبلايا على مر العصور.

ولم يقتصر الحنين إلى بغداد ووصف مغانيها على شعراء العراق وحسب، بل تناول كثرة من شعراء الأقطار العربية معالم بغداد وحضارتها،و التغني بجمالها وأمجادها، ومن هؤلاء الشعراء،أعلام من أدباء الأمة ونوابغها وشعرائها المبدعين.

وكان للأحداث الكثيرة السارة والمحزنة التي نزلت ببغداد الأثر في كثرة شعر الشعراء والوفود التي كانت تفد إلى بغداد في المناسبات الوطنية والأدبية، وما زالت إلى عهد قريب، قبل طامة الاحتلال الذي قدم من وراء البحار، والحقد الأسود الذي تسلل إليها من شرقي البلاد وغربيها، فظللت بغدادَ غمامة بغيضة كلها سواد وظلم وحقد وخراب ودماء.

نسأل الله سبحانه الفرج بعد الغمة وانبلاج نور الفجر بعد الليل الدامي الطويل، إنه سميع مجيب.

يحيى الجبوري
30 محرم 1428هـ
18 شباط 2007م

العنوان
ص ب 150519 الرمز البريدي 211/41
هاتف- فاكس 7251193 المفتاح الدولي 009622
المحمول: 0785250227
البريد الإلكتروني:yahia_al_jubouri@yahoo.com
إربد- الأردن

ممهدات

الحنين إلى الأوطان

الحنين إلى الأوطان طبيعة في النفس البشرية، وفي البدوية خاصة، وهو منسجم مع طبيعة العربي الحساسة في بيئته الصحراوية الواسعة، ولم يقتصر الحنين على البشر بل شمل الحيوان، فالإبل تحن إلى أولادها ومرابضها، ولذلك كان الحنين غريزة في نفس العربي في باديته، وارتبط الحنين إلى الأوطان بكرامة الإنسان واعتزازه، وكانت الغربة عن الوطن همّاً شديداً، ويروى أنه قيل لأعرابي: ما الغبطة ؟ قال: الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الأخوان، وقيل: فما الذل ؟ قال: التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان[1].

وقبل البدء في الحديث عن الحنين إلى الأوطان، نقف عند معنى الوطن وكيف جاء مفهومه في اللغة والشعر القديم، جاء معنى الوطن في المعجمات اللغوية بمعنى: مربض الإبل والغنم، ثم صار يعني المنزل الذي يتخذه الإنسان سواء أكان مسقط رأسه أم لم يكن، ويقول ابن سيده: «الوطن حيث أقمت من بلد أو دار»[2]، وتوسع مفهوم الوطن فصار كل مكان ينزل فيه الإنسان ويعده مستقراً ومقاماً وطناً، ووطن بالمكان وأوطن: أقام،وكل مقام أقام به الإنسان لأمر فهو موطن له.[3]

---

(1) المحاسن والأضداد- الجاحظ،ص54 ط القاهرة،المحاسن والمساوىء - البيهقي 1/ 490، ط القاهرة.

(2) المخصص 4/ 119، وانظر جمهرة اللغة لابن دريد 3/ 119، تهذيب اللغة للأزهري 4/ 28، معجم مقاييس اللغة لابن فارس 6/ 120، الصحاح للجوهري 6/ 2214، وقد أفدنا من كتاب الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي لمحمد إبراهيم حور في مواضع كثيرة.

(3)لسان العرب: وطن.

ويختلف مفهوم الوطن في العصور القديمة عن مفهومه في العصور الحديثة، فقد كان مفهوم الوطن في القديم ضيقاً يشمل الحي ومحل الإقامة ثم صار يتسع كلما تقدم الزمن، ومنذ القديم ارتبط الشوق والحنين بالوطن، فصار الحنين إلى الأوطان شائعاً في كل العصور سواء الوطن القبيلة والحي أم الشعب والأمة الكبيرة، وسواء أكان الوطن مسقط الرأس أم لم يكن، فالحنين إلى الأوطان انتماء وولاء وحب وحنين.ولا يقتصر هذا الحب والحنين على الإنسان بل يشمل الحيوان أيضاً، يقول ابن دريد: «حنين الإبل، نزوعها إلى أوطانها وأولادها»[1]، وفي كل هذه المعاني جاء ذكر الوطن في الشعر القديم، ففي الجاهلية قال امرؤ القيس: [2]

وما جَبُنَتْ خَيْلي ولكنْ تذَكَّرتْ مرابِطَها من بَرْ بَعِيصَ ومَيْسرا

ويقول عنترة: [3]

أحرَقْتني نارُ الجوى والبِعادِ بعدَ فَقْدِ الأوطانِ والأولادِ

ويقول طرفة: [4]

على موطنٍ يخشى الفتى عنده الردى متى تعترِكْ فيه الفرائصُ ترعدِ

وجاء ذكر الوطن في الشعر الإسلامي في شعر عمر بن أبي ربيعة[5]

قد هاجَ قلبَكَ بعد السَّلوةِ الوطنُ والشوقُ يُحدِثُهُ للنازحِ الشَّجَنُ

وقوله: [6]

---

(1) جمهرة اللغة 1/ 64، تهذيب اللغة 3/ 448.

(2) ديوانه امرىء القيس ص 70.

(3) ديوانه ص 67، ط دار صادر بيروت 1968.

(4) ديوانه ص 117، ط دار الكتاب العربي، بيروت 1997

(5) ديوانه ص 281،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر 1960

(6) الديوان ص 272.

ذكـر الـبلاطَ وكـلُّ سـاكنِ قريـةٍ بعـدَ الهُـدُوِّ تَهيجُـهُ أوطانُـهُ

وقوله:[1]

إنَّ مـن تهـوى مـع الفجـرِ ظعـنْ للهـوى والقلـبُ مِتْبـاعُ الـوطَنْ

وقال جميل بن معمر العذري: [2]

أنـا جميـلٌ والحجـازُ وطنـي فيـهِ هـوى نفـسي وفيـه شـجني

والشعر الذي ذكر الوطن كثير في صدر الإسلام والعصور التالية، ليس القصد عندنا استقصاءه.وكثر ذكر الوطن والحنين إلى الأوطان في التراث الإسلامي، وفي مقدمة ذلك الحديث النبوي: (حب الأوطان من الإيمان) [3]، وكان الرسول ﷺ محباً لوطنه مكة كثير الحنين إليها، إذا ذُكِرَتْ كانت عيناه تغرورقان بالدموع شوقاً وحنيناً، وكان يكره خروجه من مكة مضطراً، ويذكرها محبَّاً، يقول في خروجه من مكة مهاجراً: (والله إنكِ لخير أرض الله إلى الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرِجْتُ منك ما خرجتُ)[4]، وكان إ ذا قدم أحد من مكة إلى المدينة سأله رسول الله ﷺ عن مكة موطنه ومرتع صباه وكله شوق وحنين، قال الغزولي: «روي أن أبان[5] قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فقال له: يا أبان، كيف تركت مكة ؟ قال: تركتهم وقد حيدوا، وتركت الإذْخِر[6] وقد أغدق، وتركت الثمام وقد خاض[7]،

---

(1)ديوانه ص 279 .

(2)ديوانه ص 206، تحقيق حسين نصار، ط القاهرة 1967.

(3)الأسرار المرفوعة 180، كشف الخفاء للعجلوني 1/ 413، تذكرة الموضوعات للفتني 11، الدرر المنتثرة للسيوطي 74 .

(4)سنن الترمذي 3925،مسند أحمد بن حنبل 4/ 305،سنن الدارمي 2/ 239، أخبار مكة للأزرقي 2/ 155، وفضائل مكة للحسن البصري، مجلة كلية الآداب 14/ 565- 566.

(5)هو أبان بن سعيد بن العاص، صحابي من ذوي الشرف،أسلم سنة 7 هـ أرسله الرسول ﷺ سنة 9 هـ عاملاً على البحرين، توفي سنة 13هـ. الإصابة 1/ 10، تاريخ الإسلام 1/ 378، تهذيب ابن عساكر2/ 124.

(6) الأذخر: الحشيش الأخضر، وحشيش طيب الريح. القاموس المحيط: ذخر.

(7)الثمام: عشب من الفصيلة النجيلية وخاض: أي كثر والتف.

فاغرورقت عينا رسول الله ﷺ[1]، وكان شوق النبي ﷺ وحنينه إلى مكة شديداً حتى إنه إذا حُدِّث عنها يغلبه الشوق فيسأل المتحدث أن يكف، ففي رواية قدوم أصيل الغفاري من مكة وكان النبي ﷺ يسأله: (يا أصيل كيف عهدت مكة؟ قال: والله عهدتها قد اخصب جنابها، وابيضت بطحاؤها، وأغدق أذخرها، وأسلت ثمامها[2]، وأمشَّ سَلَمها فقال النبي: حسبك يا أصيل، لا تحْزِنَّا)[3].

والروايات كثيرة في حنين أصحاب رسول الله وآله إلى الأوطان وإلى مكة خاصة، أما الشوق والحنين إلى نجد فقال فيه الشعراء منذ صدر الإسلام وحتى العصر العباسي شعراً كثيراً ذكرناه في موضعه.

كان الوطن عند الجاهلي الأهل والديار، وكل منزل ينزله ويحن إليه، ولما استقرت القبائل في القرى والمدن صار مفهوم الوطن واضحاً هو الأرض والبلد بحدوده وأهله ومغانيه،وصار الشعر يردد أسماء المدن ويتغنى بجمالها ويحن إلى مراعيها، وكثر بعد ذلك الانتساب إلى المدن والاعتزاز بها، والمدن أوطان.

ما قيل في الحنين إلى الأوطان

وقد جاءت أقوال كثيرة وحكم غزيرة في الحنين إلى الأوطان، ومهَّد الجاحظ لرسالة الحنين إلى الأوطان بمنتخبات من أقوال الحكماء والأدباء من العرب والعجم في حب الأوطان والتعلق بها والولاء لها، من ذلك مختاراته:[4]

كان يقال: أرض الرجل ظئرُه، ودارُه مهده، والغريب النائي عن بلده المتنحي عن أهله، كالثور النَّادِّ عن وطنه، الذي هو لكل رام قنيصة.

وقال آخر: الكريم يحن إلى جنابه، كما يحن الأسد إلى غابه.

---

(1)مطالع البدور في منازل السرور 2/ 292، مطبعة الوطن 1300 هـ.

(2) الثمام: نبت، وأسل: نما، والسلم: شجر من العضاه ورقها القرظ الذي يدبغ به، وأمشَّ: مسح.

(3)أخبار مكة للأزرقي 2/ 155، تحقيق رشدي ملحس، ط2 دار الثقافة، مكة 1965.

(4)رسالة الحنين إلى الأوطان، رسائل الجاحظ 2/ 385- 392، وانظر هوامشه.

وقال آخر: تربة الصِّبا تغرس في القلب حُرمةً وحلاوةً، كما تغرس في القلب رِقَّةً وحلاوة.

وقال آخر: إذا كان الطائر يحنُّ إلى أوكاره، فالإنسان أحقُّ بالحنين إلى أوطانه.

وقالت الحكماء: الحنين من رقَّة القلب، ورِقَّة القلب من الرعاية، والرعاية من الرحمة، والرحمة من كرم الفطرة، وكرم الفطرة من طهارة الرشدة، وطهارة الرشدة من كرم المحتد.

وقيل لبعض الأعراب: ما الغبطة ؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع الأخوان، قيل فما الذلة ؟ قال: التنقل في البلدان، والتنحي عن الأوطان[1].

وقال آخر: عُنْرُك في دارك، أعزُّ لك من يسرك في غُرْبتك، وانشد:

لقُـرْبُ الـدار في الإقتـار خـيرٌ مـن العـيش الموسَّـعِ في اغـترابِ

ومما يؤكد حب الأوطان قول الله عز وجل حين ذكر الديار يُخبر عن مواقعها من قلوب عباده، فقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾[3].

وقال عمر ﷺ: عمَّر الله البلدانَ بحبِّ الأوطان.

وقال آخر: من إمارات العاقل بِرُّه لإخوانه، وحنينه لأوطانه، ومداراته لأهل زمانه. وقيل: الغربة كُربة، والقِلَّة ذِلَّة، وقال:

لا ترغبـوا إخـوتي في غُربـة أبـداً إنَّ الغريـبَ ذليـلٌ حيـثما كانـا

وقال آخر: يحنُّ اللبيب إلى وطنه كما يحنُّ النجيب إلى عَطَنه.[4]

---

(1) رسائل الجاحظ 2/ 407

(2) النساء 66.

(3) البقرة 246 .

(4) النجيب من الإبل: الكريم العتيق.

وكـل غريـب سـوف يمـسي بذلـة إذا بان عـن أوطانـه وجفـا الأهـلا

وكان حب الأوطان والحنين إلى الأهل والديار مرتبطاً في نفس البدوي بالوفاء وحسن الخلق وكرم الأصل،يقول الغزولي : «إذا شئت أن تعرف وفاء الرجل وحسن عهده، وكرم أخلاقه، وطهارة مولده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من أزمانه»[1].

ومن أقوال الأمم الأخرى، قالت العجم: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها توَّاقة.

وقالت الهند: حُرمةُ بلدك عليك مثل حرمة أبويك، لأنَّ غذاءك منهما،وغذاءهما منه.

والأقوال كثيرة في الحنين إلى ألأوطان وذم الغربة وما فيها من مهانة وذلة [2].

من ألف في الحنين والغربة وما إليها

كان موضوع الغربة والحنين إلى الأهل والديار والأوطان والشوق للحمى وصور الفراق وآلام الغربة، قد استرعت أذهان كثير من الكتاب والأدباء واهتماماتهم في التراث العربي، فمنهم من أفاض في ذلك فألف كتاباً ومنهم من أوجز فكتب رسالة ضمن كتاب ومنهم من ذكر ذلك عرضاً، وكلهم قد عرفَ أثر الغربة والحنين والشوق في نفوس العرب والمسلمين على مدى العصور، ونذكر من ذلك ما وقفنا عليه من المطبوع أو المخطوط أو المذكور مما ضاع، وهو غيض من فيض، وما خفي كان أعظم، وأكثر هؤلاء المؤلفين كانوا من أهل القرن الثالث الهجري سواء من علماء الأدب أو اللغة أو الحديث:

1- حب الوطن لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ) [3].

---

(1)مطالع البدور في منازل السرور 2/ 292، ط.القاهرة

(2) رسائل الجاحظ،مرجع سابق.

(3) فهرسة ابن خير الأشبيلي ص 385.

2- رسالة الحنين إلى الأوطان للجاحظ.[1]

3- الشوق إلى للأوطان لأبي حاتم السجستاني (ت 255 هـ)[2].

4- حب الأوطان لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر.[3]

5- الحنين إلى الأوطان لموسى بن عيسى الكسروي (ت ق 3 هـ)، وينسب هذا الكتاب للجاحظ.[4]

6- الحنين إلى الأوطان لأبي الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق الوشاء (ت 325 هـ)[5].

7- حنين الإبل إلى الأوطان لربيعة البصري[6].

8- الحنين إلى الأوطان، لمحمد بن سهل بن المرزبان البغدادي (ت حوالي 330 هـ)[7].

9- كتاب الشوق والفراق، لمحمد بن سهل بن المرزبان، السابق.[8]

10-اللقاء والتسليم، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت 336 هـ)[9].

11- الوداع والفراق، لأبي حاتم محمد بن حبان البُستي (ت 354 هـ)[10].

12-المناهل والأعطان والحنين إلى الأوطان، للحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (ت 360 هـ)[11].

13-أدب الغرباء، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت 365 هـ)[12].

---

(1) رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، 2/ 379- 412، ط مكتبة الخانجي، القاهرة.

(2) الفهرست ص 64، إنباه الرواة 2/ 62.

(3) فهرسة ابن خير الأشبيلي. ص 423.

(4)مقدمة المحقق جليل العطية ص 10- 12، وقد أفدنا من مراجعه.

(5)الفهرست ص 93، إنباه الرواة 3م262، الوافي بالوفيات 3/ 62.

(6)الفهرست ص 55.

(7)طبع بتحقيق جليل العطية، ط عالم الكتب، بيروت 1987.

(8)تحقيق جليل العطية، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988.

(9) أدب الكتاب للصولي ص 175.

(10)روضة العقلاء لابن حبان ص 114

(11) الفهرست ص 172، يتيمة الدهر 3/ 421، الوافي بالوفيات 12/ 65.

(12)معجم الأدباء 13/ 96 ــ 97 ، نشر بتحقيق صلاح الدين المنجد، ط دار الكتاب الجديد، بيروت 1972، وذكر بروكلمان هذا الكتاب باسم (كشف الكربة في وصف الغربة). الأدب العربي، الترجمة العربية 3/ 70 .

14- كتاب التسليم والزيارة، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت 384هـ)، ذكر ابن النديم أنه في أربعمائة ورقة [1].

15- الحنين إلى الأوطان، لأبي حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس (ت 400 هـ)[2].

16- النزوع إلى الأوطان، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني(ت 562 هـ)[3] .

هذا غير ما جاء من موضوعات تتصل بالشوق والغربة والحنين ضمن فصول في الكتب، وهي كثيرة يتعذر إحصاؤها.

وفي رحاب ما وصل من هذه الكتب والدواوين والرسائل نقف على ما جاء فيها من شعر في ذكر الحنين والغربة والشوق والوداع واللقاء وما إلى ذلك.

معنى الغربة والاغتراب

إن مقابل كلمة الغربة والاغتراب في اللغة الانجليزية (Alienation) والفرنسية (Alienation) ، وأصلها من الكلمة اللاتينية ألياناتو (Alienatio)، ويشير الاغتراب في تلك اللغات إلى حالة تحول الكائن إلى خارج ذاته، أو تجاوز ذاته، وقد استخدمت كلمة الاغتراب في العلاقات الإنسانية لتدل على الإحساس الذاتي بالغربة، أو الانسلاخ (detachment) سواء عن الذات أو عن الآخرين[4]. أما الكلمة العربية "غربة" فهي تدل - كما وردت في لسان العرب- على معنى النَّوى والبعد: فالغريب هو البعيد عن وطنه، والجمع غرباء، والأنثى غريبة، والغرباء هم الأباعد، "واغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه"، وفي الحديث: (اغتربوا لا تضووا)، وأغرب: صار غريباً، والتغريب النفي عن

(1)الفهرست ص 148. الكتاب له،أو للجاحظ، في ذلك خلاف، ينظر: الحنين إلى الأوطان لابن المرزبان. السابق.

(2)معجم الأدباء 5/ 382، الوافي بالوفيات 22/ 40 .

(3)الأنساب 2/ 348، طبقات السبكي 7/ 183.

(4) دراسات في سيكولوجية الاغتراب:عبد اللطيف محمد خليفة، ط دار غريب، القاهرة 2003، ص 23.

البلد[1]، فالكلمة تدل على معنيين: الأول يدل على الغربة المكانية، والثاني يدل على الغربة الاجتماعية.

والغربة أو الاغتراب في المعجمات العربية تدل على النزوح عن الوطن أو البعد والانفصال عن الآخر. وفي شعر المتلمس:[2]

ألا أبلغا أفناء سعد بن مالكٍ رسالةَ من قد صار في الغُرْبِ جانبُه

واغترب الرجل: نكح في الغرائب، وتزوج إلى غير أقاربه، وفي الحديث: (اغتربوا لا تضووا) أي لا يتزوج الرجل القرابة القريبة، فيجيء ولدُه ضاوياً.

فالغربة: النوى والبعد والتنحي عن الناس، والتغريب النفي عن البلدان والأوطان، وغرَّب في الأرض وأغرب:إذا أمعن في البعد، وأغرب صار غريباً، وكثيراً ما تكون الغربة قسرية بسبب ما يتعرض له الإنسان من ظلم وخوف أو جوع، أما الاغتراب فهو طوعي يختاره الإنسان لأسباب منها عدم الانسجام مع المجتمع والعجز عن الانتماء وعدم الرضى بالتقاليد والأعراف، والمخالفة في الفكر والمعتقد، وكثيراً ما يشعر المغترب بالوحدة والعزلة والفراغ النفسي، وكذلك شعوره بافتقاد الأمن وسوء العلاقات الاجتماعية وافتقاد الطمأنينة[3].وصور الاغتراب كثيرة منها: الاغتراب عن الوطن، ومنها الاغتراب داخل الوطن، ومنها الاغتراب عن المجتمع، أو الاغتراب عن الذات، وكل هذه الأنواع مريرة وقاسية ويشعر صاحبها بالألم الوحشة والمرارة، ولعل أقسى أنواع الغربة هي الغربة داخل الوطن بسبب الظلم والاضطهاد والخوف أوالفقر والحرمان، ومن أقوال علي بن أبي طالب عليه السلام: «الفقر في الوطن غربة، والغنى في الغربة وطن»[4].

---

(1) اللسان: غرب.

(2) اللسان: غرب.

(3)دراسات في سيكولوجية الاغتراب ـ خليفة ص 45، 140.

(4) نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده 4/ 14، ط دار المعرفة بيروت.

مظاهر الغربة

وللغربة أبعاد ومظاهر ذكرها علماء النفس والاجتماع ، وقد أجملت في خمسة مظاهر أساسية هي: العجز، واللامعنى، واللامعيارية، والعزلة الاجتماعية، والاغتراب عن الذات[1].

1- العجز Powerlessness:

فأما العجز: فهو شعور الفرد بأن لا حول له ولا قوة، ولا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها،ويعجز عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته، ولا يستطيع أن يقرر مصيره، ومن ثم يعجز عن تحقيق ذاته أو يشعر بحالة من الاستسلام والخنوع[2] . والعجز وفقدان القدرة هو توقع الفرد بأنه لا يملك القدرة على التحكم وممارسة الضبط، لأن الأشياء حوله تسيطر عليها ظروف خارجية أقوى منه، ويتولد لديه شعور بالعجز والإحباط وخيبة الأمل في إمكانية التغيير[3].

2- اللامعنى Meaninglessness:

وأما اللامعنى أو فقدان المعنى: فهو توقع الفرد أنه لن يستطيع التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية للسلوك، كما يقول (سيمان)، فالفرد يغترب عندما لا يكون واضحاً لديه ما يجب عليه أن يؤمن به أو يثق فيه، ولذلك يرى الإنسان المغترب أن الحياة لا معنى لها، لأنها تسير وفق منطق غير مفهوم وغير معقول، ومن ثم يعيش حياة التفاهة واللامبالاة.

3- اللامعيارية Normlessness:

وتسمى (الأنوميا)، وهي حالة تصيب المجتمع، أي حالة إنهيار المعايير التي تنظم السلوك وتوجهه، وهي كما يقول (سيمان): «الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة،

---

(1) خليفة ص 35 عن ملفن سيمان.

(2) خليفة، عبد اللطيف محمد: سيكولوجية الاغتراب،ص 36، وانظر مراجعه.

(3) أحمد النكلاوي:الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر، ص 121، ط دار الثقافة العربية، القاهرة 1989.

أن أشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعياً، غدت مقبولة تجاه أية أهداف محددة، أي أن الأشياء لم يعد لها أية ضوابط معيارية، ما كان خطأ أصبح صواباً، وما كان صواباً أصبح ينظر إليه باعتباره خطأ من منطلق إضفاء صبغة الشرعية على المصلحة الذاتية للفرد وحجبها عن المعايير وقواعد وقوانين المجتمع»[1].

4- العزلة الاجتماعية Social Isolation :

ويراد بها شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي، والافتقاد إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمة، والبعد عن الآخرين حتى وإن وُجِدَ بينهم، ويصاحب العزلة الشعور بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع، والانفصال بين أهداف الفرد وبين قيم المجتمع ومعاييره، وغالباً ما يستخدم هذا المصطلح عند الحديث عن الاغتراب في وصف وتحليل دور المفكر أو المثقف الذي يغلب عليه الشعور بالتجرد وعدم الاندماج النفسي والفكري بالمعايير الشعبية في المجتمع، وهؤلاء الذين يحيون حياة عزلة واغتراب لا يرون قيمة كبيرة لكثير من الأهداف والمفاهيم التي يثمنها أفراد المجتمع [2].

5- الاغتراب عن الذات Self -- estrangement:

ويراد به عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه، وشعوره بالانفصال عما يرغب في أن يكون عليه، حيث تسير حياة الفرد بلا هدف، ويشعر بالاغتراب عندما لا يستطيع التحكم بأفعاله، ويكون سلبياً عندما يستسلم لأفعاله ونتائجها، ويشعر أن لا معنى لحياته كما يشعر باغترابه عن ذاته[3].

ويتحدد مفهوم الاغتراب في الشخصية في عدم التكيف وعدم الثقة بالنفس

---

(1) أحمد النكلاوي ص 105.

(2) خليفة، ص39.

(3) خليفة، ص40.

والمخاوف المرضية والقلق والإرهاب الاجتماعي، وغياب الإحساس بالتماسك والتكامل الداخلي في الشخصية، مع ضعف الشعور بالهوية والانتماء وعدم الإحساس بالأمن .

وينظر إلى الاغتراب عن الذات باعتباره اضطراباً نفسياً يتمثل في اضطراب الشخصية الفصامية، ويتسم الشخص الفصامي بالعجز عن إقامة علاقات اجتماعية، والافتقار إلى مشاعر الدفء واللين أو الرقة مع الآخرين، فهناك تشابه بين اغتراب الذات واضطراب الشخصية الفصامية في أنهما يشيران إلى صعوبة استمرارية العلاقات الاجتماعية مع الآخرين من أفراد المجتمع[1].

الغربة ومظاهرها في الجاهلية

حين يغترب الجاهلي أو يبعد عن أهله ودياره يحن إليها ويتغنى بالشوق إليها، ويبدأ قصائده بذكرها، فما وطن الجاهلي؟ وطن الجاهلي مسقط رأسه، ومكان سكنه وسكن أهله وقومه،وهم جماعة من الناس تربطهم أواصر النسب، وسواء أكان هذا السكن بيتاً من طين أم خيمة أم ربعاً، وكان لكل قبيلة منازلها ومراعيها المحددة التي ترتادها في مختلف فصول العام، «وتكون الأرض التي تحل القبيلة بها (منزلاً) لها، و(منازل) لأبنائها الذين ينزلون بها، يضربون بها خيامهم، فتكون الأرض مضارب لها، تستوطنها وتقيم بها، وتصير وطناً لها، أي دار إقامة، ما دامت تقيم بها»[2] ، وإذا تركت القبيلة أرضها إلى أرض أخرى يبقى الحنين إلى الأرض الأولى، فحين يمر بها يقف عند أطلالها يبكيها ويبكي أهلها، فليس للأرض مكانة دون ساكنيها، وإذا اغترب الجاهلي عن أرضه وأهله كثر حنينه إلى الديار وإن كانت خرائب وأطلالاً، وبقي هذا الشوق والحنين حتى في الإسلام، وقد يتوسع الشعراء في الحنين إلى الوطن ويتعدى هذا الشوق أرض القبيلة فيشمل كل ما حولها، ولذلك كثر الشوق إلى نجد والتغني بها، وبمرابعها وأهلها، ويزداد هذا الحنين

---

(1) خليفة، ص81-82.

(2) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 4/ 342.

والشوق حين يسكنون القرى والمدن، وخير تعبير عن ذلك أبيات الصمة القشيري (ت 95 هـ) حيث يقول:[1]

أقـول لـصاحبي والعـيس تهـوى ... بنـا بـين المُنيفـةِ فالـضِّمارِ
تمتـع مـن شـميم عَـرار نجـدٍ ... فـما بعـد العـشية مـن عَـرارِ
ألا يـا حبَّـذا نفحـاتُ نجـدٍ ... وريَّـا روضـهِ بعـد القِطـارِ
وأهْلُـكَ إذ يحـل الحـيُّ نجـداً ... وأنـتَ عـلى زمانـكَ غـيرُ زارِ
شـهورٌ ينقـضينَ ومـا شـعرنا ... بأنـصافٍ لهـنَّ ولا سِرارِ

ويقيم الجاهلي في أرضه مادام فيها عزيزاً، فإن شعر بالظلم والذلة غادرها رغم اعتزازه بها وحنينه إليها، وقد عبر عن ذلك أوس بن حجر(2 ق هـ) حيث يقول: [2]

أقـيم بـدار الحـزم مـادام حزمُهـا ... وأحـرِ إذا حالـتْ بـأنْ اتحـوَّلا
وأسـتبدل الأمـرَ القـويَّ بغـيره ... إذا عقـدُ مـأفونِ الرجـالِ تحلَّـلا

ويأبى سلمة بن زيد البجلي الضيم ويفضل الغربة فأرض الله واسعة:[3]

لا خـيرَ في بلـدٍ يُـضامُ عزيـزُهُ ... وعـن الهـوانِ مـذاهبٌ ومنـادِحُ

وكذلك يرى ربيعة بن مقروم الضَّبي (ت 16 هـ):[4]

ودارُ الهـوانِ أنِفْنـا المُقـامَ ... بهـا فحَلَلْنـا محَـلاً كـريما

---

(1)حماسة المرزوقي3/ 1340، والحماسة البصرية 2/ 109، وديوانه ص 94 ـ 95 جمع وتحقيق خالد الجبر، ط جامعة البتراء، عمان 2003.

(2)ديوانه ص 69، ط دار الأرقم، بيروت 1996.

(3)حماسة البحتري ص 146، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1999، وينظر تحقيق كمال مصطفى، ط مصر 1925.

(4) السابق نفسه.

وحين يتعرض الشاعر إلى المهانة والخطر يهاجر من بلده هارباً مغترباً على الرغم من اشتياقه لبلده، وهذا ما كان من أمر المتلمس (ت 50 ق هـ)جرير بن عبد المسيح حين لحق بالشام هارباً من الملك عمرو بن هند، يقول: [1]

إنَّ العـراقَ وأهلَـهُ كـانوا الهـوى ... فـإذا نبـا بـك وُدُّهـم فليبعُـدِ

فلتتركَـنَّهمُ بليـلٍ نـاقتي ... تَـذَرُ السِّماكَ وتهتـدي بالفَرْقَـدِ

لـبلادِ قـومٍ لا يُـرامُ مَـدِيُّهم ... ومَـدِيُّ قـومٍ آخـرينَ هـو الـرَّدي

ويصور عمرو بن هبيرة حال الغريب في غير قومه من الذلة والمهانة، يقول:[2]

أبـى اللهُ للجـيران إلا مذلَّـةً ... ومـن يغـترب عـن قومـه يتـذلَّلِ

والشاعر الجاهلي عزيز دائماً في قومه، فإذ نأى عن أهله وديـاره فهـو غريـب ذليـل مهان، وقد عبر عمرو بن هبيرة عن هذا الهوان في قوله:[3]

ومـن تـكُ في غـير العـشيرة دارهُ ... يُغَضَّبْ فتبرُد غـير مُـرضى مغاضبُهْ

يرى كلَّ صـوتٍ منهمُ فـوقَ صـوتِهِ ... ولا يوجبـوا منـه الـذي هـو واجبُـهْ

وينكـرْ عليـهِ إنْ أرابَ بخطـةٍ ... ولا يـستطعْ تنكـيرَ مـا هـو رائبُـهْ

وفي معناه يقول هرم بن حيان العبدي:[4]

وجدتُ الفتى ما كـان في غـير قومـهِ ... تُنـوصِرَ مظلومـاً عليـه وظالمـا

ويفضلون الفاقة في الوطن على العيش الموسع في الغربة:[5]

---

(1) المنازل والديار ص 255، ديوانه ص 36- 37 ط ليبزج.

(2) حماسة البحتري ص 155.

(3) حماسة البحتري ص 155.

(4) المصدر نفسه والصفحة .

(5)ديوان المعاني لأبي هلال العسكري 2/ 536، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1994 .

لَـــقُربُ الـــدارِ في الإقتـــارِ خـــيرٌ مـــن العـــيشِ الموسَّـــعِ في اغـــترابِ

وخير من يصور آلام الغربة جبلة بن الأيهم (ت 20 هـ) الذي أنف وهو الملك أن يعتذر لأعرابي ويلطمه مثلما لطمه، فرحل إلى بلاد الروم وتنصر، ولكنه بعد ذلك صار يعاني آلام الغربة ويحن إلى أهله وديارة، وصار يتمني لو عاد وصار رجلاً من عامة الناس يرعي الإبل في البوادي، ويرضى أن يعيش فقيراً في دياره بالشام، أو حتى أسيراً لدى قبيلة عربية، بعيداً عن غربته في بلاد الروم:[1]

تنـصَرتِ الأشرافُ مـن عـارِ لطمـةٍ وما كان فيها لو صبرتُ لها ضَرَرْ
تكنَّفني فيهـا لجَـاجٌ ونخـوةٌ وبِعتُ بها العينَ الصحيحةَ بـالعَوَرْ
فيالَيـت أمـي لم تلـدني وليتنـي رجعتُ إلى القولِ الذي قـال لي عُمَرْ
ويـا ليتني أرعـى المخـاضَ بقَفْـرةٍ وكنـتُ أسـيراً في ربيعـةَ أو مُـضَرْ
ويـا ليـتَ لي بالـشامِ أدنـى معيـشةٍ أجالسُ قومي ذاهبَ السَّمْعِ والبَصَرْ

وكذلك يعبر الأعشى عمَّا يلقاه الغريب من ذلة فهو منتقص مهضوم الحقوق:[2]

ومن يغترب عـن قومـه لا يجِـدْ لـهُ على مـن لـه رهْـطٌ حَوالَيْـهِ مَغْـضَبا
ويُحطَـمْ بظُلْـمٍ لا يـزالُ يَـرَى لـه مـصارعَ مظلـومٍ مجَـرَّاً ومَـسْحَبا
وتُدفنُ منـه الـصالحات وإنْ يُـسىءْ يكُنْ ما أساءَ النارَ في رأس كبكبـا[3]

وفي هذا المعنى يقول أبو هـلال العـسكري (ت 395 هـ) حـين ارتحـل إلى إبـى حزوى يطلب الغنى، فندم ولم يكسب في غربته إلا الضيم والهوان:[4]

---

(1)انظر قصة اسلامه وارتداده وشعره في الأغاني 15 / 161- 163.

(2)ديوان الأعشى ص 163، تحقيق محمد محمد حسين، ط 4 مؤسسة الرسالة، بيروت 1983.

(3) كبكب: جبل خلف عرفات.

(4)ديوان المعاني 2/ 537.

حسبتُ الخيرَ يكثرُ في التنائي ... فكانَ الخيرُ أكثرَ في التداني

ذكرتُ مقامنا بسَراةِ حَزْوى ... فسرتُ مع الوساوسِ في عنانِ

ألا لله حزمٌ واصطبارٌ ... تقاسمه بُنَيّاتُ الزمانِ

عزيزٌ أضمرَتْهُ نوى شطونٌ ... فظلَّ من المهانةِ في ضمانِ

يُناطُ إلى العزيزِ إذا تبَوَّى ... بمنزلِ غُربةٍ طرفُ الهوانِ

وقد تكون الغربة قسرية بأن يقترف المرء جرماً فيهرب مستجيراً بقبيلة أخرى أو يتوارى بين القبائل، فهو ذليل خائف منبوذ، وكذلك كانت حال الشيظم بن الحارث الغساني الذي قتل رجلاً من قومه، وكان المقتول ذا أسرة، فخافهم فلحق بالعراق، وقيل بالحيرة متنكراً، وكان من أهل بيت الملك، فكان يتكفَّف الناس نهاره، ويأوي إلى خَربةٍ من خَراب الحيرة، فبينا هو ذات يومٍ في تطوافه إذ سمع قائلاً يقول: (1)

لحا اللهُ صعلوكاً إذا نالَ مَذْقَةً ... توَسَّدَ إحدى ساعديهِ فهَوَّما

مقيماً بدار الهُون غيرَ مُناكرٍ ... إذا ضِيْمَ أغضى جَفْنَهُ ثم بَرْشَما (2)

يلوذُ بأذراء المثاريبِ طامعاً ... يرى المنعَ والتعبيسَ من حيثُ يمَّما (3)

يَضَنُّ بنفسٍ كدَّرَ البؤسُ عيشها ... وجودٌ بها لو صانها كان أحزما

فذاك الذي إنْ عاشَ عاشَ بذِلَّةٍ ... وإنْ ماتَ لم يشهدْ له الناسُ مأتما

بأرضِكَ فاعْرُكْ جِلدَ جنبِكَ إنَّني ... رأيتُ غريبَ القومِ لحماً موَضَّما

فكأنه نبهه من رقدة، فتوسل بالوصول إلى الملك المنذر وعرَّفه بنفسه وقصته فشفع له، وبعث إلى أهل المقتول فأرضاهم عن صاحبهم.

---

(1) ذيل الأمالي والنوادر 3/ 179.

(2) برشم: وجم وأظهر الحزن، وحدق بالنظر. اللسان: برشم.

(3) المثاريب: القليلو العطاء.

ومن صور المهانة التي يلقاها الغريب في ديار الآخرين، أن يجبر على تزويج ابنته لمن هم غير أكفاء، وهذا ما حصل لمهلهل سيد تغلب وقائدهم في حرب البسوس، وكان مهلهل ومن معه قد أسروا في حرب وانكسر قومه، فلما رجع مهلهل بعد الوقعة والأسر إلى قومه،جعل النساء والولدان يسألونه عن الآباء والأزواج، فقال يخبرهم بمقتلهم:[1]

لـيس مـثلي يُخَـبِّرُ النـاس عـن آ ... بـائهم قُتِّلـوا وينـسَى القتـالا
لم أرِم عَرْصَـةَ الكتيبـة حتـى انـ ... ـتعَلَ الـوَرْدُ مـن دمـاءٍ نِعـالا
غلبونـا ولا محالـةَ يومـاً ... يقلِـبُ الـدهرُ ذلـك حـالاً فحـالا

واضطر لذلك أن يترك أرض قومه ويلحق بأرض اليمن، فخطب إليه أحدهم ابنته فأبى أن يفعل، فأكرهوه فأنكحها إياه، فقال يذكر غربته ومهانته بعد أن كان عزيزاً قوياً في قومه:[2]

انكحهـا فقـدُها الأراقـمَ في ... جَنْـبٍ وكـان الحِبـاءُ مـن أدَمِ
لـو بأبـانَيْنِ جـاء يخطُبُهـا ... ضُرِّجَ مـا أنـفُ خاطـبٍ بـدمِ
أصـبحتُ لا مُنْفِـساً أصـبْتُ ولا ... أُبْـتُ كـرياً حُـرَّاً مـن النـدمِ
هـانَ عـلى تغلـبٍ بـما لقِيَـتْ ... أُخـتُ بنـي المـالكينَ مـن جُـشَمِ
ليـسوا بأكفائِنـا الكـرامِ ولا ... يُغنـونَ مـن عَيلَـةٍ ولا عَـدَمِ

وقد تكون غربة الشاعر في فراق الحبيبة حين ترحل ويبقى في غربة عنها ووحشة، هذا عمرو بن معديكر الزبيدي(ت 21 هـ) طلق زوجته ورحلت عنه ثم ندم وصار يحن إليها ويشعر بغربته في فراقها، فهو يتغزل بها ويحن إليها:[3]

---

(1)الأغاني 5/ 55 ط دار الكتب العلمية، بيروت 1992.

(2)الأغاني 5/ 56، الأراقم: حي من تغلب، أبانان: جبلان، أبان الأبيض لبني فزارة،وأبان الأسود لبني أسد، المنفس: المال الكثير .

(3)شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي ص 59، تحقيق مطاع طرابيشي، ط مجمع اللغة العربية، دمشق 1985. الغُرُب: الغريب، الحزان: ما غلظ من الأرض، بركضها: يضربها برجله.

هاج لك الشوقُ من ريحانةَ الطَّربا ... إذ فارقتْكَ وأمست دارُها غُرُبا
ما زلتُ أحبِسُ يومَ البَيْنِ راحلتي ... حتى استمرُّوا وأذرَتْ دمعَها سَرَبا
حتى ترفَّعَ بالحُزَّانِ يركُضُها ... مثلَ المهاةِ مَرَتْهُ الريحُ فاضطربا
والغانياتُ يُقَتِّلْنَ الرجالَ إذا ... ضَرَّجْنَ بالزعفرانِ الرَّيْطَ والنُّقُبا
من كُلِّ آنِسَةٍ لم يَغْذُها عَدَمٌ ... ولا تشدُّ لشيءٍ صوتَها صَخَبا
إنَّ الغوانيَ قد أهلَكْنَني وأرى ... حِبالَهُنَّ ضعيفاتِ القُوى كُذُبا

غربة المرأة

ومن صور الشوق إلى الأهل والوطن والبوح بآلام الغربة شعر أسماء المرية صاحبة عامر بن الطفيل، التي تقاسي آلام الغربة لبعدها عن الوطن والحبيب: (1)

أيا جبلي وادي عُرَيْعرةَ التي ... نأتْ عن نوى قومي وحَقَّ قُدومُها
ألا خلِّيا مجرى الجَنوب لعلَّهُ ... يُداوي فؤادي من جَواهُ نَسِيمُها
وكيف تداوي الريحُ شوقاً تُماطِلاً ... وعَيْناً طويلاً بالدموعِ سُجُومُها
وقولا لرُكبانٍ تميميَّةٍ غَدَتْ ... إلى البيتِ ترجو أنْ تُحَطَّ جُرُمُها
بأنَّ بأكنافِ الرَّغامِ غريبةً ... مُوَلَّهَةً تَكْلَى طويلاً نَئِيمُها
مُقَطَّعةً أحشاؤها من جوى الهوى ... وتبريحِ شوقٍ عاكفٍ ما يَرِيمُها

وضرب آخر من الغربة، هو ما تحسه المرأة التي تتزوج في غير عشيرتها فتشعر أنها غريبة في قوم غرباء، فتضجر وتتذمر من حياتها بين قوم أغراب، وتحن إلى أهلها وديارها، تقول وجيهة بنت أوس الضبيَّة: (2)

---

(1) أمالي القالي 2/ 197.

(2) الحماسة 2/ 141، وانظر في هذا الموضوع: الغربة في الشعر الجاهلي، لعبد الرزاق الخشروم، ص 76- 80، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1982.

وعاذلـة تغـدو عـليَّ تلـومُني ... على الشوقِ لم تمحُ الصَّبابةَ من قلبي
فـما ليَ إنْ أحبَبْـتُ أرضَ عـشيرتي ... وأبغَضْتُ طرفاءَ القُصَيْبةِ من ذَنْبِ
فلو أنَّ ريحاً بلَّغَتْ وَحْيَ مُرْسِلٍ ... حَفِيٍّ لناجيْتُ الجَنوبَ على النَّقْبِ
فقلتُ لها أدِّي إليهمْ تحيَّتي ... ولا تخلِطِيها طالَ سَعْدُكِ بالتُّرْبِ
فـإنِّي إذا هَبَّتْ شَـمالٌ سـألتُها ... هلِ ازدادَ صَدَّاحُ النُّمَيْرَةِ من قُرْبِ

وامرأة من بني أبان من تميم،زُوِّجت في كلب، فنظرت ذات يوم إلى ناقة قد حَنَّتْ، فذكرت بلادها وأنشأت تقول:(1)

ألا أيُّهـا البَكْـرُ الأبـانيُّ إنَّنـي ... وإيَّـاكَ في كَلْـبٍ لَمُغْتَربـانِ
تحِـنُّ وأبكـي ذا الهـوى لـصبابةٍ ... وإنَّـا عـلى البَلْـوَى لَمُـصْطَحِبانِ
وإنَّ زمانـاً أيُّهـا البَكْـرُ ضَـمَّني ... وإيَّـاكَ في كلـبٍ لَـشَرُّ زمـانِ

قال: ولما حُملت نائلة بنت الفَرافصة الكلبية إلى عثمان بن عفان ﷺ كرهت فراقَ أهلها، فقالت لضبٍّ أخيها:

ألستَ ترى بالله يا ضبُّ أنَّني ... مرافقـةٌ نحـو المدينـةِ أركُبـا
أما كان في أولاد عوفِ بن عامرٍ ... لكَ الويلُ ما يُغني الخِباءَ المُطَنَّبا
أبى الله إلا أن أكـونَ غريبـةً ... بيثربَ لا أمَّـاً لـديَّ ولا أبـا

ومثلها ميسون بنت بحدل زوجة معاوية، التي ضاقت بحياة الحاضرة في الشام واشتاقت إلى أهلها في البادية فقالت أبياتاً فيها حنين إلى أهلها وأرضها، وسمعها معاوية

(1) رسائل الجاحظ، رسالة الحنين إلى الأوطان 2/ 400، تحقيق عبد السلام هارون، ط الخانجي، 1965.

تنشد الأبيات ووصفته فيها بالعلج العليف، فقال لها: ما رضيتِ يا ابنة بحدل حتى جعَلتِني بالعلج العليف؟! فالحقي بأهلك. والأبيات هي: [1]

لَبَيْتٌ تخْفِقُ الأرواحُ فيهِ ... أحَبُّ إليَّ من قَصْرٍ مُنيفِ
وبَكْرٌ يتبعُ الأظعانَ سَقْباً ... أحبُّ إليَّ من بَغْلٍ زَفوفِ
وكلبٌ ينبَحُ الطُّرَّاقَ عَنِّي ... أحبُّ إليَّ من قِطٍّ ألوفِ
ولُبْسُ عباءَةٍ وتَقَرُّ عيني ... أحبُّ إليَّ من لُبْسِ الشُّفوفِ
وأكلُ كُسَيْرَةٍ في كِسْرِ بيتي ... أحَبُّ إليَّ من أكلِ الرَّغيفِ
وأصواتُ الرياحِ بكُلِّ فَجٍّ ... أحَبُّ إليَّ من نَقْرِ الدُّفُوفِ
وخِرْقٌ من بني عمِّي نحيفٌ ... أحَبُّ إليَّ من عِلْجٍ عَلِيْفِ
خُشُونَةُ عِيْشَتي في البَدْوِ أشهى ... إلى نفسي من العيشِ الطريفِ
فما أبغي سوى وطني بديلاً ... فحسْبي ذاكَ من وطنٍ شريف

وهذه امرأة من بني شيبان تزوجت في بني يشكر، فشعرت أنها غريبة في قوم زوجها فهي تحنُّ إلى أهلها وموطنها، تقول: [2]

أصبحتُ في آل الشقيقِ غريبةً ... عليَّ الذي لا عيبَ فيه معيبُ
وإنَّ زماناً ردَّني في عشيرتي ... إليَّ وإنْ لم أرجُهُ لحبيبُ

فسمعها زوجها، فردها إلى قومها.

---

(1) خزانة الأدب 8/ 505- 507 تحقيق عبد السلام هارون، ط دار الكتب العلمية بيروت 1998.

(2) أشعار النساء، للمرزباني، مخطوط ص 51، المرأة في الشعر الجاهلي، الحوفي ص 175.

وامرأة أخرى تسكن البادية خرج بها زوجها إلى القُفَّين، والقُفُّ واد بالمدينة، فشعرت بالغربة في البيئة الجديدة التي تختلف عن حياة البادية، فهي تحن إلى أرضها وأهلها وكل شيء في باديتها، تقول:[1]

نظرتُ ودوني القُفُّ ذو النخلِ هل أرى ... أجارعَ في آلِ الضُّحى منذُرى الأُمْلِ
فيالَكَ من شوقٍ وجيعٍ ونظرةٍ ... ثَناها عليَّ القُفُّ خَبْلاً على الخَبْلِ
ألا حبَّذا ما بين حُزْوى وشارعٍ ... وأنقاءِ سَلمى من حُزونٍ ومن سَهْلِ[2]
لعمري لأصواتُ المكاكيِّ بالضُّحى ... وصوتُ صَباً في حائطِ الرِّمْثِ بالدَّحْلِ
وصوتُ شَمالٍ زَعْزَعَتْ بعدَ هَدْأةٍ ... ألاءً وأسْبَاطاً وأرْطًى من الحبلِ
أحَبُّ إلينا من صياحِ دَجاجةٍ ... ودِيْكٍ وصوتِ الريحِ في سَعَفِ النَّخْلِ
فياليتَ شِعْري هل أبيتَنَّ ليلةً ... بجُمْهُورِ حُزْوى حيثُ ربَّتَني أهلي

ويستمر شعر الشاعرات في الحنين إلى الأوطان والتذمر من الغربة في البيئات الحضرية في الإسلام.

---

(1) أمالي القالي 2/ 31.

(2) حزوى: من رمال الدهناء، وشارع: جبل بالدهناء. معجم البلدان.

الفصل الأول

شعر الحنين والغربة
في الجاهلية وصدر الإسلام

ومنذ الجاهلية بدأت تتضح ملامح الوطن وتتحدد عند بعض الشعراء، فلم تقتصر على ذكر الديار والأطلال بل صارت تتضح ملامح الأرض وحدودها ومرابعها ومغانيها، يصحب ذكرها الشوق والحنين إليها وإلى أيام الحب والخير والصفاء، ويكثر في شعرهم الحنين إلى الديار، والديار هي الأوطان، فإذا ما بعد الشاعر عن دياره لرحلة أو غزوة، فسرعان ما يملأه الحنين والشوق إلى الديار وساكنيها، وكثيراً ما يُشرِكُ الشاعرُ ناقتَه في هذا الشوق والحنين والتذمر من الغربة، فهذا امرؤ القيس حين توجه إلى بلاد الروم كان يحن إلى الأهل والوطن، وكلما وصل مدينة أوجاوزها يتقطع كبده حسرة على فراقها يقول وهو في طريقه إلى بلاد الروم: [1]

سما لك شوقٌ بعدَ ما كان أقصرا ... وحلَّتْ سُليمى بطنَ قَوٍّ فعَرعَرا

كنانيةٌ بانتْ وفي الصدرِ وُدُّها ... مجاوِرةً غسَّانَ والحيَّ يَعمُرا

ثم يقول:

تذكَّرتُ أهلي الصالحينَ وقد أتَتْ ... على حَمَلَى خُوصُ الرِّكابِ وأوجَرا

فلما بدت حورانُ في الآلِ دونَها ... نظرتَ فلم تنظُرْ بعينيكَ منظرا

تقَطَّعَ أسبابُ اللُّبانةِ والهوى ... عشيَّةَ جاوَزْنا حماةَ وشَيْزَرا

(1) ديوان امرىء القيس ص 56- 62.

بسَيرٍ يَضِجُّ العَوْدُ منه يَمُنُّهُ أخو الجَهْدِ لا يُلْوي على من تَعَذَّرا

ويذكر حنين صاحبه عمرو بن قميئة وبكاءه لما أيقن بالبعد عن الديار ودخول دار الغربة ومصيرهما المجهول، ويحكي ما كان بينهما من حوار: [1]

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونَهُ وأيقنَ أنّا لاحِقانِ بقَيْصرا
فقلتُ له لا تَبْكِ عينُكَ إنّما نُحاوِلُ مُلكاً أو نموتَ فنُعْذَرا
وإنّي زعيمٌ إنْ رجعتُ مُمَلَّكاً بسَيْرٍ ترى منهُ الفُرانِقَ أزورا [2]
لقد أنكرتني بَعْلَبَكُّ وأهلُها ولابْنُ جُريجٍ في قُرى حِمصَ أنكرا
نشيمُ بروقَ المُزنِ أين مَصابُهُ ولا شيء يَشفي منكِ يابنَةَ عفْزَرا
أرى أمَّ عمرٍو دَمْعُها قد تغيَّرا بكاءً على عَمْرٍو وما كان أصبرا
إذا نحنُ سِرْنا خمسَ عشْرَةَ ليلةً وراءَ الحِساءِ من مدافِعِ قيصَرا

ويذكر أن دهره وقد تغير، فهو لا يلقى ما يسره ويقرُّ عينه، وشعوره هذا بسبب ما يلقاه في سفره وغربته، وإنكار الناس له فقد حلَّ في غير أهله ودياره:

إذا قلتُ هذا صاحبٌ قد رضيتُه وقَرَّتْ به العينانِ بُدِّئْتُ آخَرا
كذلك جَدِّي ما أُصاحِبُ صاحباً من الناسِ إلا خانني وتغيَّرا

وفي غربته وبعد خيبته ورجوعه من بلاد الروم، يرى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدُفِنَتْ في سفح جبل يقال له عسيب، فسأل عنها فأُخبِرَ بقصتها، فقال يذكر غربته وإياها: [3]

---

(1) الديوان ص 65- 69.

(2) الفرانق: الصاحب والدليل.

(3) ديوان امرىء القيس ص 357، الأغاني 9/ 119.

أجارَتنـــا إنَّ المـــزارَ قريـــبُ وإنِّي مُقـيمٌ مـا أقـامَ عـسيبُ

قيل: ثم مات فدُفِن إلى جنبِ المرأة، فقبره هناك.

أما حاتم الطائي(ت 46 ق هـ) فقد عبرعن هـذه الأشـواق والأحاسيس وعـن وجده بأجبال طيِّء، وهو قافل من ديار حبيبته ماوية بقوله: [1]

حنَنْـتُ إلى الأجبـالِ أجبـالِ طـيِّءٍ وحنَّتْ قَلوصي أنْ رأتْ سوطَ أحمرا

فقلـتُ لهـا إنَّ الطريـقَ أمامنـا وإنَّـا لُمحيـو رَبْعَنـا إنْ تيَـسَّرا

فيـا راكبـي عُليـا جديلـةَ إنَّمـا تُـسامانِ ضَـيْماً مُـسْتبيناً فتُنظـرا

لَـشِعبٌ مـن الرَّيـانِ أملِـكُ بابَـهُ أُنـادي بـه آلَ الكبـيرِ وجعفـرا[2]

أحـبُّ إليَّ مـن خطيـب رأيتُـهُ إذا قلـتُ معروفـاً تبـدَّلَ مُنكَـرا

تنـادي إلى جاراتهـا أن حاتمـاً أراهُ لعَمـري بعـدنا قـد تغـيَّرا

تغـيرتُ إني غـير آتٍ لريبـةٍ ولا قائلٍ يومـاً لـذي العُـرْفِ مُنكَـرا

والشاعر حين يبتعد عن أهله ووطنه يشعر أنه غريب لا يستطيع أن يتلائم مع البيئة التي نزلها والناس حوله غير الناس، فهو ذليل مهان وإن لم يذله أحد، ولم يجاوز الحق مـن قال:«الغربة كربة، والقلة ذلة». [3]

والمرء عزيز في قومه، فإذا فارق واغترب عاش المهانـة والـذل، وقـديماً قالـت أعرابيـة: «إذا كنتَ في غير أهلك، فلا تنسَ نصيبَك من الذُّل، وبهذا المعنى قال الشاعر خالد بن نضلة:[4]

لعَمـري لـرَهْطُ المـرءِ خيرٌ بقيَّـةً عليه وإنْ عـالَوْا بـه كـلَّ مركـبِ

---

(1) ديوان حاتم الطائي ص 107- 108، بعناية حنا نصر الحتي، ط دار الكتاب العربي، بيروت 1997.

(2) أنادي: أجالس، من الندوة، مجتمع القوم.

(3)رسائل الجاحظ 2/ 390.

(4) رسائل الجاحظ 2/ 391- 392، الحيوان 3/ 103، الحماسة بشرح المرزوقي ص 358 .

إذا كنتَ في قومٍ عِـدىً لـستَ مـنهمُ فكُلْ ما عُلِفْـتَ مـن خبيـثٍ وطَيِّـبِ

وقد عبَّر شاعر آخر عن ضيقه وكآبته في دار الغربة: [1]

وأنزلنـي طـولُ النَّـوى دارَ غُرْبـةٍ إذا شـئتُ لاقيـتُ امـرأً لا أشـاكلُهْ
فحامقْتُـهُ حتـى يُقـالَ سـجيَّةٌ ولـو كـان ذا عقـلٍ لكُنْـتُ أُعاقِلُـهْ
ولو كنتُ في قـومي وجُـلِّ عـشيرتي لألفيتُ فيهم كـلَّ خِـرْقٍ أواصِـلُهْ [2]

وكثيراً ما يغترب المرء سعياً وراء الرزق وطلباً للمعاش والغنى، ولكن كل ما يدرك من المال والغنى لايساوي لحظة يقال له إنك غريب، فالغربة سوءة وذل، وهـذا مـا أراده الشاعر في قوله: [3]

وإنَّ اغـترابَ المـرءِ مـن غـيرِ خُلَّـةٍ ولا هِمَّـةٍ يـسمو بهـا لعجيـبُ
وحسبُ الفتى ذُلاً وإنْ أدركَ الغِنـى ونـالَ ثـراءً أنْ يُقـالَ غريـبُ

والشاعر الجاهلي يحن أبـداً إلى وطنـه وأهلـه وإن كـان لـصاً خاربـاً [4]، فهـذا أبـو الطمحان القيني (ت 30 هـ) ينزل على الزبير بن عبد المطلب بمكة فيكرمـه ويـستبقيه معه، ولكنه يحن إلى أهله وديارة، ويقول أبياتاً تصور حنينه وحنين ناقتـه إلى ديـاره وهـي وطنه،قال المدائني [5]: «ونزل أبو الطمحان القيني على الزبير بن عبد المطلب بـن هاشـم،

(1) رسائل الجاحظ 2/ 405، ابن المرزبان ص67، البيان والتبيين 2/ 235،عيون الأخبار 3/ 24، المجموع اللفيف ص 406، المنازل والديار ص 332، بهجة المجالس1/ 234، معجم الأدباء 1/ 241ن و6/ 2408 ونسبت للشافعي خطأ في ديوانه ص 107، وقد تمثل الشافعي بهذه الأبيات .

(2) ويروى : لألفيت في قومي كريماً أفاصله.

(3) ابن المرزبان ص 67،المحاسن والأضداد ص 122، رحلة ابن معصوم ص 150، الظرائف واللطائف ص 173.

(4) الخارب: السارق واللص.

(5) الأغاني 13/ 15- 16.

وكانت العرب تنزل عليه، فطال مقامه لديه، واستأذنه في الرجوع إلى أهله، وشكا إليه شوقاً إليهم، فلم يأذن له، وسأله المُقام، فأقام عنده مدة، ثم أتاه فقال له:

ألا حنَّت المِرقالُ وانْتَبَّ ربُّها ... تَذَكَّرُ أوطاناً وأذكرُ معشري[1]

ولو عرفتْ صَرْفَ البيوعِ لسَرَّها ... بمكَّةَ أنْ تبتاعَ حَمْضاً بإذخرِ[2]

أسَرَّكِ لو أنَّا بجَنْبي عُنَيْزةٍ ... وحَمْضٍ وضمرانِ الجَنابِ وصَعْتَرِ

إذا شاء راعيها استقى من وقيعةٍ ... كعينِ الغُرابِ صفْوُها لم يُكَدَّرِ

فلما أنشده إياها أذن له فانصرف، وكان نديماً له».

وحين يبعد المرء عن دياره وأهله ويكون غريباً في غير بلاده يشعر بالهوان والذلة ويتمنى العودة للوطن وهذا أحد الغرباء يشتاق إلى وطنه ويتمنى العودة إليه: [3]

ألا ليت شعري والحوادثُ جَمَّةٌ ... متى تجمعُ الأيامُ يوماً لنا الشملا

وكلُّ غريبٍ سوفَ يُمسي بذِلَّةٍ ... إذا بانَ عن أوطانهِ وجفا الأهلا

والشعر الجاهلي يحفل بذكر الحنين إلى الوطن وكره الغربة، ويشرك الشاعر ناقته في حنينه إلى الأهل والحمى، فهي تحن كحنينه وإن اختلفت جهة الحنين فكل منهما يغرض إلى أهله وأحبابه، يقول شاعر من بني كلاب: [4]

فمن يكُ لم يغْرَضْ فإنِّي وناقتي ... بحَجرٍ إلى أهل الحمى غَرِضانِ

أليفا هوىً مثلان في سرِّ بيننا ... ولكننا في الجهرِ مختلفانِ

---

(1) المرقال: اسم ناقة أبي الطمحان، وأصل الإرقال ضرب من العدو فوق الخبب، انتب ربها: تهيأ صاحبها للذهاب وتجهز.

(2) الأذخر من نبات المدن والحمض من نبات البادية، أي لسر ناقته أن تنتقل إلى البادية أرضها.

(3) رسائل الجاحظ 2/ 404.

(4) الكامل 1/ 46- 47، ويروى هذا الشعر مع خلاف لعروة بن حزام في نوادر القالي 3/ 158- 159، وانظر رغبة الآمل للمرصفي / 135.

تحِنُّ فتُبدي ما بها من صَبابةٍ ... وأُخْفِي الذي لولا الأسى لقضاني
هوى ناقتي خلفي وقُدَّاميَ الهوى ... وإنـي وإيَّاهـا لمختلفانِ
هواي أمامي ليس خلفي مُعَرَّجٌ ... وشوقُ قَلوصي في الغُدوِّ يماني
هوايَ عراقيٌّ وتَثْني زِمامَها ... لبرقٍ إذا لاح النجومُ يماني
متى تجمعي شوقي شوقَكِ تضلعي ... وما لكِ بالعِبْءِ الثقيلِ يدانِ

أما عنترة العبسي فيتغنى بأرض الشَّرِبَّة شعبها ووواديها،وهو في طريقه إلى العراق في طلب النوق العصافيرية مهراً لعبلة، فهو يحن إلى أرض الشربة وإلى أهلها وتهيج أشواقه البروق وريح الأرض بنباتها الزاهي الأرج: (1)

أرضُ الشَّرَبَّةِ شعبٌ ووادي ... رحلْتُ وأهلها في فؤادي (2)
يحلُّونَ فيه وفي ناظري ... وإنْ أبعدوا في محَلِّ السَّوادِ (3)
إذا خفق البرقُ من حيِّهم ... أرِقْتُ وبِتُّ حليفَ السُّهادِ
وريحُ الخُزامَى يُذَكِّرُ أنفي ... نسيمَ عَذارى وذاتِ الإيادي

ويحن إلى الحبيبة ويتمنى خيالها:

أيا عبْلُ مُنِّي بطيفِ الخيالِ ... على المستهامِ وطيبِ الرقادِ
عسى نظرةٌ منك تحيا بها ... حُشاشَةُ مَيْتِ الجَفا والبِعادِ

ويصف عنترة هذا الوطن، أرض الشربة، وطيب أرضها، وعذب نسيمها، وأحبابه الذين سكنوها: (4)

---

(1) ديوان عنترة ص 43، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1995.

(2)الشربة: موضع بين السليلة والربذة،وقيل: إذا جاوزتَ النقرة وملوان تريد مكة، وقعتَ في الشربة. معجم البلدان: الشربة.

(3) محل السواد:يريد سواد العين.

(4) الديوان ص 69.

أرضُ الشَّرَبَّةِ تُرْبُهـا كـالعَنْبَرِ ونـسيمُها يـسري بمِـسْكٍ أذْفَـرِ
وقبابُهـا تحـوي بُـدوراً طُلَّعـاً مـن كـلِّ فاتنـةٍ بطَـرْفٍ أحـورِ

ويذكر أيامه السعيدة في هذا الوطن الحبيب أيام كان فتى ينعم بخير هذا الوطن وخيره وجماله،وهو يسقي أرض وطنه بدموعه إذا ضن السحاب ولم يسق أرضه: (1)

يـا منـزلاً أدمعـي تجـري عليـه إذا ضَنَّ السحابُ على الأطلالِ بالمطرِ
أرضُ الشَّرَبَّةِ كـم قـضَّيْتُ مُبْتَهِجـاً فيها مع الغيدِ والأتـرابِ مـن وَطَـرِ
أيـامَ غُـصْنُ شـبابي في نُعومتِـهِ ألهـو بـما فيـهِ مـن زَهْـرٍ ومـن ثَمَـر

وحب الأوطان عميق في نفس عنترة فهو مقرون بحب الأولاد، والحنين إليه كحنينه إلى الأولاد، والوطن مقرون بحب الحبيبة عبلة: (2)

أحرقتْنـي نـارُ الجَـوَى والبِعـادِ بعـدَ فَقْـدِ الأوطـانِ والأولادِ
شـاب رأسي فـصار أبـيضَ لونـاً بعـدَ مـا كـانَ حالكـاً بالـسوادِ
وتـذكرتُ عبلـةَ يـومَ جـاءتْ لـوداعي والهـمُّ والوجـدُ بـادي
وهي تُذري مـن خِيفـةِ البُعْـدِ دمعـاً مُـسْتَهِلًا بلوعـةٍ وسُـهادِ

ويمر عمرو بن قميئة (ت 85 ق هـ)ومعه ابنته بأرض أهله عند جبل ساتيدما، وتسأله عن الأرض والوطن، وهذا الوطن الذي تحن إليه هو وطنها ووطن أخوالها وأعمامها، ويحن هو إلى وطنه وأهله ولكنه يضمر هذا الحنين ويجعل ابنته هي التي تحن، وهل يلومها أحد على هذا الحنين ؟ !: (3)

---

(1)ديوانه ص 69.

(2) ديوان عنترة ص 54 .

(3) شعراء النصرانية قبل الإسلام ص 295.

قد سألتني بنتُ عمرو عن الأز ضِينَ إذْ تُنكَرُ أعلامُها
لما رأتْ ساتيْدَما استعبرتْ لله دَرُّ اليومِ مَنْ لا مُها [1]
تذكَرَتْ أرضاً بها أهلُها أخوالُها فيها وأعمامُها

وظل حنينُ الأعراب إلى الأوطان حنينَ الإبل إلى أعطانها، فهم في شوق دائم إلى الأرض التي نشأوا بها، وفيها ملاعب صباهم ومرابع أهليهم، فإذا ذكروا ديارهم فاضت أعينهم بالدموع،يقول أحد الأعراب: [2]

إذا ما ذكرتُ الثَّغْرَ فاضت مدامعي وأضحى فؤادي نُهْبةً للهاهمِ [3]
حنيناً إلى أرضٍ بها اخضَرَّ شاربي وحُلَّتْ بها عنِّي عُقودُ التَّمائمِ
وألطفُ قومٍ بالفتى أهلُ أرضهِ وأرعاهمُ للمرءِ حقَّ التقادمِ

ويحن الشاعر إلى أرضه وأحبابه، ويتمنى أن يستقي شربة ماء شربت منه حبيبته، وأن يلصق كبده بتلك الأرض الحبيبة إلى نفسه فهي الحب وهي الوطن، يقول نبهان بن عكِّي العبشمي: [4]

يقرُّ بعيني أن أرى مَنْ مكانُه ذُرى عَقِداتِ الأبرقِ المتقاوِدِ[5]
وأنْ أرِدَ الماءَ الذي شَرِبَتْ به سُليمى وقد ملَّ السُّرى كلُّ واخدِ[6]
وألصِقُ أحشائي ببَرْدِ ترابها وإنْ كان مخلوطاً بسُمِّ الأساوِدِ

---

(1)ساتيدما: جبل بين ميَّافارقين وسعرت. (ياقوت: معجم البلدانن ساتيدما.)

(2) رسائل الجاحظ2/ 384، ابن المرزبان ص 43 ــ 44، المحاسن والمساوىء للبيهقي 1/ 491، المحاسن والأضداد ص 121، حلية المحاضرة للحاتمي 1/ 390، زهر الآداب ص 684.

(3) الهاهم: الهواجس والكلام الخفي .

(4) رسائل الجاحظ 2/ 384، الكامل للمبرد ص 31، ابن المرزبان ص36،زهر الآداب 940 ونسبت إلى حليمة الخضرية، أمالي القالي 1/ 63، عيون الأخبار 4/ 138، سمط الآلىء ص 236 .

(5) الأبرق المتقاود: المتراكم من الرمل وفيه استطالة .

(6) الواخد: السريع الخطو.

والشوق إلى الوطن يحتل مكانة كبيرة في شعر الشعراء، وقلما يخلو منه شعر شاعر وخاصة في العصور الجاهلية والأموية، فهذا الشاعر يشتاق إلى أهله ويحن إلى دياره،وعنده أن لقاء أحبابه أطيب من العسل بماء المزن البارد: [1]

ألا يا حبَّذا وطني وأهلي ... وصحبي حين يُذَّكرُ الصِّحابُ
بلادٌ من غطارفةٍ كرامٍ ... بهم خلاً تميتيَ الشبابُ
وما عسلٌ بباردِ ماءِ مُزْنٍ ... على ظمإٍ لشاربِهِ يُشابُ
بأشهى من لقائكمُ إلينا ... فكيف لنا به ومتى الإيابُ

ويشتاق الأعرابي إلى أرضه ووطنه ويحن إليه، ويذكر أنه ما من غريب إلا ويشتاق إلى وطنه ويحن إليه، فهو يُبَلِّغ ما يحب من أرضه السلام وخاصة جبل قطن: [2]

سلِّم على قَطَنٍ إن كنتَ تألفُهُ ... سلامَ من يهوى مرَّةً قَطَنا
أُحِبُّه والذي أرسى قواعِدَهُ ... حُبّاً إذا ظهرتْ آياتُهُ بطَنا
يا ليتَهُ لا نريمُ الدهْرَ ساحَتَهُ ... وليتَهُ حيثُ سِرنا غُرْبَةً معنا
ما من غريبٍ وإنْ أبدى تجلُّدَهُ ... إلا سيذكرُ بعدَ الغُرْبَةِ الوطنا

(1) رسائل الجاحظ2/ 400، ابن المرزبان ص 47.

(2) المنازل والديار ص 219، الزهرة ص 269 ط الآباء البسوعيين، بيروت 1932 معجم البلدان: قطن، تحرير التحبير ص519.

غربة واغتراب الصعاليك

الغربة والاغتراب في المجتمعات كافة نتيجة طبيعية لتكوُّن المجتمع من ثنائيات قسرية، فهناك أغنياء وفقراء، وضعفاء وأقوياء، وسادة وعبيد، والحواجز بين فئات المجتمع قاسية، ومن كان ذا إحساس مرهف وشاعرية، يجد الوحشة والوحدة القاسية في وطنه أو قبيلته، ومن ثم يكون الانفصام عن المجتمع، ومن الغربة ما تكون بسبب من تسلط نظام الحكم، أو غربة النفي والسجن، أو غربة اللون والجنس،أو غربة الفقر والسعي لكسب العيش، فيكون الاغتراب للتخلص من كل هذه القيود، فالغربة في الوطن، والغربة أو الاغتراب خارج الوطن.والغربة داخل الوطن أقسى أنواع الغربة فالمغترب يقاسي من العزلة والتمزق والوحشة، وتزداد لوعة وألماً عند المفكرين والشعراء المرهفين.

وقد كان الصعاليك نتاجاً لخروجهم على أعراف القبيلة وتقاليدها وتسلطها، وكان كثير منهم من خُلع وطُرد بسبب جناياتهم وخروجهم على النظام القبلي، ومنهم كان يعيش الغربة داخل قبيلته ورضي بالعبودية، حرصاً على أهله وبناته من الذل والفقر إذا هجر القبيلة وتحرر من ظلمها، وذلك ما كان من حال سحيم عبد بني الحسحاس الذي يقول:(1)

لقد زاد الحياة إليَّ حُبّاً ... بناتي إنَّهُنَّ من الضعافِ
مخافةَ أنْ يذُقْنَ البؤسَ بعدي ... وأنْ يَشْرَبْنَ رَنْقاً بعدَ صافِ
وأنْ يعرينَ إنْ كُسِيَ الجواري ... فتنبو العينُ عن كرمٍ عجافِ

لقد عاش الصعاليك حياة خوف وفزع ووحشة واغتراب، يجوبون القفار وأيديهم على سيوفهم خوف الغارة والغدر ووحشة الصحراء، محرومون من الألفة والأمن لا

(1) ديوان سحيم ص 57، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة 1950.

أهل ولا أنيس غير حيوان البر، وإذا كانوا قد حرموا من أنس الناس فهم يألفون وحش الصحراء ويعوضون وحشتهم بإلف الحيوان، وقد عبر عبيد بن أيوب العنبري عن غربته وتعويض وحوش البر عن الأهل والديار: [1]

أذِقْنيَ طعْمَ الأمنِ أو سَلْ حقيقةً ... عليَّ، فإنْ قامت فقَصِّلْ بنانيا
خسستَ فؤادي فاستُطِيرَ فأصبحتْ ... ترامَى به البيدُ القِفارُ تراميا
كأني وآجالَ الظباءِ بقَفْرةٍ ... لنا نَسَبٌ ترعاهُ أصبحَ دانيا
رأينَ ضئيلَ الشخصِ يظهرُ مرَّةً ... ويخفى مِراراً ضامِرَ الجسمِ عاريا
فأجفَلْنَ نَفْراً ثم قُلْنَ: ابنُ بلدةٍ ... قليلُ الأذى أمسى لكُنَّ مُصافيا

ويخاطب الظباء ويحاورهن ويقص لهن أفعاله وسيرته على أنه واحد من هذا الجمع، فقد عاش عيشتهم، وأكل من طعامهم، وعرف الخوف والقتل والقتال منذ كان ابن عشرين: [2]

ألا يا ظباءَ الرمْلِ أحسِنَّ صُحْبتي ... وأخْفِينَنِي إنْ كانَ يخفَى مكانيا
أكلتُ عُروقَ الشَّرْيِ مَعْكُنَّ والنوى ... بحلقي نَوْرُ القَفْرِ حتى ورَانيا [3]
وبِتُّ ضجيعَ الأسودِ الجَوْنِ بالغضا ... كثيراً وأثناءُ الحشاش وساديا
فقد لاقتِ الغِزْلانُ مِنِّي بَلِيَّةً ... وقد لاقت الغِيلانُ مني الدواهيا
ومنهنَّ قد لاقيتُ ذاكَ فلم أكنْ ... جباناً إذا هولُ الجبانِ اعترانيا
فما زلتُ مُذْ كنتُ ابنَ عشرينَ حِجَّةً ... أخا الحربِ مجنِيّاً عليهِ وجانيا

(1) أشعار اللصوص ص 164.

(2) أشعار اللصوص ص 165.

(3) الشَّري: الحنظل، أو شجره.

ويصف تأبط شرّاً حياة الصعلوك وما يقاسيه من تشرد وغربة ومغامرة دائمة في الصحاري بين الوحش، حيث الجوع والخوف وتوقع الموت في كل حين، يقول: [1]

قليل ادِّخارِ الزَّادِ إلا تعِلَّةً ... وقد نَشَزَ الشُّرسُوفُ والتصَقَ المِعَى[2]

يبيتُ بمغنَى الوحشِ حتى ألِفْنَهُ ... ويُصْبِحُ لا يحمي لها الدهرَ مرتعا

على غِرَّةٍ أو جهرةٍ من مُكانِسٍ ... أطالَ نِزالَ الموتِ حتَّى تسَعْسَعَا[3]

رأينَ فتىً لا صيدُ وحشٍ يُهِمُّهُ ... فلو صافحَتْ إنساً لصافَحْنَهُ معا

ولكنَّ أربابَ المخاضِ يشُفُّهم ... إذا افتَقَروهُ واحداً أو مُشَيَّعا[4]

وكيف أظنُّ الموتَ في الحيِّ أو أُرَى ... ألَذُّ وأكْرَى أو أبيتُ مُقَنَّعا

ولستُ أبيتُ الدهرَ إلا على فتىً ... أُسَلِّبُهُ أو أذعَرُ السَّرْبَ أجمعا[5]

وإنِّي ــ ولا عِلْمٌ ــ لأعْلَمُ أنَّني ... سألقَى سِنانَ الموتِ يبرُقُ أصلعا

ومن يُغْرَ بالأبطالِ لا بُدَّ أنَّه ... سيلقَى بهم من مَصْرَعِ الموتِ مَصْرَعا[6]

وقد عاش الصعاليك في الصحارى مع الوحش وألفتهم الوحوش وألفوها، وأنسوا بها وفضلوها على بني جلدتهم الذين يطاردونهم، يقول عبيد بن أيوب: [7]

---

(1) ديوان تأبط شراً وأخباره ص 115ــ 119، جمع وتحقيق علي ذو الفقار شاكر، ط دار الغرب الإسلامي 1984.

(2)التعلة: القليل من الطعام الذي يتعلل به ويسد به الرمق، الشرسوف: أحد أطراف أضلاع الصدر، التصق المعى: من شدة الجوع، أي انطواء البطن وضمورها.

(3) المكانس من الظباء الملازم لكناسه، وهو الموضع في الشجر الذي يكتن فيه ويستتر.تسعسع: فني وذهب، أي أن الشاعر قد فني عمره وذهب شبابه وهو يطيل نزال الموت.

(4) أرباب المخاض: أصحاب النوق الحوامل، يشفهم: يهزلهم، مشيعاً: له شيعة من صحبه.

(5) يقول في البيتين: كيف أظن أنني أموت في الحي قاعداً ولست أبيت دائماً إلا مطارداً لفتى أسلبه سلاحهُ ومتاعه، أو مغيراً على إبل لقوم أذعرها وأسوقها غنيمة.

(6) من يغر: أي يولع بمصارعة الأبطال فيصرعهم، لابد له من يوم يصرع فيه.

(7) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 134.

وحالفتُ الوحوشَ وحالفتْني بقُرْبِ عهودِهنَّ وبالبِعادِ
وأمسى الذئبُ يرصُدني مخَشَّاً لخِفَّةِ ضرْبتي ولضَعْف آدي[1]
وغولا قَفْرةٍ ذكراً وأنثى كأنَّ عليهما قِطَعَ البِجادِ

ويخرج الشنفرى- حين ينكره قومه- إلى الصحراء مغترباً ويدعو أمثاله من الصعاليك إلى الخروج،ويجد في وحوش البوادي عِوَضاً عن الأهل،فهم الأهل والرفيق، يأمن بينهم من شرور أعدائه:[2]

أقيموا بني أمي صدورَ مطيِّكم فإني إلى قومٍ سواكم لأميَلُ
فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليلُ مُقْمِرٌ وشُدَّتْ لطِيَّاتٍ مطايا وأرحُلُ
وفي الأرضِ منأى للكريمِ عن الأذى وفيها لمن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ
لعَمْرُكَ ما بالأرضِ ضيقٌ على امرىءٍ سرى راغباً أو راهباً وهو يعقلُ
ولي دونكم أهلونَ سِيْدٌ عَمَلَّسٌ وأرقطُ زُهلولٌ وعرفاءُ جَيْأَلُ[3]
هم الرهط لا مستودَعُ السِرِّ شائعٌ لديهم ولا الجاني بما جَرَّ يُخْذَلُ

ويأنس الأُحَيْمِرُ السعدي بالوحش لطول ألفته، ويتطير من صوت الإنسان:[4]

عوى الذئب فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى وصوَّتَ إنسانٌ فكِدْتُ أطيرُ
رأى اللهُ أنّي للأنيسِ لشانِىءٌ وتُبْغِضُهم لي مُقلَةٌ وضميرُ

ويعلل كرهه للناس بسبب تفاوت الناس في الرزق، فأهل الثراء كثير فيضطر أن يغزو ليكون له مال، ويأنف أن يسأل لئام الناس:

---

(1) المخش: الجريء . الآد: القوة والأيد.

(2) ديوان الشنفرى ص66- 67 .

(3) سيد عَمَلَّس: الذئب الخفيف. الأرقط: النمر. الزهلول: الخفيف اللحم. العرفاء:الضبع. الجيأل: اسم من أسماء الضبع.

(4) الشعر والشعراء ص 495 .

وإني لأسْـتَحِي لنَفْـسيَ أنْ أُرى ... أمُـرُّ بحبـلٍ لـيس فيـه بعـيرُ
وأنْ أسـألَ العبـدَ اللئـيمَ بعـيرَهُ ... وبُعْـرانُ ربِّي في الـبلادِ كثـيرُ

وفلسفة الصعاليك أن يعيش أحدهم في الصحراء العريضة يعترض القوافل مقاتلاً وغانماً ومتحدياً الفقر بسلاحه، ولا يقعد في دار الفقر والمذلة، يقول أبو النشناش:[1]

وسـائلةٍ أيـنَ ارتحـالي وسـائلٍ ... ومن يسألِ الـصُعْلوكَ أينَ مذاهِبُـهْ
مذاهِبُـهُ أنَّ الفِجـاجَ عريـضةٌ ... إذا ضـنَّ عنـه بـالنوالِ أقارِبُـهْ
إذا المـرءُ لم يـسرحْ سَـواماً ولم يُـرِحْ ... سَواماً ولم يبسطْ لـه الوجـهَ صـاحِبُهْ
فلَلْموتُ خيرٌ للفتـى مـن قُعُـودِهِ ... عـدِيماً ومـن مـولىً تُعـافُ مـشارِبُهْ
ودوِّيـةٍ قَـفْـرٍ يَحـارُ بهـا القَطـا ... سَرَتْ بأبي النَّـشْناشِ فيهـا ركائبُـهْ[2]
ليُـدْرِكَ ثـأراً أو ليَكْـسِبَ مغـنماً ... ألا إنَّ هـذا الـدهرَ تـترى عجائبُـهْ
فلم أرَ مثلَ الفَقْـرِ ضـاجعَهُ الفتـى ... ولا كـسوادِ الليـلِ أخفـقَ طالِبُـهْ
فعِشْ مُعْـذِراً أو مُـتْ كـريماً فـإنَّني ... أرى الموتَ لا يبقى عـلى مـن يُطالِبُـهْ

ويحث عروة بن الورد أصحابه على المغامرة وطلب الرزق الكريم بالسيف فلا يكون عالة على غيره من ذوي قرباه، ولا يقبل الذل، وخير له أن يسير في فجاج الأرض لطلب الغنى أو الموت الكريم:[3]

إذا المرءُ لم يطلـب معاشـاً لنفسه ... شكا الفَقْـرَ أو لامَ الـصديقَ فـأكثرا
وصارَ على الأدنينِ كَـلًّا وأوشـكتْ ... صِلاتُ ذوي القُرْبـى لـه أنْ تنكَّـرا

(1) الأغاني12/ 201- 202.

(2) الدوية: المفازة، وهي الصحراء الواسعة.

(3) ديوان عروة بن الورد شرح ابن السكيت ص 61- 62، بعناية راجي الأسمر، ط دار الكتاب العربي، بيروت 1997.

وما طالبُ الحاجاتِ من كلِّ وجهةٍ ... من الناسِ ألا مَنْ أجَدَّ وشَمَّرا
فسِرْ في بلادِ اللهِ والتمسِ الغِنى ... تعِشْ ذا يسارٍ أو تموتَ فتُعْذَرا

وحياة الصعاليك حياة غربة وتشرد وضياع وخوف، يتوقع الموت في كل حين فهو، مع جرأته خائف حذر،وهو وحش حائر مذعور يترقب الشر في كل حين، يقول عبيد بن أيوب: (1)

لقد خفتُ حتى لو تمرُّ حمامةٌ ... لقلتُ عدوٌّ أو طليعةُ معشرِ
وخِفْتُ خليلي ذا الصفاءِ ورابني ... وقيلَ فلانٌ أو فلانةُ فاحذَرِ
فأصبحتُ كالوحشيِّ يتبعُ ما خلا ... ويتركُ مأنوسَ البلادِ المدعثرِ (2)
إذا قيلَ خيرٌ قلتُ هذي خديعةٌ ... وإنْ قيلَ شرٌّ قلتُ: حقٌّ فشَمِّرِ

ومهما حاول الصعلوك أن يخفف من آلام الغربة بالانسجام في حياة الصحراء، وما في الصحراء، فإنه يحن أبداً إلى الأهل والوطن، وتزداد آلام الغربة كلما تذكر الزوجة أو الحبيبة، وعاش في خياله بين الأهل والديار، فهذا الخطيم المحرزي (ت 100 هـ) يتمنى حياة الماضي السعيد في ربوع الوطن،وقد بدأ قصيدته يستعطف قومه وهو مسجون بنجران:(3)

أبَتْ لِيَ سَعْدٌ أنْ أُضامَ ومالكٌ ... وحيُّ الرِّبابِ والقبائلُ من عمرِو
وإنْ أدْعُ في القيسيَّةِ الشُّمِّ يأتِني ... قُرومٌ تسامى كلُّهم باذخُ القَدْرِ

ويذكر حنينه وشوقه إلى الأهل والديار:

ألا ليت شعري هل أبيتَنَّ ليلةً ... بأعلَى بُلَيٍّ ذي السَّلامِ وذي السِّدْرِ
وهل أهبِطَنْ روضَ القَطَا غيرَ خائفٍ ... وهل أُصْبِحَنَّ الدهرَ وسطَ بني صَخْرِ
وهل أسمَعَنْ يوماً بُكاءَ حمامةٍ ... تُنَادي حماماً في ذُرى تَنْضُبٍ خُضْرِ

(1) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 142.

(2) المدعثر: الخصب والخير.

(3) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 58- 59.

وهل أرَيَنْ يوماً جيادي أقودُها بذاتِ الشقوقِ أو بأنقائها العُفْرِ

ولم يعدم شعر الصعاليك الذين أدركوا الإسلام من تأثر شعرهم بالإسلام، والإنابة إلى الله في وقت المحنة، وحين يستشعرون المنية وقرب الأجل، فهذا عبيد بن أيوب يسأل الله تعالى المغفرة: [1]

يا ربِّ قد حلفَ الأعداءُ واجتهدوا أيمانهم إنني من ساكني النارِ
أيحلفونَ على عمياءَ ويحَهُمُ ما علمُهم بعظيمِ العفوِ غفَّارِ
إني لأرجو من الرحمنِ مغفرةً ومِنَّةً من قوامِ الدينِ جبَّارِ
وما أخافُ هلاكاً بينَ عفوِهما وما يفوتُهما المستوهِلُ الساري
إني لأعلمُ أني سوفَ يتركُني صحبي رهينَةَ تُرْبٍ بينَ أحجار
فرداً برابيةٍ أو وَسْطَ مقبَرَةٍ تسفي عليَّ رياحُ البارحِ الذاري

ويسأل ربه العفو والغفران عما قدم من أعمال يوم لم يكن له عقل ولا دين: [2]

يا ربِّ عفوَكَ عن ذي توبةٍ وَجِلٍ كأنَّهُ من حِذارِ الناسِ مجنونُ
قد كان قدَّمَ أعمالاً مقاربةً أيام ليس له عقلٌ ولا دينُ

وحين تضيق الحياة بالصعلوك أو اللص يلجأ إلى الله ويطلب العون والمغفرة، وكانت هذه حال جحدر بن معاوية المحرزي (ت حوالي 90هـ) حين كان سجيناً في سجن باليمامة: [3]

إنِّي دعوتُكَ يا إلهَ محمدٍ دعوى فأوَّلُها ليَ استغفارُ
لتجبرني من شرِّ ما أنا خائفٌ ربَّ البريَّةِ ليس مثلَكَ جارُ

(1) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 140- 141 .

(2) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 160 .

(3) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 85 .

تقـضي ولا يُقْـضى عليـكَ وإنَّـما ربي بعلمـكَ تنـزلُ الأقـدارُ

ويحدث نفسه أن كل نفس إلى أجل، ومن الخير أن يدعو الله عالم السر والعلن، ومـا سعادة المرء إلا بالنجاة من النار: [1]

يـانفسُ لا تجزعـي إني إلى أمَـدٍ وكـلُّ نفـسٍ إلى يـوم ومقـدارِ
ومـا يُقَـرِّبُ يـومي مـن مـدى أمـلي فـاقنيْ حيـاءَكِ ترحـالي وتـسيارِ
إني إلى أجَـلٍ إنْ كنـتِ عالمـةً إليـهِ مـا منتهـى علمـي وآثـاري
لله أنـتِ فـإنْ يعـصِمْكِ فاعتـصمي وإنْ كـذبتِ فحـسبي اللهُ مـن جـارِ
إذْعيـهِ سِرّاً وناديـه علانيـةً واللهُ يعلـمُ إعـلاني وإسراري
ومـا الـسعادةُ في الـدنيا لـذي أمـلٍ إنَّ الـسعيدَ الـذي ينجـو مـن النـارِ

فهؤلاء الشعراء الصعاليك في أكثرهم مغتربون غربة اجتماعية وخارجون على أعراف المجتمع وتقاليده ونظمه.

(1) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 88- 89.

غربة اللون

وهناك من كان اغترابه بسبب اللون أو النسب، فقد كان اللون سبباً من أسباب الغربة، وكثير من الصعاليك من أبناء الجواري السود، وكان آباؤهم لايعترفون بهم، أو لايساوونهم مع أبنائهم من أولاد الحرائر، وكثير منهم كان يُنسب لأمه وليس لأبيه، مثل: قيس بن الحدادية، وخُفاف بن نُدْبة، والسليك بن السَّلكة، وكان جُلُّ هؤلاء الصعاليك السود من الفرسان، وإنْ لم يكونوا أحراراً، من ذلك الفارس عنترة ولم يكن صعلوكاً، ولكن مشكلته أنه ابن أمة سوداء ولونه أسود، فلم يكن حراً، وكان أبوه قد قال له في بعض الحروب وقد خشي قوة الأعداء وغلبتهم: «كُرّ وأنت حُر»، فأجابه: «إنَّ العبد لا يُحْسن إلا الحَلْبَ والصَّر»، وكانوا حين يلجأون إلى قوته وفروسيته في الحروب ينادونه بابن الأطايب، وفي غير ها ينادونه بابنِ زبيبة، وقد صور هذه الحال في شعره حين يقول: إنه لم يصبر على هذا الضيم لولا حبه لعبلة:[1]

ينادونني في السلم يابنَ زَبيبَةٍ ... وعندَ صِدامِ الخيلِ يابنَ الأطايبِ

ولولا الهوى ما ذلَّ مثلي لمثلهم ... ولا خضعتْ أُسْدُ الفلا للثعالبِ

سيذكرني قومي إذا الخيلُ أصبحتْ ... تجولُ بها الفرسانُ بينَ المضاربِ

ولم يشفع لهؤلاء السود بياض خُلُقهم وطيبتهم في مجتمع الأحرار، وهذا ما جعل سحيم عبد بني الحسحاس يفاخر بخلقه وجودة شعره تعويضاً عن سواده وعبوديته:[2]

---

(1) ديوان عنترة العبسي ص 22، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1995، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي: عبده بدوي ص 218، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1988.

(2) ديوانه ص54- 55 تحقيق عبد العزيز الميمني، ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1950.

ليس يزري السوادُ يوماً بذي اللُـــ ـــبِّ ولا بالفتى اللبيبِ الأديبِ
إنْ يكـــن للـــسَّوادِ فيَّ نـــصيبٌ فبيـــاضُ الأخـــلاقِ منـــهُ نـــصيبي

وكذلك يقول إن جودة شعره وكرم خلقه يشفعان له ويعوضان عن الأصل والغنى ويكفيه أنه كريم حر النفس: [1]

أشعارُ عبدِ بني الحَسْحَاسِ قُمْنَ له يومَ الفَخارِ مقامَ الأصلِ والوَرِقِ
إنْ كنتُ عبْداً فنفسي حُرَّةٌ كرَماً أو أسودَ اللونِ إنِّي أبيضُ الخُلُقِ

(1) الديوان ص 55

الفصل الثاني

الحنين والغربة في العصر الأموي

وكلما تقدم الزمن صارت صورة الوطن تتضح فيحن إليها الشاعر وهذا الحنين ليس وقفاً على الديار الدارسة كما هو الحال في أكثر الشعر الجاهلي، وإنما للوطن في سعته وشموله وجمال أرضه ومراعيه.

كانت جرهم في مكة تحكم أهل الكعبة، فنازعها بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وخزاعة، فقاتلوا جرهماً وأخرجوها، فكان عمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاض الأصغر الجرهمي يحن إلى مكة ويأسى على خروج قومه منها، ويتذكر أيامه العزيزة الجميلة فيها حيث العز والسلطان، فيشعر أنه الآن غريب عن وطنه:[1]

كأنْ لم يكُن بين الحَجونِ إلى الصَفا ... أنيسٌ ولم يسْمَرْ بمكَّةَ سامرُ

ولم يتربَّعْ واسطاً فجنوبَهُ ... إلى السِرِّ من وادي الأراكةِ حاضِرُ

بلى نحنُ كُنَّا أهلها فأبادَنا ... صروفُ الليالي والجدودُ العواثِرُ

وأبدَلَنا ربِّي بها دارَ غُرْبَةٍ ... بها الجوعُ بادٍ والعدوُّ المحاصِرُ

وكُنَّا وُلاةَ البيتِ من بعدِ نابتٍ ... نطوفُ ببابِ البيتِ والخيرُ ظاهرُ

فأخرجَنا منها المليكُ بقُدْرَةٍ ... كذلكَ ما بالناسِ تجري المقادِرُ

فصرْنا أحاديثاً وكُنَّا بغِبْطَةٍ ... كذلك عضَّتْنا السنونُ الغوابِرُ

وبَدَّلنا كعبٌ بها دارَ غُرْبَةٍ ... بها الذئبُ يعوي والعدوُّ المُكاثِرُ

فسحَّتْ دموعُ العينِ تجري لبلدةٍ ... بها حَرَمٌ أمْنٌ وفيها المشاعرُ

---

(1) معجم البلدان: مكة 5/ 186.

ويهاجر المسلمون من مكة في الإسلام، ولكنهم يحنون إليها،ويتمنون العودة إليها، فهي الأرض والوطن وفيها بيت الله الحرام، كان ابن أم مكتوم عمرو بن قيس (ت 23 هـ) آخذاً بزمام ناقة رسول الله ﷺ وهو يطوف ويتغنى بحب مكة: [1]

يا حبَّذا مكَّةَ من وادي أرضٌ بها أهلي وعُوَّادي
أرض بها ترسخُ أوتادي أرضٌ بها أمشي بلا هادي

وفي المدينة عند الهجرة أصابت الحُمَّى أبا بكرٍ وبلالاً الحبشي، فكان أبو بكر (ت 13 هـ) إذا أخذته الحمَّى يقول:[2]

كلُّ امرىء مُصَبَّحٌ في أهلِهِ والموتُ أدنى من شراكِ نعلِه

وكان بلال (بلال بن رباح الحبشي ت 20 هـ) إذا انقشعت عنه الحمى يرفع عقيرته،يتغنى بأمانيه في المبيت في مواضع بمكة ويشرب من مياه مجنَّة، ويرى المواضع التي يحنُّ إليها:[3]

ألا ليتَ شعري هل أبيتَنَّ ليلةً بفَخٍّ وعندي إذْخِرٌ وجليلُ
وهل أرِدَنْ يوماً مياهَ مَجَنَّةٍ وهل يبدوَنْ لي شامةٌ وطفيلُ

وهذا عروة بن حزام من شعراء صدر الإسلام (توفي سنة 30 هـ) يحن إلى العراق حيث الحبيبة، وتحن ناقته إلى اليمن وطنها، ويصور في مقابلة بين هواه وهوى ناقته ما يشعران من اللهفة والحنين إلى الوطن: [4]

---

(1) معجم البلدان: مكة 5/ 183، وانظر الحنين إلى الوطن: محمد حوَّر ص 143.

(2) معجم البلدان: مكة 5/ 183.

(3) السابق والصفحة، فخ: واد بمكة، وهو وادي الزاهر، الأذخر: الحشيش الأخضر الطيب الرائحة، الجليل: نبت الثمام، مجنة: بلد على أميال من مكة، شامة وطفيل: جبلان على نحو من عشرة فراسخ من مكة .

(4) شعر عروة بن حزام ص 12- 13.

هوى ناقتي خلفي وقُدَّامي الهوى وإنِّي وإيَّاها لمختلفانِ
هوايَ عِراقيٌّ وتُثْني زمامَها لبَرْقٍ إذا لاحَ النجومُ يمانِ
هوايَ أمامي ليس خلفي مُعَرَّجٌ وشوقُ قَلوصي في الغُدُوِّ يمانِ

وعلى الرغم من تعقد الحياة نسبياً في العصر الأموي، وظهور الدولة بطابعها الإسلامي، وسلطان الخلافة الوراثية، إلا أن عوامل الحنين والغربة والاغتراب بقيت في مجملها شبيهة بالعصر الجاهلي، مع ازدياد أسباب الغربة، فبقي النزوح عن الأوطان، والرحيل في طلب الرزق، والهرب من ظلم الولاة وقسوتهم، والزواج في غير الأقارب، بالإضافة إلى الحروب التي كثرت إما بسبب الفتوح، أو الحروب الداخلية في الصراع على الخلافة وظهور الأحزاب.

وكثر الشعر الذي يذكر الغربة والاغتراب والحنين إلى الأهل والأوطان، وقلما نجد شاعراً يخلو ديوانه من ذكر الغربة والشكوى من النأي والبعد والشوق إلى الحبيبة والأهلين.

دواعي الغربة

وكانت القبائل حين يمتنع الغيث ويقل الرزق، ترحل إلى أماكن الخصب، فيقصد شعراؤها السلاطين وأهل الغنى يمدحونهم أملاً في العطايا والهبات، وتتفرق القبيلة ويزداد الشوق والحنين إلى الأهل والأحباب،وتلذعهم آلام البعد والاغتراب، وكثيراً ما يصعب على القبيلة النازحة التلاؤم والانسجام مع البيئة الحضرية التي انتقلوا إليها فيألمون ويحنون إلى بيئاتهم التي ألفوها، وكان للفتوح الإسلامية التي جرفت كثيراً من المجندين الذين عاشوا في بيئات جديدة مختلفة عن بيئاتهم حيث الجبال والوديان والبرد واختلاف الألسنة والوجوه، كل ذلك كان مصدر حنين وشوق إلى بيئاتهم التي ألفوها، وكان من أسباب الغربة أيضاً الزواج في غير القبيلة والبعد عن الأهل والديار، أو خلع المتمردين

الخارجين على العرف والتقاليد، وكان للحروب والفتن الداخلية وما نتج عنها من تشتت وقسوة وبطش أثر في شعور الفرد بأنه غريب مطارد منبوذ، كل ذلك وغيره كان من أسباب الشعور بالغربة والاغتراب.

قلنا إن الفقر والحاجة من الأسباب التي دفعت الشعراء إلى الرحيل إلى الممدوحين أو الانتقال إلى الأقاليم التي يتواجد فيه الرزق والأمان، وقد دفعت الحاجة أبا دهبل الجمحي (ت 63 هـ) أن يرحل إلى الري، فهو يذكر نزوحه وغربته وحنينه إلى دياره، ويشرك الحمام في شوقه وحنينه:[1]

أفي كل عام غربة ونزوحُ ... أما للنَّوى من ونيةٍ فتريحُ
لقد طلح البين المُشِتُّ ركائبي ... فهل أرِيَنَّ البينَ وهو طليحُ
وأرّقني بالريِّ نوحُ حمامةٍ ... فنُحْتُ وذو البَثِّ الغريبُ ينوحُ
على أنّها ناحتْ ولم تذرِ دمعةً ... ونحتُ وأسرابُ الدموعِ سفوحُ
وناحتْ وفرخاها بحيثُ تراهما ... ومن دون أفراخي مهامهُ فيحُ
ألا يا حمامَ الأيكِ إلْفُكَ حاضرٌ ... وغُصْنُكَ ميَّادٌ ففيمَ تنوحُ
أفِقْ لا تنُحْ من غيرِ شيْءٍ فإنَّني ... بكيتُ زماناً والفُؤادُ صحيحُ
ولوعاً وشَطَّتْ غربةً دارُ زينبٍ ... فها أنا أبكي والفُؤادُ قريحُ
عسى جودُ عبدِ الله أنْ يعكسَ النَّوى ... فتضحى عصا التسيارِ وهي طريحُ
فإنَّ الغِنَى يُدني الفتى من صديقِهِ ... وعُدْمُ الغِنى بالمُقْترينَ طَروحُ

وتكون غربة الشاعر شديدة قاسية حين ينتقل إلى بيئة أخرى تخالف بيئته، ولا يستطيع التكيف ولا نسيان أرضه وديارة، وهذا ماكان يعانيه عمرو بن أحمر الباهلي (ت 65 هـ) حين رحل وعشيرته إلى شمالي الشام،وبقي غريباً متذمراً، ساءت حاله وحال من

(1)ديوان أبي دهبل ص 76، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن،ط النجف 1972.

معه بحيث صارت النساء يستجدين ويسألن الطعام، وقد بلين بالجوع والمرض،ويحن أبداً إلى نجد وأهلها: [1]

فيا راكباً إمَّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ ... قبائلَنا بالأخْرَمينِ وجورَمِ [2]

وبلِّغ أبا الوجناءِ موعِدَ قومِهِ ... بحوْرِيتَ تظعَنْ راغباً غيرَ مُقْحَمِ

نأتْ عن سبيلِ الخيرِ إلا أقَلَّهُ ... وعَضَّتْ من الشَّرِّ القَراحَ بمُعْظَمِ

ليَهْنِكُمُ أنَّا نزلنا ببلدةٍ ... كلا مَلَوَيْها مُبْئِسٌ غيرُ مُنْعِمِ [3]

تُمَشِّي بأكنافِ البَليخِ نساؤنا ... أراملَ يستطعِمْنَ بالكَفِّ والفَمِ [4]

نقائذَ بِرْسامٍ وحُمَّى وحَصْبةٍ ... وجوعٍ وطاعونٍ ونَقْرٍ ومَغْرَمِ

وقد تكون غربة الشاعر بسبب الضغوط الاجتماعية، وعقدة اللون والعبودية، وذلك ما يتضح في غربة نصيب بن رباح (ت 108هـ) وكان أسود قبيحاً، فأراد التحرر من ربقة العبودية فلم يستطع، ولكنه بعد لأي هرب إلى مصر والتجأ إلى عبد العزيز بن مروان ن فمدحه وتوسل إليه، وسعى عبد العزيز إلى تحريره، فعاد إلى أهله حراً مسروراً مرفوع الجبين، وقد بَيَّن في شعره حاله وعقدته وسبب غربته، يقول: [5]

وإنَّ وراء ظهري يا ابن ليلى ... أناساً ينظرونَ متى أؤوبُ

أمامةُ منهمُ ولمأقيها ... غداةَ البينِ في أثري غروبُ

تركتُ بلادَها ونأيتُ عنها ... فأشبه ما رأيت بها السلوبُ

فأتبعْ بعضنا بعضاً فلسنا ... نُثيبُكَ لكن اللهُ المُثيبُ

---

(1)شعر عمرو بن أحمر، جمع وتحقيق حسين عطوان ص 152، ط مجمع اللغة العربية، دمشق د.ت.

(2) الأخرمان: جبلان في ديار بني باهلة .

(3)ملويها: الملوان، الليل والنهار، أو الصبح والعشي.

(4) البليخ: نهر بالرقة، البرسام اللداء والموت، النقر: الداء، المغرم: الدَّين .

(5)شعر نصيب بن رباح،جمع وتحقيق داود سلوم ص 63، مطبعة الإرشاد، بغداد 1967 .

وصار بعدها يدفع عن نفسه وصمة اللون ويجعلها ميزة ومأثرة ما دام له لسان مبدع ناطق وجَنان جريء ثابت ، يقول:[1]

ليس السوادُ بناقصي ما دامَ لي ... هذا اللسانُ إلى فؤادٍ ثابتِ
من كان ترفعهُ منابتُ أصلِهِ ... فبيوت أشعاري جُعلنَ منابتي
كم بين أسودَ ناطقٍ ببيانهِ ... ماضي الجَنانِ وبين أبيضَ صامتِ
إني ليحسُدُني الرفيعُ بناؤه ... من فضلِ ذاك وليس بي من شامتِ

وقد تجبر الظروف القسرية على أن يغترب الشاعر كأن يقترف جريمة قتل وتلاحقه الدولة أو أهل القتيل فيهرب معتصماً بالفيافي والقفار، وذلك ما كان من أمر القتّال الكلابي (ت حوالي 110 هـ) الذي قتل رجلاً من قومه فهرب إلى نجد معتصماً بجبل عماية، يقول:[2]

جزى الله عنّا والجزاءُ بكَفِّهِ ... عَمايةَ خيراً أُمَّ كلِّ طريدِ
فلا يزدهيها القومُ إنْ نزلوا بها ... وإنْ أرسلَ السلطانُ كلَّ بريدِ
حمتْني منها كلُّ عنقاءَ عيطلٍ ... وكلُّ صفا جمٍّ القِلاتِ كؤودِ

ويروى في هروبه وخروجه من ديار قومه أن القتال كان مختبئاً عند حبيب بن جبار، فبعث مروان بن الحكم بعثاً،فلما أتوا إلى حبيب، أخرج حبيب ابنته من الحجلة، وأدخل القتال فيها وألبسه ثيابها، ورفع الستر، فلما نظر القوم إلى المرأة استحيوا، ورجع القوم ونجا القتّال، وفي ذلك يقول:[3]

ألا هل أتى فتيانَ قومي أنني ... تسَمَّيْتُ لمّا اشتَدَّتِ الحربُ زينَبا

---

(1)شعر نصيب ص 73 .

(2) ديوان القتال الكلابي ص 45،تحقيق إحسان عباس ط دار الثقافة بيروت 1961.

(3) الديوان ص 35، المحبر لابن حبيب ص 229.

وأدنيتُ جلبابي على نبتِ لحيتي وأبديتُ للقومِ البَنانَ المُخَضَّبا

وقد تكون غربة الصعاليك واللصوص غربة بسبب السياسة والخروج على الدولة أوجور السلطان،وتكون الجبال والصحراء ملاذاً آمناً لهم، وهذا ما كان من أمر مالك بن الريب (ت 60 هـ) الذي كان يخَيِّر حكام بني مروان بين أن ينصفوه أو أن يخرج عليهم، وأرض الله واسعة يغترب فيها وتنجيه من الذل وجور السلطان: [1]

فإنْ تنصفوا يا آلَ مروانَ نقتربْ إليكم وإلا فأذنوا ببعادِ
فإنَّ لنا منكم مراحاً ومزحلاً بعيسٍ إلى ريحِ الفلاة صوادي
وفي الأرضِ عن دارِ المذَلَّةِ مذهبٌ وكلُّ بلادٍ أوطَنَتْ كبلادي
فماذا عسى الحجاجُ يبلغُ جهدُهُ إذا نحنُ جاوزنا حفيرَ زيادِ

وكذلك كان أمر عبيد الله بن الحر الجُعَفي (ت 68 هـ) الذي خرج على مصعب بن الزبير وكان يهدده بغارة شديدة بعد أن بلغه وعيد ابن الزبير: [2]

أتاني وعيدُ ابن الزبيرِ فلم أُرَعْ وما مثل قلبي بالوعيدِ يُروَّعُ
فلا ترمِيَنِّي بالوعيدِ فإنَّني سأتركُ ما تهوى وأنفُكَ أجدَعُ
فإنْ أنا لم أُسعِطْكَ غيظاً بغارةٍ وأصدعُ ما قد كادَ بالأمسِ يُرْقَعُ
فلا وضعتْ عندي حصانٌ قِناعَها ولا قادني للناسِ قلبٌ مُشَيَّعُ
ستعلمُ إنْ مالتْ بي الريحُ ميلةً عليكَ غداً أنِّي أوإياكَ أجزَعُ

(1)شعر اللصوص وأخبارهم ص 264.

(2) شعر اللصوص وأخبارهم ص 220.

غربة الموت

وأشد ما يقاسيه المرء في غربته - سواً أكان صعلوكاً أم لم يكن- أن يموت غريباً فلا يذكره أحد ولا يدري به أهله وأحبابه، فلا تبكيه أم أو بنت أو زوجة أو عمّة، من ذلك غربة بشر بن أبي خازم (ت 22 ق هـ) الذي أصيب بسهم قاتل، فأسف أن يموت غريباً فغربة الموت شديدة قاسية، قال يخاطب ابنته:[1]

أسائلةٌ عُمَيْرةُ عن أبيها ... خِلالَ الجيشِ تعترِفُ الرِّكابا
تُؤَمِّلُ أنْ أؤوبَ لها بنَهْبٍ ... ولم تعلم بأنَّ السهْمَ صابا
فمن يكُ سائلاً عن بيتِ بِشْرٍ ... فإنَّ له بجَنْبِ الرَّدْهِ بابا[2]
ثوى في مُلْحَدٍ لابُدَّ منهُ ... كفى بالموتِ نأياً واغترابا
رهينٌ بِلىً وكلُّ فتىً سيبلى ... فأذري الدمعَ وانتحبي انتحابا
مضى قصدَ السبيلِ وكلُّ حيٍّ ... إذا يُدعى لِمِيْتَتِهِ أجابا

أما أبو الطمحان القيني(ت 30 هـ) فيتخيل كيف سيموت ويترك في لحده غريباً وحيداً، وتبكي عليه النساء، وتندبه النادبات وتنوح على قبره، ويتركه أصحابه ودموعهم تذري حزناً عليه، ويقول: ما ينفع بكاؤهم عليَّ وقد تركوني وحيداً في لحد موحش:[3]

ألا علاني قبل نوح النوائحِ ... وقبلَ ارتقاء النفس بين الجوانحِ
وبعد غدٍ يا لَهْفَ نفسي على غدٍ ... إذا راح أصحابي ولستُ برائحِ
إذا راح أصحابي تفيض عيونهم ... وغودرتُ في لحدٍ عليَّ صفائحي
يقولونَ: هل أصلحتمُ لأخيكمُ ... وما القبرُ في الأرضِ الفضاءِ بصالحِ

---

(1) ديوان بشر بن أبي خازم ص 73- 75 .

(2) الرده: موضع في بلاد قيس، والبيت هنا: القبر.

(3) الحماسة البصرية 1/ 281 .

وأكثر ما كان يستشعر ألم الغربة عند الموت مالك بن الريب (ت 60هـ)، الذي كان يحتضر ويعزُّ عليه أن يموت غريباً فلا يبكي عليه أحد، فهو يتحسر أن يدفن في الصحراء وحيداً لا يحزن عليه غير فرسه وسلاحه:[1]

تذكرتُ من يبكي عليَّ فلم أجدْ ... سوى السيف والرمح الردينيِ باكيا
وأشقرَ محبوكٍ يجرُّ عنانَهُ ... إلى الماءِ لم يتركْ له الموتُ ساقيا
يُقادُ ذليلاً بعد ما ماتَ ربُّهُ ... يُباعُ ببخْسٍ بعدما كان غاليا
ولكنْ بأكنافِ السُّمَيْنةِ نسوةٌ ... عزيزٌ عليهنَّ العشيَّةَ ما بيا
صريعٌ على أيدي الرجالِ بقَفْرةٍ ... يُسوونَ لحدي حيثُ حُمَّ قضائيا

ويستشعر الغربة وحيداً في الصحراء بعد الموت فلا أحد يبكيه، فلو كان بالرمل بين أهله لبكته أمه وأبناته وخالته، أما زوجته فأشدهن بكاءً وفجيعة فبكاؤها يثير الباكيات:

أقلِّبُ طرفي حول رحلي فلا أرى ... به من عيون المؤنساتِ مُراعيا
وبالرملِ مِنَّا نسوةٌ لو شَهِدْنني ... بكَيْنَ وفَدَّيْنَ الطبيبَ المُداويا
فمنهنَّ أمي وابنتايَ وخالتي ... وباكيةٌ أخرى تُهيجُ البواكيا

وكل إنسان يضعف عند الموت، فحتى الشنفرى (ت 70 ق هـ) على توحشه في الصحاري وقوته وفروسيته، كان يبكي حنيناً واغتراباً حين استشعر الموت ودنو الأجل، ويأسى أن يكون وحيداً في الصحراء لا يبكي عليه أحد، ويُقِرُّ أن الموت حق لابد أن يصيب كل مخلوق:[2]

ألا لا تلمني إنْ تشكَّيتُ خلَّتي ... شفاني بأعلى ذي الحُمَيْرةِ عَذْرَتي

(1) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 293- 294.

(2) ديوانه ص 99 .

إذا مـا أتتْنـي ميتتـي لم أبَـلْ بهـا ولم تَـذْرِ خـالاتي الـدموعَ وعَمَّتـي
ولـو لم أرِمْ في أهـلِ بيتـي قاعِـداً إذَنْ جـاءني بـينَ العمـودَيْنِ حُمَّتـي

المرأة واغتراب الرجل

يرحل الرجل طلباً للرزق، أو يلتحق بالجند الفاتح، وتبقى المرأة حزينة بائسة تشفق على زوجها ويلوعها الفراق، وتشاركه آلام الغربة والوحدة، وقد صور الشعراء ما تفعل الغربة بالمرأة وأبنائها، فهذه امرأة عبد الله بن الزبير الأسدي (ت 75 هـ) تتشبث بزوجها، وتقطّع كبدها لوعة الفراق:[1]

عـشيَّةَ قالـتْ والركـابُ مُناخـةٌ بأكوارهـا مـشدودة: أيـن تـذهبُ
أفي كـلِّ مـصرٍ نـازحٍ لـك حاجـةٌ كذلك (مـا) أمـرُ الفتـى المتـشَعِّبُ
فـوالله مـا زالـت تُلَبِّـثُ نـاقتي وتُقْسِمُ حتى كادتِ الـشمسُ تغـربُ
دعينـي مـا للمـوتِ عنـيَ دافـعٌ ولا للـذي ولَّى مـن العيـشِ مطلـبُ

وتشفق الزوجة على فراق زوجها وتخشى الغربة ومآسيها وأن يصيبه مكروه، ويدور بين الزوجين حوار شجي ساعة الفراق، تمثل في قول طريح بن إسماعيل الثقفي (ت 165 هـ) حيث يقول:[2]

تقولُ والعيسُ قد شُدَّتْ بأرحُلِها أحَقَّ أنَّـك مِنَّـا اليـومَ مُنطلِـقُ ؟
قلتُ نعم فاكظمي قالتْ وما جلـدي ولا أظـنُّ اجتماعـاً حـين نفـترقُ
فقلتُ إنْ أحْيَ لا أُطـوِلْ بِعـادَكمُ وكيفَ والقلـبُ رهـنٌ عنـدكم غَلَـقُ
فارقْتُها لا فؤادي من تذَكُّرِهـا سَـالي الهمـومِ ولا حَـبْلي لهـا خَلَـقُ

(1)شعر عبد الله بن الزبير الأسدي، تحقيق يحيى الجبوري ص 50، ط وزارة الإعلام بغداد 1974.

(2) شعر طريح الثقفي ص 98، جمع وتحقيق بدر أحمد ضيف،ط دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية 1987، وانظر الاغتراب في الشعر الأموي ص 35.

فاضَتْ على إثْرِهم عيناكَ دمعُهما ... كما تتابعَ يجري اللؤلؤُ النَّسَقُ
فاسْتَبْقِ عينَكَ لا يودي البُكاءُ بها ... واكْفِفْ بوادِرَ دمْعٍ منك تسْتَبِقُ
ليس الشؤونُ وإنْ جادتْ بباقيةٍ ... ولا الجُفونُ على هذا ولا الحَدَقُ

ومن المشاهد المؤثرة مشهد توديع الأب المغترب وتعلق البنت بأبيها، وخوفها من المصير المجهول وبقائها بعده غريبة وحيدة عاجزة مع أخوة صغار قاصرين ورضَّع يتوقون لحنو الأب، فالبنت تتعلق بأبيها وتحذره باكية من مغبة الرحيل، وما سيحل بهم من قطيعة القريب والغريب،ويقوم بينهما حوار مؤثر تحاول البنت أن تقنع أباها بالعدول عن الرحيل وأنهم يرضون بالرزق القليل، ولكن الأب عازم على الرحيل، ويحاول أن يصبرها بأن لابد من الخضوح للقدر المحتوم، هذه المشاهد المعبرة والمؤثرة يعرضها حاجب الفيل (ت 120) في قصيدة الوداع الأليم: [1]

لَمّا رأت بنتي بأنّي مزمعٌ ... بترحُّلٍ من أرضها فمودِّعُ
ورأت ركابي قُرِّبتْ لرحالها ... قالتْ وغَرْبُ العينِ منها يدمع
أبتا أتتركُنا وتذهبُ تائهاً ... في الأرضِ تخفضُكَ البلادُ وترفعُ
فيضيعُ صِبيَتُكَ الذينَ تركتَهم ... بمُضيمةٍ في المِصْرِ لم يترعْرَعوا
فيهم صغيرٌ ليس ينفعُ نفسَه ... وصغيرةٌ تبكي وطفلٌ يرضعُ
إنّا سنرضى ما أقَمْتَ بعيشِنا ... ما كان من شَيْءٍ نجوعُ ونشبعُ
واللهُ يرزُقُنا فنرضى رِزْقَهُ ... وكفى بحُسْنِ معيشةٍ مَنْ يقنَعُ
إذا ما غِبْتَ عنّا لم نجدْ ... مما تخلَّفَ عندنا ما ينفعُ
تجفو موالينا ويعرضُ جارُنا ... وقريبُنا الأدنى يعزُّ ويقطعُ

(1) حاجب الفيل حياته وما تبقى من شعره، مجلة المورد المجلد15، العدد الأول سنة 1986، ص188، والاغتراب في الشعر الأموي ص 36 .

ونخـاف أن نلقـاكَ وَشْـكَ مَنِيَّـةٍ ... فيُـصيبُنا الأمـرُ الجليـلُ المُفْظِـعُ
فنـصيرُ بعـدَكَ لـيس يُرْفَـعُ بيننـا ... ويـذلُّنـا أعـداؤنا ونُـضَيَّعُ
هـذا الرحيـلُ وأمرُنـا مـا قـد تـرى ... فمتـى تـؤوبُ إلى الـصغارِ وترجَـعُ
فخُنِقْـتُ مـن قـولِ الـصَّغارِ بعَـبْرَةٍ ... كـادَ الفـؤادُ لقَـوْلِهم يتـصَدَّعُ
وأجَبْتُهـا: صَـبْراً بنَيَّـةُ واعلمـي ... أنْ لـيس يعـدو يومَـهُ مَـنْ يجـزَعُ

غربة الجند الفاتح

ومن صور الغربة ما كان يعبر عنها الجنـد الـذاهب في الفتـوح في بـلاد لم يعرفوهـا وبيئات لم يألفوها،وكان الجنـد الـذاهبون في الفتـوح في خراسـان حيـث الجبـال والـبرد والثلوج، يتذمرون ويحنون إلى ديارهم، يقول أعرابي يراد به أن يذهب إلى همذان: (1)

وكيـف أجيـب داعـيكم ودوني ... جبـالُ الـثَّلْجِ مـشرفـةُ الرِّعـانِ
بـلادٌ شَـكْلها مـن غـيرِ شَـكلي ... وألـسنها مخالفـةٌ لـساني
وأسـماءُ النـساءِ بهـا زنـانٌ ... وأقْـرِبْ بالزَّنـانِ مـن الـزواني

ويذكر المقاتلون غربتهم بهذه الأمكنـة الأعجميـة البعيـدة التـي لم يألفوهـا، ويغلبهم الحنين والشوق إلى أهلهم وأوطانهم، وقد أصيب بعض الجند الذين معهم، قـال كثـير بـن عبد الله المعروف بابن الغَريرة التميمي (ت 70 هـ) يرثي القتلى في الطالقان والجوزجان مـن بلاد خراسان في إمرة الأقرع بن حابس، ويذكر غربته وحنينه إلى الأهل والوطن:(2)

سـقى مُـزْنُ الـسحابِ إذا استهلَّتْ ... مـصارعَ فِتْيَـةٍ بالجُوزَجـانِ
إلى القـصرينِ مـن رُسْـتاقِ خُـوْطٍ ... أبـادَهُمُ هنـاكَ الأقرعـانِ
ومـا بي أنْ أكـونَ جزعْـتُ إلا ... حنـينَ القلـبِ للـبرْقِ الـيماني

(1) معجم البلدان : همذان.

(2)الأغاني 11/ 279- 281.

وبعد أن يتحدث عن المعارك وبطولته يحن إلى أهله، ويذكر ما يكون من أمر نسائه وبناته حين يعلمون بمصرعه في هذه الحروب النائية:

وتبكيني نوائحُ مُعولاتٌ ... تُرِكْنَ بدارِ مُعْتَرَكِ الزمانِ
حبائسُ بالعراقِ مُنَهْنَهاتٌ ... سواجي الطَّرْفِ كالبقرِ الهِجانِ
أعاذلتَيَّ من لومٍ دعاني ... وللرَّشَدِ المُبَيَّنِ فاهْديانِ

ويشكو ورد بن الورد الجعدي من بني كعب،الغربة في رامهرمز ويحن إلى دياره ويذكر أيامه وأصحابه في القليب الفرد من أيمن الحمى:[1]

أمغترباً أصبحتُ في رامَهُرْمُزٍ ؟ ... ألا كلُّ كعبيٍّ هناكَ غريبُ
إذا راحَ ركْبٌ مُصْعِدونَ فقَلْبُهُ ... مع المصعدينَ الرائحينَ جنيبُ
وإنَّ القليبَ الفرْدَ من أيمنِ الحِمى ... إليَّ وإنْ لم آتِهِ لحبيبُ
ولا خيرَ في الدنيا إذا لم تَزُرْ بها ... حبيباً ولم يطرَبْ إليكَ حبيبُ

وكثيراً ما يُستثار الغريب وتستعر هواجسه، برؤية الطير الذي يشاركه الغربة ويثير أشجانه، يقول بعض الأعراب المغتربين يناجي قمرية الوادي:[2]

أقُمْريَّةَ الوادي التي خان إلفَها ... من الدهرِ أحداثٌ أتتْ وخطوبُ
تعالَيْ أُطارِحْكِ البُكاءَ فإنَّنا ... كلانا بمَرْوِ الشاهجانِ غريبُ

وقد أثار هذان البيتان إعجاب الحافظ الدمشقي مسعود بن الحسن (قدم مرو ومات بها سنة 543هـ) فأضاف إليها وقال يذكر غربته ويعجب للغريب كيف لايموت شوقاً إلى أحبابه وصبابة:[3]

---

(1)معجم البلدان: رامهرمز 3/ 17- 18 .

(2) معجم البلدان: مرو 5/ 114.

(3) السابق والصفحة.

أخِـلايَ إنْ أصـبحتمُ في ديـارِكم فـإنّي بمـرو الـشاهجانِ غريـبُ
أموتُ اشتياقاً ثـم أحيـا تـذَكُّراً وبـينَ التراقـي والـضلوعِ لهيـبُ
فـما عجـبٌ مـوتُ الغريـب صَـبابةً ولكـنْ بقـاهُ في الحيـاةِ عجيـبُ

وعند مرو هذه يصاب مالك بن الريب (ت 60) وكان مع الجند الفاتح، وتشتد أوجاعه فيحتضر ويشعر بدنو منيته غريباً مشوقاً متألماً، فيوصي صاحبي رحله أن يؤديا حق الميت من كفن ودفن،ويترك بعدها وحيداً في قبر ناءٍ عن الأهل غريباً: (1)

ولما تراءت عند مـروَ منيتي وخـلَّ بها جسمي وحانتْ وفاتيا
أقـولُ لأصـحابي أرفعـوني فإنـهُ يَقَـرُّ بعيني انْ سُـهَيلٌ بـدا ليـا
فيا صاحبي رحلي دنـا الموتُ فـانزلا برابـيةٍ إنـي مـقيمٌ ليـالـيا
أقيما عـليَّ اليـومَ أو بعـض ليلـةٍ ولا تعجـلاني قـد تبَـيَّنَ شـانيا
وقوما إذا ما استُلَّ روحـي فهَيِّئـا لِيَ الـسِّدْرَ والأكفـانَ ثـم ابكيـا ليـا
وخُطَّا بأطراف الأسِنَّةِ مـضجعي ورُدَّا عـلى عينـيَّ فـضلَ ردائيـا
ولا تحـسداني بـارك اللهُ فـيكما من الأرضِ ذاتِ العُرْضِ أنْ توسِعا ليـا
خُـذاني فجُـرَّاني بـبُرْدي إلـيكما فقد كنتُ قبلَ اليـومِ صـعباً قياديـا

ويغلبُ الحنينُ والشوق هؤلاء المقاتلين، فيذكرون أوطانهم فهم لم يألفوا هذه البيئات التي تكثر فيها الثلوج،ويصف الناس كيف يسيرون في البرد مقرورين،وأين من هذا بر العراق وخيره، يقول أحد الشعراء الذين سئموا الغربة وركبتهم العلل: (2)

وأرى بمـرو الـشاهجانِ تنكَّـرتْ أرضٌ تتـابعَ ثلجُهـا المـذرورُ
إذ لا تـرى ذا بـِزَّةٍ مـشهورةٍ إلا تخـالُ بأنـه مقـرورُ

(1) أشعار اللصوص ص294، معجم البلدان: مرو.

(2) معجم البلدان : مرو 5/ 115.

كلتـــا يديـــهِ لا تُزايـــلُ ثوبَـــهُ كـــلَّ الـــشتاءِ كأنـــه مأســـورُ
أسـفاً عـلى بَـرِّ العـراقِ وبحـرهِ إنَّ الفـــؤاد بـــشجوهِ معـــذورُ

وغربـة المقـاتلين تـزداد كلـما قـرب الـشتاء الـذي لايـستطيعون تحملـه في بـلاد العجم،فهذا مالك بن الريب يسأل قائده سعيد بن عثمان أن يعجل بالقفول قبل هجمـة الشتاء:[1]

هبَّتْ شَمالٌ خريـقٌ أسـقطتْ وَرَقـاً واصْفَرَّ بالقاعِ بعدَ الخُضرةِ الشَّبحُ
فارحلْ هُدِيْتَ ولا تجعَلْ غنيمَتَنـا ثلجـاً يُـصَفِّعُهُ بالتـرمـذِ الـريحُ
إنَّ الـــشتاءَ عـــدوٌّ مـــا نقاتِلُـــهُ فاقفِلْ هُدِيْتَ وثوبُ الدِّفْءِ مَطْروحُ

وكان الشعور بالغربة يزداد سوءاً وتذمراً كلما بقي الجند زمناً طـويلاً، وبخاصـة إذا انقلب النصر إلى هزائم،وعَمَ القحط والجوع، بسبب ضـعف القيـادة وظلمهـا وبخلهـا وأنانيتها، وهذا ما يصوره أعشى همدان (ت 83 هـ) الذي كان ببلاد مكران ورتبيل:[2]

أسـمعتَ بـالجيش الـذين تفرقـوا وأصـابهم رَيْـبُ الزمـانِ الأعْـوَجِ
حُبِـسوا بكابُـلَ يـأكلون جيـادَهُم بـــأضرَّ منـــزلةٍ وشَرِّ مُعـــرَّجِ
لم يلـقَ جـيشٌ في الـبلادِ كـما لَقُـوا فلمـثلِهم قُـــلْ للنـوائحِ تنْـشِجِ

ويخاطب القائد السيِّء عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي (ت 79 هـ)، ويـصف سـوء تدبيره وجشعه بحيث صار يتاجر بأقوات الجنـد ومـيرتهم، فـصار لنهمـه ولؤمـه سـميناً قصيراً قبيحاً:

---

(1) فتوح البلدان للبلاذري،تحقيق صلاح الدين المنجد 3/ 508 ط مكتبة النهضة المصرية 1957، أشعار اللصوص ص261، وانظر الاغتراب في الشعر الأموي لفاطمة السويدي ص 20.

(2) ديوان أعشى همدان ص 93 تحقيق حسن أبو ياسين، ط دار العلوم، الرياض 1983،وكتاب الصبح المنير ص 317-318.

وُلِّيتَ شأنهمُ وكُنتَ أميرَهم ... فأضعتَهم والحربُ ذاتُ تَوَهُّجِ
ما زلتَ نازِكَهُمْ كما زعموا أباً ... وتَفُلُّهُمْ وتسيرُ سيرَ الأهوجِ
وتبيعهم فيه القفيزَ بدِرْهَمٍ ... فيظلُّ جيشُكَ بالملامةِ يَتَّجي
ومَنَعْتَهمْ ألبانَهم وشعيرَهم ... وتجرْتَ بالعِنَبِ الذي لم ينضجِ
وتهَكْتَ ضَرْباً بالسياطِ جلودَهمْ ... ظُلْماً وعُدواناً ولم تتحَرَّجِ
والأرضُ كافرةٌ تُضَرِّمُ حولَكُم ... حُرَباءَها بُعِجَتْ ولَمَّا تُنْتَجِ
فتساقطوا جُوعاً وأنتَ ضُفَنْدَدٌ ... شبعانُ تُضبِحُ كالأبَدِّ الأفْحَجِ[1]

ومن شعراء الفتوح الذين ماتوا غرباء وهم يحنون إلى أوطانهم الصِّمَّة بن عبد الله القشيري (ت 95)، فقد خرج مع الجيش إلى بلاد الديلم، فمات في طبرستان، وذكر الأصفهاني رواية مؤثرة تروي موت الصِّمَّة: قال رجل من أهل طبرستان كبير السن: «بَيْنا أنا يوماً أمشي في ضيعة لي فيها ألوان من الفاكهة والزعفران، وغير ذلك من الأشجار، إذ أنا بإنسان في البستان مطروح عليه أهدام خُلْقان، فدنوتُ منه، فإذا هو يتحرك ولا يتكلم، فأصغيتُ إليه، فإذا هو يقول بصوت خفيٍّ:[2]

تعَزَّ بصبرٍ لا وجَدِّكَ لا ترى ... سنامَ الحِمى أخرى الليالي الغوابِرِ
كأنَّ فؤادي من تذَكُّرِه الحِمى ... وأهلِ الحِمى يهفو به ريشُ طائرِ

قال: فما زال يردد هذين البيتين حتى فاضت نفسُهُ، فسألتُ عنه، فقيل لي: هذا الصمة بن عبد الله القُشيري».

(1) الضفندد: الضخم الأحمق، الأبد: المتباعد ما بين الفخذين لسمنه، الأفحج: المائل القدمين.

(2) الأغاني 6/ 8، ديوان الصمة القشيري ص 98.

وروى جماعة من بني قُشير:أن الصِّمَّة خرج في غَزيٍّ من المسلمين إلى بلد الديلم فمات بطبرستان، وكان في غربته يشتاق إلى أهله ويحن إلى وطنه ويدعو له بالخير والسقيا التي تورث الخير: [1]

ألا تسألانِ اللهَ أنْ يسقي الحمى ... بلى فسقى اللهُ الحمى والمطاليا [2]

وأسألُ من لاقيتُ هل مُطِرَ الحِمى ... فهل يسألنْ عنِّي الحِمى كيفَ حاليا

وهكذا نجد أن الشعر الذي قيل في الغربة يمثل الحنين إلى الوطن، فأجسام هؤلاء المقاتلين والمغتربين في بلاد الغربة، ولكن أرواحهم وعواطفهم ومشاعرهم ووجودهم المعنوي كله، في أوطانهم وديارهم التي شهدت ولادتهم ونشأتهم ومرعى صباهم.

أما الجيل الثاني من أبناء هؤلاء فقد نشأوا في تلك الديار النائية عن الجزيرة العربية فتكيفوا وتأقلموا، وشعروا أن هذه البلاد الجديدة بلادهم فلم يشعروا بالغربة في حياتهم الجديدة.

ومن الشعر المؤثر الذي يمثل الغربة والحنين إلى الأوطان شعر عوف بن محلم الخزاعي (ت 220 هـ)[3]، كان مع طاهر بن الحسين في أسفاره وحروبه في الريِّ، وكان طاهر يعتز بصحبته فهو أديب شاعر جيد المنادمة، وتوفي طاهر فلزمه ابنه عبد الله ولم يدعه يرجع إلى أهله في حرَّان أو رأس العين،وأغدق عليه العطايا،ولكن اغتراب محلم قد طال، وسمع حمامة تنوح فهيَّجت أشجانه فقال: [4]

---

(1) الأغاني 6/ 7، ديوانه ص 137.

(2) الحمى: كل ما هو من أرض القبيلة. المطالي: أرض واسعة من بلاد أبي بكر بن كلاب. مراصد الإطلاع، معجم البلدان: المطالي.

(3) هناك عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان من أشراف العرب في الجاهلية توفي سنة 45 ق هـ / 580 م وقد يخطىء بعضهم فيظنهما واحداً.

(4) طبقات الشعراء لابن المعتز ص 187.

أفي كـلِّ عـامٍ غـربةٌ ونـزوحُ ... أمـا للنَّـوى مـن وَنْيَـةٍ فـتُريحُ
لقـد طلَّـحَ البـينُ المُشِتُّ ركـائبي ... فهـل أرَيَـنَّ البـينَ وهـو طلـيحُ
وأرَّقنـي بـالرَّيِّ نـوحُ حمامـةٍ ... فنحْـتُ وذو اللُّـبِّ الحـزين ينـوحُ
عـلى أنهـا ناحـتْ فلـم تُـرِ عَـبرةً ... ونُحْـتُ وأسرابُ الـدموعِ سُـفُوحُ
وناحـتْ وفرخاهـا بحيـثُ تراهمـا ... ومـن دون أفراخـي مهامـهُ فـيحُ
ألا يـا حمامَ الأيْـكِ فرخُـكَ حـاضرٌ ... وغُـصْنُكَ ميَّـادٌ فـفيمَ تنـوحُ
عسى جودُ عبد الله أن يعكسَ النـوى ... فتُضحي عصا التَّسْيارِ وهـي طـريحُ
فإنَّ الغِنى يُدْني الفتـى مـن صـديقهِ ... وعُـدْمُ الغِنـى للمعـسرينَ طـروحُ

فاستعبر عبد الله بن طاهر ورقَّ له لما سمع من تشوقه إلى أهله وبلده، وأذن له بالعودة إلى أهله وأكرمه غاية الإكرام. وقال عوف وهو يودع عبد الله بن طاهر ويذكر ضعفه وشيخوخته:[1]

يـابنَ الـذي دانَ لـه المـشرقانْ ... وألـبسَ الأمـنَ بـه المغربـانْ
إنَّ الثمانـينَ - ويُلِّغْتَهـا - ... قـد أحوجَـتْ سـمعي إلى ترجمـانْ
وأبـدَلَتْني بالـشطاطِ انحنـا ... وكنتُ كالصَّعْدةِ تحتَ السِّنان[2]
وعوَّضـتْني مـن زَمـاع الفتـى ... وهمِّـهِ هَـمَّ الهجـين الهِـدان[3]

ويذكر حنينه إلى الوطن ويتذكر أيام الصِّبا، ويسأل الأمير أن يقربه من وطنه قبل الموت:

---

(1) طبقات ابن المعتز ص 187 ـ 188.

(2) الشطاط: الاعتدال وحسن القوام الصعدة: القناة المستوية.

(3) الزماع: المضاء في الأمر. الهدان: الأحمق.

وهِمْتُ بالأوطانِ وجْداً بها ... وبالغَواني أينَ مني الغَوانْ
فقرِّباني - بأبي أنتما - ... من وطني قبل اصفرار البنانْ
وقبلَ منعايَ إلى نسوةٍ ... أوطانها حَرَّان فالرقمتانْ

ويدعو لقصور آل طاهر بالعَمار والسُّقيا:

سقى قصورَ الشادياخِ الحيا ... من بعد عهدي وقصورَ الميَانْ
فكم وكم من دعوةٍ لي بها ... أن تتخطَّاها صُروفُ الزَّمانْ

ثم ودَّع عبد الله بن طاهر وخرج عوف فرحاً بالعودة إلى الوطن، ولكن هذه الفرحة لم تتم،فقد عاجلته المنية وهو في بعض الطريق، فلم يصل إلى أهله، واتصل الخبر بعبد الله، فاشتد ذلك عليه وجزع له.

وقد حفل العصر الأموي بشعر كثير يصور الاغتراب السياسي والاجتماعي، وإذا أردنا أن ندخل شعر الأحزاب السياسية كالخوارج والشيعة والزبيرية والموالي، فسوف تتوسع دائرة الاغتراب وتتجاوز مفهومها، لأن شعر هؤلاء هو شعر سياسي،له موقف من السلطة، والشاعر في المفهوم الدقيق غير مغترب، لأنه منتمي إلى حزب أو فئة تؤمن بقضية، فهو ليس غريباً ولا مغترباً، ولذلك سنعدل عن شعراء الأحزاب السياسية، ونقف عند الأفراد المغتربين بسبب ظلم السلطة أو الجوع والضياع، أو خلع القبيلة لبعض أفرادها الخارجين على عرف القبيلة، وقد انضم هؤلاء إلى مجموعة الصعاليك الذين يمثلون الغربة وعاشوا غربتهم القسرية. والصعلكة تمثل التمرد والخروج على الأعراف الاجتماعية والقبلية التي تحد من حريتهم، وقد سعى الصعاليك إلى التحرر من السلطة، وكسروا الروابط والأعراف الاجتماعية، ووقف المجتمع بأعرافه وتقاليده ضد هذا التمرد والفوضى.

شعر التظلم من السلاطين والولاة

وأكثر الشعر الذي يمثل الاغتراب في العصر الأموي هو صدى لظلم السلطان وقسوة الولاة، فظهر تحت وطأة الظلم والتذمر في وقت مبكر من العهد الأموي، ففي زمن معاوية، جاء عُقيبة بن هبيرة الأسدي (ت 50 هـ) إلى معاوية وقدم له رقعة فيها هذه الأبيات:[1]

معاويةَ إنَّنا بشرٌ فأسجِحْ ... فلسنا بالجبالِ ولا الحديدِ
أكلتمْ أرضَنا وجَذَذْتموها ... فهل من قائمٍ أو من حصيدِ
فهَبْنا أُمَّةً هلكَتْ ضياعاً ... يزيدُ أميرُها وأبو يزيدِ
أتطمعُ بالخلودِ إذا هلكنا ... وليس لنا ولا لكَ من خلودِ
ذروا جَوْرَ الخِلافةِ واستقيموا ... وتأميرَ الأراذلِ والعبيدِ

وكان التذمر من السعاة، وهم عمال الصدقات، وقسوتهم وما ينزلونه بالناس من ضرب وجلد وتكبيل، لاستخراج الأموال قسراً،وخاصة حين يكون جدب وعوز، صار الناس يعيشون في غربة وهم بين أهليهم وأوطانهم فقراء، وقد قيل:الفقر في الأوطان غربة.

ومن القصائد المؤثرة في الشكوى ووصف جور السعاة وأخذ أموال الناس عنوة بالتعذيب والتكبيل والجلد بالسياط، قصيدة الراعي النميري (ت 90 هـ) التي كانت وثيقة شكوى يعرضها على عبد الملك بن مروان ، يصور فيها ما فعل السعاة بقومه وأخذوا أموالهم ظلماً وعدواناً بما يخالف شرع الله، وقد أنزلوا بعريفهم صنوف العذاب فكبلوه وجلدوه،وبقيت القبيلة في فقر وحزن وضياع، يقول:[2]

---

(1) العقد الفريد 1/ 50، 6/ 168- 169، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1997.

(2) ديوان الراعي النميري ص 226-238، تحقيق راينهرت فايبرت، ط بيروت 1980.

أبلـغ أمـير المـؤمنين رسـالة ... شـكوى إليـك مُطِلَّـةً وعـويلا
مـن نـازحٍ كتُـرتْ إليـك هُمُومُـه ... لـو يـستطيعُ إلى اللقـاءِ سـبيلا
طـال التقلُّـبُ والزمـانُ ورابَـهُ ... كـسَلٌ ويكـرهُ أن يكـونَ كـسولا

ويعرض عليه أمر عشيرته وما أصابهم من جوع وسوء حال، وأنهم على العهد والطاعة مسلمون حنفاء، ولكن الظلم قد حاق بهم من ولاة الجور:

أوليَّ أمـرِ الله إنَّـا معـشرٌ ... حُنفـاءُ نـسجد بُكـرَةً وأصـيلا
عَـرَبٌ نـرى لله في أموالنـا ... حَـقَّ الزكـاةِ مُنَـزَّلاً تنـزيلا
قـومٌ عـلى الإسـلامِ لَمَّـا يمنعـوا ... مـاعونَهم ويـضَيِّعوا التهلـيلا
فـادفع مظـالمَ عَيَّلَـتْ أبناءنـا ... عنَّـا وأنقِـذْ شِـلْوَنا المـأكولا

ويصف له ما عمله السُعَاة بالقبيلة وعريفها من ظلم وتعذيب وتزوير، وأخذوا خيار المال والحيوان ولم يتركوا إلا العِجاف، وكتبوا على القبيلة كتباً باطلة مزورة، فأصبحت في بؤس وسوء حال:

إنَّ الـسعاةَ عَـصَوكَ حـين بعَثْـتَهمْ ... وأتَـوْا دواعـيَ لـو علمـتَ وغُـولا
إنَّ الـذين أمـرتَهم أن يعـدلوا ... لم يفعلـوا مِمَّـا أمـرتَ فتـيلا
أخـذوا العريـفَ فقطَّعـوا حيزومَـهُ ... بالأصـبحيَّةِ قائـماً مغلـولا
حتـى إذا لم يتركـوا لعظامـه ... لحـماً ولا لفـؤادِهِ معقـولا
نـسيَ الأمانـةَ مـن مخافـةِ لُقَّـح ... شُـمْسٍ تـركْنَ بـضَبْعِهِ مجـزولاً
كتـبَ الـدُّهَيمُ ومـا تجمَّـعَ حولَهـا ... ظُلْـماً فجـاءَ بعَـدْلِها مَعْـدولا
وغَدَوْا بـصَكِّهمُ وأحـدَبَ أسـارَتْ ... منـهُ الـسِّياطُ يراعـةً إجفـيلا
من عاملٍ منهم إذا غَيَّبْتَـهُ ... غـالى يُريـدُ خيانـةً وغُلـولا
خَرِبِ الأمانةِ لـو أحَطْـتَ بفِعلِـهِ ... لتركْـتَ منـهُ طابِقـاً مفـصولا

ويبدو أن هؤلاء السعاة الظَّلَمة لم يكتفوا بأخذ خيار أموال القبيلة،وجعلوهم فقراء يتكففون، بل أخذوا عليهم صكوكاً على أنهم مدينون للدولة،فجعلوهم كالأرقاء يعملون وينتجون لغيرهم من المتسلطين:

كُتُباً تركْنَ غنيَّنا ذا خَلَّةٍ ... بعدَ الغِنى وفقيرَنا مهزولا
أخذوا حُمُولَتَهُ فأصبحَ قاعِداً ... لا يستطيعُ عن الديارِ حويلا
كهُداهِدِ كَسَرَ الرُّماةُ جَناحَهُ ... يدعو بقارِعةِ الطريقِ هَديلا

ويبيِّن للخليفة أنهم مسلمون صالحون يؤدون الزكاة بحقها، ولكن العمال يبالغون فيأخذون أموال القبيلة، وجعلوا الجميع بظلمهم فقراء لا يملكون شيئاً، وقد خالفوك فما بهذا أمرتَهم، ولا بها أمر الإسلام: (1)

أزرى بأموالنا قومٌ أمرتَهُمُ ... بالعَدلِ فينا فما أبْقَوْا وما قَصَدوا
نُعطي الزكاةَ فما يرضَى خطيبُهُمُ ... حتى نُضاعِفَ أضعافاً لها غُدَدُ
أما الفقيرُ الذي كانت حَلوبَتُهُ ... وَفْقَ العِيَالِ فلم يُتْرَكْ لهُ سَبَدُ
واختَلَّ ذو المالِ والمُثْرونَ قد بقيتْ ... على التلاتلِ من أموالِهم عُقَدُ

ومثل قصيدة أبي حية في جودة عرضها لظلم السعاة وقسوتهم، قصيدة عمرو بن أحمر الباهلي (ت 65 هـ) الذي كتب يشكو عمال الصدقة وظلمهم، في عام كثر فيه الجدب وقل الرزق، وهو يخاطب يحيى بن الحكم بن أبي العاص والي المدينة لعبد الملك بن مروان، ويبين ما فعل بهم السعاة وما آل إليه أمرهم من الفقر والرغبة في الهجرة والشتات: (2)

يا يحيى يا ابنَ إمامِ الناسِ أهلكنا ... ضربُ الجلودِ وعُسْرُ المالِ والحَسَرُ

(1) الديوان ص 64 ـ 65.

(2) شعر عمرو بن أحمر ص 103- 107.

إنْ تنبُ يا ابـن أبي العـاصي بحاجتنـا ... فـما لحاجتنـا وِرْدٌ ولا صَـدَرُ
ما ترضَ نـرضَ وإنْ كلَّفتَنـا شـططاً ... ومـا كَرِهْتَ فكُرْهٌ عندنا قَـذَرُ
نحن الذين إذا ما شِئْتَ أسـمَعَنا ... داعٍ فجِئْنا لأيِّ الأمـرِ نـأتَمِرُ
إني أعوذُ بما عـاذَ النبيُّ بـه ... وبالخليفـةِ أنْ لا تُقْبَـلُ العُـذُرُ
من مُتْرَفِيكم وأصـحابٍ لنـا معهـم ... لا يعـدلونَ ولا نـأبَى فنَنْتَـصِرُ
فإنْ تـقُـرَّ علينـا جَـوْرَ مَظْلِمـةٍ ... لم تَبْـنِ بيتـاً عـلى أمثالِهـا مُـضَرُ

ويعرض لما فعل بهم السعاة من إذلال وظلم، وجلد الشيوخ حتى يعطوا المال مكرهين، وسيؤول ذلك لا شك إلى خراب البيوت، وتشتت القبيلة وهجرتها:

يكـسونهم أصْـبَحِياتٍ مُحْدَرَجـةً ... إنَّ الشيوخَ إذا مـا أُوجِعُوا ضَجَروا[1]
حتـى يَطيبـوا لهـم نَفْـساً علانيـةً ... عن القِلاصِ التي من دونها مَكَرُوا
لـسنا بأجـسادِ عـادٍ في طَبَائِعِنـا ... لا نـألَـمُ الشرَّ حتى يألَمَ الحجـرُ
ولا نـصارى علينـا جزيـةٌ نُـسُكٌ ... ولا يهودَ طَغَاماً دينُهم هَـدَرُ
إنْ نحـنُ إلا أُنـاسٌ أهـلُ سـائمةٍ ... ما إنْ لنا دونَها حَـرْثٌ ولا غُـرَرُ

ويبين حال قومه وما نزل بهم من فقر وجدب، وما سيحل بهـم مـن نفـرة وهجـرة وكره للوطن،لما نزل بهم من ظلم السعاة وجورهم:

مَلُّـوا الـبلادَ ومَلَّـتهم وأحـرقَهُم ... ظُلْمُ السُّعاةِ وبادَ الماءُ والـشجرُ
إنْ لا تُـدَارِكْهُمُ تُـصبحْ منـازِلُهم ... قَـفْراً تبيضُ على أرجائها الحُمَـرُ[2]
أدرِكْ نـساءً وشـيباً لا قَـرارَ لهـم ... إنْ لم يكُـنْ لـكَ فـيما قـد لَقَـوْا غِـيَرُ

(1) الأصبحيات: السياط. المحدرجة: محكمة الفتل ملساء.

(2) الحُمَر: جمع حُمَّرة وحُمَرة،وهي ضرب من الطير.

وكان للظلم الذي يمارسه الولاة، وسوء الإدارة والتعالي على الناس، وغمط الحقوق، أن جعل الناس ينفرون ويثورون، وكان من أثر ذلك أن كثر المتمردون من الصعاليك واللصوص وقطّاع الطرق، وهرب هؤلاء من السلطان وتغرّبوا وعاشوا حياة تشرد وتمرد، وخروج على العرف الاجتماعي، وقد صور مالك بن الريب (ت 60 هـ) هذه الحالة وعبَّر عن رأيه بتحدى السلطان الذي يأخذ، والأخذ له حق، أما ما عليه فيمنعُ:[1]

أحقاً على السلطانِ أمّا الذي لهُ فيُعطى وأما ما يُرادُ فيمنعُ

ويبين أبو الفرج سبب خروج مالك بن الريب على السلطان وتصعلكه، ثم توبته وذهابه مع لالجند الفاتح في خراسان، فيقول:[2] «وكان السبب الذي من أجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس، أنه كان يقطع الطريق هو وأصحاب له، منهم شِظاظ وهو مولى لبني تميم، وكان أخبثهم، وأبو حرْدَبة، أحد بني أُثالة بن مازن، وغويث أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة، فساموا الناس شراً، وطلبهم مروان بن الحكم، وهو عامل على المدينة، فهربوا، وكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحي، وعو عامله على بني عمرو بن حنظلة يطلبهم، فهربوا منه، وبلغ مالكَ بن الريب أن الحارث يتوعده، فقال فيه قصيدة يستهين به،فبعث إليه الحارث رجلاً من الأنصار فأخذه، وأخذ أبا حَرْدبة، فبعث بأبي حردبة وتخلف الأنصاري مع القوم الذين كان مالك فيهم، وأمر غلاماً له فجعل يسوق مالكاً، فتغفَّل مالك غلام الأنصاري، وعليه السيف، فانتزعه منه، وقتله به، وشدَّ على الأنصاري، فضربه بالسيف حتى قتله، وجعل يقتل من كان معه يميناً وشمالاً.

(1) أشعار اللصوص ص 275.

(2)الأغاني 22/ 289-293.

ثم لحق بأبي حَرْدبة فتخلَّصه، وركبا إبل الأنصاري، وخرجا فراراً من ذلك هاربين، حتى أتيا البحرين، واجتمع إليهما أصحابهما، ثم قطعوا إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذي أحدثه مالك، فلم يزل بفارس حتى قدم عليه سعيد بن عثمان بن عفان فاستصحبه، وقال مالك في مهربه متحدياً السلطان والجور الذي أخرجه، ومعتصماً بغربته في البوادي والقفار:[1]

أحقاً على السلطان أما الذي له ... فيُعْطى وأما ما يُرادُ فيَمنَعُ

إذا ما جعلتُ الرَّملَ بيني وبينه ... وأعرضَ سهبٌ بين يبرينَ بلقَعُ[2]

من الأُدمى لا يستجمُّ بها القطا ... تكلُّ الرياحُ دونَه فتقَطَّعُ

فشأنكمُ يا آلَ مروانَ فاطلبوا ... سِقاطي فما فيه لباغيهِ مطمعُ

وما أنا كالعَيْرِ المُقيمُ لأهلِهِ ... على القيدِ في بحبوحة الضَّيْمِ يرتعُ

ولا رسولُ الله أنْ كان منكمُ ... تبيَّنَ مَنْ بالنَّصْفِ يرضَى ويقْنَعُ

وكان مالك في غربته مع الصعاليك في جوف الصحراء غريباً مستوحشاً، ورغم ما يظهر من بطولة فهو خائف وجل يريد الأمن لو يستطيع، وكان في صحرائه وجلاً يتوقع الموت، فهو إما قاتل أو مقتول، يعبر عن وحشته واضطرابه، فهو في ليلة من الليالي كان نائماً، وكان لا ينام إلا متوشحاً بالسيف، فإذا هو بشيء قد جثم على صدره لا يدري ما هو، فانتفض مالك، فسقط عنه، ثم انتحى له بالسيف فقدَّه نصفين، ثم نظر فإذا هو رجلٌ أسود كان يقطع الطريق في تلك الناحية، فقال مالك في ذلك:[3]

---

(1) الأغاني 22/ 289ـــ 293، أشعار اللصوص ص 275.

(2) يبرين: رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة: معجم البلدان: يبرين. بلقع: جرداء.

(3) الأغاني 22/ 294- 295، أشعار اللصوص ص 278- 279.

أدلجتُ في مهمهٍ ما إنْ أرى أحداً ... حتّى إذا حانَ تعريسٌ لمن نزلا
وضعتُ جنبي وقلتُ اللهُ يكلؤني ... مهما تنمْ عنكَ من عينٍ فما غَفَلا
والسيفُ بيني وبينَ الثوبِ مُشْعَرَهُ ... أخشى الحوادثَ إني لم أكنْ وَكِلا
ما نِمْتُ إلا قليلاً نمْتُه شَنِزاً ... حتى وجدتُ على جُثْمانيَ الثُّقَلا
داهيةٌ من دواهي الليلِ بيَّتني ... مُجاهِداً يبتغي نفسي وما خَتلا
أهويتُ نفحاً له والليلُ ساترُه ... إلا توخيتُه والجَرْس فانخزلا
لَما ثنى اللهُ عنّي شرَّ عَدْوَتِه ... رقدتُ لا مُثْبَتاً ذُعْراً ولا بَعِلا [1]
أما ترى الدارَ قفراً لا أنيسَ بها ... إلا الوحوشَ وأمسى أهلُها احتملا
بين المُنيفةِ حيثُ استنَّ مدفعُها ... وبينَ فردةَ من وحشيُّها قَبلا [2]
وقد تقولُ وما تُخفي لجارتها ... إني أرى مالك بن الريب قد نحلا
من يشهد الحربَ يصلاها ويُسْعِرُها ... تراهُ مِمَّا كسته شاحبا وجِلا
خذها فإني لضَرَّابٌ إذا اختلفتْ ... أيدي الرجالِ بضرْبٍ يختِلُ البَطلا

وما كانت الصعلكة والاغتراب طبيعة في نفس مالك، ولكن ما أحاط به من ضيم وظلم جعله يخرج، فلما أتيحت له الفرصة أن يعود إلى الحياة السوية عاد، وكان ذلك حين لقي سعيد بن عثمان في طريقه مع الجند إلى خراسان، قال له عثمان: ويحكَ تفسد نفسك بقطع الطريق! وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث والفساد، وفيك هذا الفضل! قال: يدعوني إليه العجز عن المعالي، ومساواة ذوي المروءات، ومكافأة الإخوان، قال: فإن أنا أغنيتك واستصحبتك، أتكفُّ عمَّا كنتَ تفعل ؟ قال: إي والله أيها الأمير، أكفُّ كفّاً لم يكُفَّ أحدٌ أحسنَ منه، قال:

فاستصحبه، وأجرى له خمس مائة درهم في كل شهر.[3]

---

(1) البعل: الخائف، والدهش عند الروع.

(2) المنيفة: ماء لبني تميم على فلج بين نجد واليمامة، استن: وضح، فردة: جبل في ديار طيء يقال له فردة الشموس. معجم البلدان: المنيفة، فردة.

(3)الأغاني 22/ 288- 289.

ومن عانى الحنين والغربة من شعراء العصر الأموي

من أولئك هدبة بن الخشرم العذري (ت 50 هـ)، الذي قاسى الغربة واستبد به الحنين في هذا العصر، كان هدبة قد أودع السجن لقتله ابن عمه وقد كانا في رحلة وصار كل منهما يحدو ويتغزل بأخت الآخر، فتنازعا وتقاتلا، وكان مصيره السجن بانتظار أن ينزل به القصاص، فهو يشكو الغربة، ويشتاق إلى الأهل والعودة إلى وطنه بعد غربته القاسية في السجن بانتظار الموت،و يمني نفسه النجاة: (1)

عسى الكَرْبُ الذي أمسيتُ فيه ... يكونُ وراءَهُ فَرَجٌ قريبُ
فيأمن خائفٌ ويُفَكَّ عانٍ ... ويأتي أهلَهُ النائي الغريبُ
ألا ليت الرياحَ مسَخَّراتٌ ... بحاجَتِنا تُبَاكِرُ أو تؤوبُ
فتُخْبِرُنا الشَّمالُ إذا أتَتْنا ... وتُخْبِرُ أهلَنا عنَّا الجَنوبُ
فإنَّا قد حَلَلْنا دارَ بلوى ... فتُخْطِئُنا المنايا أو تُصيبُ
فإنْ يكُ صَدْرُ هذا اليومِ ولَّى ... فإنَّ غداً لناظرِهِ قريبُ

والغربة مقرونة بالموت بعيداً عن الأهل والوطن في شعر مالك بن الريب (ت60 هـ)، فقد أصيب مالك وهو قافل من خراسان مع الجند الفاتح وصار يحتضر وينتظر المنية، ويتخيل كيف يكون حاله حين يغادر أصحابه ويترك وحيداً، وماذا يكون من أمر أهله حين يصلهم النعي، وكيف سيبقى وحيداً في حفرته بعيداً عن وطنه وأهله: (2)

غريبٌ بعيدُ الدارِ ثاوٍ بقَفْرةٍ ... يدَ الدهرِ معروفاً بأنْ لا تدانيا
تحمل أصحابي عشاءً وغادروا ... أخا ثقةٍ في عَرْصَةِ الدارِ ثاويا
أقلِّبُ طرفي حولَ رحلي فلا أرى ... به من عيونِ المؤنساتِ مُراعيا

(1)شعر هدبة بن الخشرم ص 59- 60،تحقيق يحيى الجبوري، ط دار القلم، الكويت 1980

(2) ديوان مالك بن الريب، ضمن شعراء اللصوص ص 297 .

وبالرملِ منَّا نسوةٌ لو شَهِدْنَني بكَيْنَ وفَدَّيْنَ الطبيبَ المُداويا
وما كان عهدُ الرملِ عندي وأهلِهِ ذميماً ولا ودَّعْتُ بالرَّمْلِ قاليا
فمنهُنَّ أمي وابنتاها وخالتي وباكيةٌ أخرى تَهيجُ البواكيا

ويحفل شعر العشاق العذريين بالوجد والشوق والحنين ومقاساة الغربة والاغتراب في ديارهم وبين قومهم، وفي نفيهم وبعادهم، وكان قيس بن الملوح (ت 68 هـ)، أكثر الشعراء الذين قاسوا من الغربة، وحفل ديوانه بالشكوى من حيرته واغترابه، ولشدة ما يشعر من غربته في قومه يكرر في شعره كلمة غريب:(1)

أظلُّ غريبَ الدارِ في أرضِ عامرٍ ألا كلُّ مهجورٍ هناك غريبُ
أحبُّ هبوطَ الواديينِ وإنَّني لمشْتَهِرٌ بالواديينِ غريبُ
ومستوحشٍ لم يُمْسِ في دارِ غُرْبَةٍ ولكنَّهُ ممَّنْ يَوَدُّ غريبُ
فلا تحسبي أن الغريبَ الذي نأى ولكنَّ مَنْ تنأينَ عنهُ غريبُ
فؤادي بين أضلاعي غريبٌ يُنادي مَنْ يُحِبُّ فلا يُجيبُ

ويقول في قصيدة ثانية:

ومغتربٍ بالمَرْجِ يبكي بشجوهِ وقد غاب عنهُ المسعدونَ على الحُبِّ
أبقى أسيرَ الحُبِّ في أرضِ غُرْبَةٍ وحاديكُمُ يحدو بقلبيَ في الرَّكْبِ

ويقول في قصيدة ثالثة:

فلي قلبٌ محزونٍ وعقلٌ مُدَلَّهٍ ووحشةُ مهجورٍ وذلُّ غريبِ

فالمجنون غريب في أرض بني عامر، وغريب في تشرده، وغريب في وحدته وتجواله، فغربته غربة لها دلالات نفسية، فهو يشعر بالغربة وهو بين أهله،ويلتجىء إلى

(1) ديوانه ص55،54،52، 61، 77،63، 81 على التوالي، تحقيق عبد الستار فراج،ط مكتبة مصر 1965.

الصحاري والجبال ليشعر بالطمأنينة ونفي الاغتراب، وقد ذكر له الأصفهاني في كتاب الأغاني مقطعات من شعره يشكو فيها آلام الغربة والحنين إلى ليلى وديارها، وما يقاسيه في البعد عنها، فهو يحس أنه طريد غريب يائس مبعد عن حبيبته التي منته الأماني ثم صدت عنه وحققت بذلك شماتة عذاله وأعدائه: (1)

وأفرِدْتُ إفرادَ الطريدِ وباعدت ... إلى النفسِ حاجاتٌ ومُنَّ قريبُ
لئنْ حالَ يأسٌ دونَ ليلى لربَّما ... أتى اليأسُ دونَ الأمرِ فهو عصيبُ
ومَنَّيْتني حتى إذا ما رأيتني ... على شَرَفٍ للناظرينَ يُريبُ
صدَدْتِ وأشمَتُّ العدوَّ بصَرْمِنا ... أثابَكِ يا ليلى الجزاءَ مُثيبُ

ويخاطب في قصيدة أخرى حبيبته ليلى ويصف حاله من السوء والمرض ولم يُبقِ حبُّها فيه إلا الجلدَ والعَظْم، ثم يستعطفها أن تعده وعداً فقد يجلو هذا الوعد منها هموم قلبه، وإن بليته في هذا الحب لا تشبه بلية أحد قبله: (2)

لقد عارضتنا الريحُ منها بنفحةٍ ... على كَبِدي من طِيبِ أرواحِها بَرْدُ
فما زِلْتُ مغشيّاً عليَّ وقد مضَتْ ... أناةٌ وما عندي جوابٌ ولا رَدُّ
أُقَلِّبُ بالأيدي وأهلي بعولةٍ ... يُفَدُّونني لو يستطيعونَ أن يفدوا
ولم يبْقَ إلا الجلدُ والعظمُ عارياً ... ولا عَظْمَ لي إنْ دامَ ما بي ولا جلدُ

ويخاطبها ويستجدي منها وعداً يذهب عنه غربته ويكشف كربته:

أدُنْيايَ مالي في انقطاعي وغُرْبتي ... إليك ثوابٌ منكِ دَيْنٌ ولا نَقْدُ
عِدِيْني ــ بنفسي أنتِ ــ وعداً فربَّما ... جلا كُرْبَةَ المكروبِ عن قلبهِ الوعْدُ
وقد يُبْتلى قومٌ ولا كبَلِيَّتي ... ولا مثلَ جَدِّي في الشقاءِ بكم جَدُّ

(1) الأغاني 2/ 58- 59.

(2) الأغاني 2/ 59 ــ 60.

غزَتْني جنودُ الحُبِّ من كلِّ جانبٍ إذا حانَ من جُنْدٍ قُفولٌ أتى جُنْدُ

واشتد به الحب حتى ذهب عقله فهام في الصحاري، ولا يدري أين هو، ويسأل عن التوباد: أين هو؟ وللتوباد في نفسه مكان هو الحياة، يقول أبو الفرج: «لأن المجنون كان وليلى وهما صبيان يرعيان غنماً لأهلهما عند جبل التوباد، فلما ذهب عقله وتوحش، كان يجيء إلى ذلك الجبل فيُقيمُ به، فإذا تذكر أيامَ كان يُطيفُ هو وليلى به، جزع جزعاً شديداً واستوحش فهام على وجهه حتى يأتي نواحي الشام، فإذا ثابَ إليه عقله رأى بلداً لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهم: بأبي أنتم، أين التوباد من أرض بني عامر؟ فيقال له: وأين أنت من أرض بني عامر! أنت بالشام عليك بنجم كذا فأُمَّه»، وهكذا يهيم في البراري حتى يقع في أرض اليمن، فيسأل عن التوباد فيرشدونه بالاهتداء بالنجوم، حتى إذا بلغ التوباد أجهش وصار يناديه ويشكو إليه حاله وغربته وما نزل به من الهُيام والضياع ويتخيَّل أن الجبل يحاوره:[1]

وأجهشتُ للتوبادِ حين رأيتُه وكَبَّرَ للرحمنِ حينَ رآني
وأذريتُ دمعَ العين لما عرفتُهُ ونادى بأعلى صوته فدعاني
فقلتُ له قد كان حولَكَ جيرةٌ وعهدي بذاكَ الصَّرْمِ منذُ زمانِ
فقال مَضَوْا واستودعوني بلادَهم ومَنْ ذا الذي يبقى على الحَدَثانِ
وإني لأبكي اليومَ من حَذَري غداً فِراقَكَ والحيَّانِ مجتمعانِ
سِجالاً وتَهْتاناً ووَبْلاً وديمَةً وسَحّاً وتَسْجاماً إلى هَمَلانِ

وحين يكون الشاعر غريباً عن الأهل والوطن يشتد حنينه وتستعر أشواقه إلى وطنه ومرتع صباه، فيتمنى أن يرجع إلى الحمى، ويزداد شوقه وحنينه وبكاؤه إذا كان جريحاً محتضراً يعاني سكرات الموت وهو غريب في خراسان، كما كان حال مالك بن الريب (ت

(1) الأغاني 2/ 49.

60 هـ) الذي يحن إلى وادي الغضى، ويكرر ذكره مرات في قصيدته متمنياً أن يقضي فيه ولو ليلة واحدة:[1]

ألا ليتَ شعري هل أبيتَنَّ ليلةً ... بجنبِ الغضى أُزجي القِلاصَ النواجيا
فليتَ الغضى لم يقطعِ الركبُ عَرْضَهُ ... وليتَ الغضى ماشا الركابَ لياليا
لقد كان في أهلِ الغضى لو دنا الغضى ... مزارٌ ولكنَّ الغضى ليس دانيا

ويشتد الحنين بعروة بن جانيء العجلاني أو قيس بن الملوح (ت 68هـ) إلى الحجاز وإلى أحبابه في نجد، وهو ملتاع شوقاً وقلبه في وجيب دائم وعيناه تذرفان الدمع هوىً وحنيناً إلى من يحب في تلك الديار: [2]

أحِنُّ إلى أرضِ الحجازِ وحاجتي ... خيامٌ بنجدٍ دونَها الطَّرْفُ يقصُرُ
وما نظري من نحو نجدٍ بنافعي ... أجل لا ولكني على ذاكَ أنظرُ
أفي كلِّ يومٍ نظرةٌ ثم عَبْرةٌ ... لعينيكَ يجري ماؤها يتحَدَّرُ
متى يستريحُ القلبُ إمَّا مجاورٌ ... حزينٌ وإمَّا نازحٌ يتذَكَّرُ

وبعد مشهد الفراق والوداع المؤثر الحزين الممزوج باللهفة والدموع يذكر شوقه وحنينه- وهو في مصر مبعداً- إلى وطنه ووطن حبيبته في وادي القرى، ويتمنى أن يبيت فيه ولو ليلة واحدة، يقول- كما قال مالك بن الريب - وكَبِدُه تتقطع شوقاً ولهفةً:

ألا ليتَ شعري هل أبيتَنَّ ليلةً ... بوادي القُرى إنِّي إذَنْ لسعيدُ
وهل ألقَيَنْ سُعدى من الدهرِ مرَّةً ... وما رَثَّ من حَبْلِ الصَّفاءِ جديدُ
وقد تلتقي الأهواءُ من بعدِ يأسةٍ ... وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهيَ بعيدُ

---

(1) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي 2/ 759 ـ760، تحقيق محمد علي الهاشمي، ط الرياض 1981.

(2) الحنين إلى الأوطان لابن المرزبان ص 44، معجم البلدان: نجد، الحماسة البصرية2/ 135 لعروة العجلاني، ولمجنون ليلى في ديوانه ص 126، الزهرة 1/ 203 دون عزو.

وكان فراق الأهل والصحب والوطن غصة في حلق الشعراء، وألماً شديداً يعانون منه والفراق عليهم صعب، دونه الموت، فهم يذرفون الدمع السخي عند الوداع، يقول مجنون ليلى: [1]

وإني لَمُفْنٍ دمعَ عيني من البُكا ... حذاراً لأمرٍ لم يكن وهو كائنُ
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ ... فراقُ حبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائنُ
وما كنتُ أخشى أن تكون منيتي ... بكَفَّيَّ إلا أنَّ ما حانَ حائنُ

ويشتاق ابن مفرغ الحميري (ت 69 هـ) إلى حبيبته جُمانة ويستثيره البرق اليماني فيحن إلى ديارها وأيامه وإياها، ويذكر المواطن التي نعم بها معها، ويحن للماضي السعيد فيبكي شوقاً وحناناً، ويتحاور وصاحبه عن الحبيبة وديارها والماضي السعيد:[2]

سما بَرْقُ الجُمانةِ فاستطارا ... لعلَّ البرقَ ذاكَ يجورُ نارا
قعَدْتُ له العِشاءَ فهاجَ شوقي ... وذكَّرني المنازلَ والدِّيارا
ديارا للجُمانةِ مقفراتٍ ... بَلِينَ وهِجْنَ للقلبِ ادِّكارا
فلم أملِكْ دموعَ العينِ مِنِّي ... ولا النفسَ التي جاشتْ مِرارا
فسُرِّقَ فالقُرى من صَهْرَتاجٍ ... فدَيْرَ الراهبِ الطَّلَلَ القِفارا
فقلتُ لصاحبي عَرِّجْ قليلاً ... نُذاكِرْ شوقَنا الدُّرُسَ البَوارا
بآيةِ ما غَدَوا وهمُ جميعٌ ... فكادَ الصَّبُّ ينتَحِرُ انتحارا
فقال بَكَوا لفَقْدِكَ مُنْذُ حينٍ ... زماناً ثم إنَّ الحيَّ سارا
بدجلةَ فاستَمَرَّ بهم سفينٌ ... تَشُقُّ صُدورُها اللُّجَجَ الغِمارا
كأنْ لم أغْنَ في العرصاتِ منها ... ولم أذْعَرْ بقاعَتِها صِوارا

---

(1) السابق والصفحة.

(2) ديوان ابن مفرغ الحميري ص 130- 133، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، ط 3 مؤسسة الرسالة، بيروت 1993.

ولم أسمعْ غِناءً من خليلٍ مُقَرْطَقِيٍّ خلَعَ العِذارا

وكان عمرو بن الوليد بن عقبة المعروف بأبي قطيفة (ت 70 هـ) قد نفاه عبد الله ابن الزبير مع من نفى من بني أمية عن المدينة إلى الشام، فلما طال مقامه بالشام صار يحن إلى المدينة ويتمنى العودة إلى مرابع عزه وصباه:[1]

ألا ليتَ شعري هل تغيَّرَ بعدَنا قُباءٌ وهل زالَ العقيقُ وحاضِرُهْ
وهل بَرِحَتْ بطحاءَ قبرِ محمدٍ أراهِطُ غُرٌّ من قريشٍ تُباكِرُهْ
لهمْ مُنتهَى حُبِّي وصَفْوُ مَوَدَّتي ومَحْضُ الهوى منِّي وللناسِ سائرُهْ

ويكثر شوقه وحنينه إلى المدينة ويذكر مواضعها ويسأل عمَّا حلَّ بها بعد فراقها، ويتمنى لو عاد إليها،وإذا لمح برق سحابة تلمع ناحية الحجاز تحركت أشجانه شوقاً إليها، ولكن هيهات فقد أُخرِجَ منها قسراً وهو بالشام غريب وقلبه متعلق بالمدينة:[2]

ألا ليتَ شعري هل تغَيَّرَ بعدنا جَبُوبُ المُصَلَّى أم كعهدي القرائنُ
وهل أذُوُرٌ حولَ البلاطِ عَوامِرٌ من الحَيِّ أم هلْ بالمدينةِ ساكنُ
إذا بَرَقَتْ نحوَ الحِجازِ سحابةٌ دعا الشوقَ مني بَرْقُها المتيامنُ
فلم أترُكَنْها رغبةً عن بلادِها ولكنَّهُ ما قدَّرَ اللهُ كائن

وحين يرحل الشاعر من بلده طلباً للرزق في مديح الولاة، وتطول الإقامة يدفعه الشوق والحنين إلى العودة إلى الوطن، فينظم قصيدة تصور حنينه وشوقه إلى موطنه، ويرفق به الممدوح فيأذن له بالعودة، وهذا ما كان من أمر أمية بن أبي عائذ العَمْري (ت

(1) الأغاني 1/ 34.

(2) الأغاني1 / 36.

75 هـ) الذي رحل إلى عبد العزيز بن مروان بمصر، فأكرمه عبد العزيز واستبقاه،ولكنه حنَّ إلى الأهل والوطن، فقال يصور هذا الحنين ويشرك فيه راحلته:[1]

متى ركبٌ من أهل مصرَ وأهلُهُ ... بمكَّةَ من مصرَ العشيَّةَ راجعُ
بلى إنها قد تقطعُ الخَرْقَ ضُمَّرٌ ... تُباري السُّرى والمُعْسفونَ الزعازعُ
متى ما تُجِزْها يابنَ مروانَ تعترفْ ... بلادَ سُلَيْمى وهي خوصاءُ ضالعُ
وباتتْ تؤُمُّ الدارَ من كلِّ جانبٍ ... لتخْرُجَ واشتدَّتْ عليها المصارعُ
فلمَّا رأتْ ألاَّ خروجَ وإنَّما ... لها من هواها ما تُجِنُّ الأضالعُ
تمطَّتْ بمجدولٍ سِبَطْرٍ فطالَعَتْ ... وما ذا من اللَّوْحِ اليماني تُطالِعُ

فعرف عبد العزيز شوقه إلى أهله، فوصله وأذِنَ له.

ويذكر عبيد الله بن قيس الرقيات (ت 75 هـ) حياته بمكة وغزله بمن يحب ثم رحيله وما نزل به من غربة ورحيل وما شهد من أحداث وحروب، ويذكر المدن التي مر بها وعانى آلام النقلة والسفر، ويحكي ما نزلت به من مصائب وأحداث، ويبكي عزه الذي زال بعد أن كان ينادم الملوك، أما وقد تغير الزمان فهو الآن غريب يحن إلى وطنه وماضيه:[2]

حبَّذا الحجُّ والثُّرَيَّا ومَنْ بالـ ... ـخَيْفِ من أجلها ومُلقي الرِّحالِ
دُرَّةٌ من عقائلِ البَحْرِ بِكْرٌ ... لم تَنَلْها مثاقِبُ الأَلآلِ
تعقِدُ المِئْزَرَ السُّخامَ من الخَـ ... ـزِّ على حَقْوِ بادنٍ مِكْسالِ
قَطَنَتْ مكَّةَ الحرامَ فشَطَّتْ ... وعَدَتْني نوائبُ الأشغالِ

وبعد هذا الشوق والغزل يذكر ما نزل به من قتل وقتال وهجرة وأخطار:

---

(1) الأغاني 24/ 12- 13.

(2) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص 112- 116، تحقيق محمد يوسف نجم، ط دار صادر، بيروت د.ت.

إنْ تريني تغَيَّرَ اللَّوْنُ منِّي ... وعلا الشيبُ مَفْرقي وقَذالي
فظلالُ السُّيوفِ شَيَّبْنَ رأسي ... وطِعاني في الحربِ صُهْبَ السِّبالِ
واغترابي من عامرِ بنِ لُؤَيٍّ ... ببلادٍ كثيرةِ الأقتالِ
وملوكٌ فارقْتُهم أفردوني ... وصُروفُ الأيامِ بي والليالي
أقفَرَتْ منهمُ الفراديسُ فالغَوْ ... طَةُ ذاتُ القُرى وذاتُ الظِلالِ
فضُمَيْرٌ فالماطِرُونَ فَحوْرا ... نُ قِفارٌ بسابِسُ الأطلالِ
لم تُجِبْني منها الطلولُ ولم أمْـ ... ـلِكْ دُموعاً تسيلُ كالأوشالِ
وتذَكَّرْتُ معْشَري وهُمُ كا ... نوا مُلُوكاً في سالفِ الأحوالِ
مُلْكُهمْ صالحٌ ودهْرُهُمُ دَهْـ ... ـرٌ نقِيٌّ وشَرُّهُمْ غيرُ عالي

وكذلك يقال في بقية الشعراء العذريين من كثرة الشوق والحنين.

ويكثر طهمان بن عمرو الكلابي (ت 80 هـ) من ترديد لفظ الغربة في أبياته، فهو وصاحبه العبسي غريبان في مذحج:[1]

وإني والعبسيُّ في أرضِ مذحِجٍ ... غريبانِ شتَّى الدارِ مختلفانِ
غريبانِ مجفوانِ أكثرُ هَمِّنا ... وجيفُ مطايانا بكُلِّ مكانِ
وما كان غَضُّ الطرفِ منَّا سجيَّةً ... ولكنَّنا في مَذْحِجٍ غَرِبانِ

وفي البلاد النائية تزداد آلام الغربة يقول الشمردل اليربوعي (ت 80 هـ) في رثاء أخيه وائل ويذكر وحدته وغربته بعيداً عن الأهل والديار، ويحن إليه أخوه الشمردل ويرسل إليه أشجانه وتحياته:[2]

سقى جدثاً أكنافَ غمرةَ دونَهُ ... بهضبة كُتمانِ المُديم ووابلُه

(1) ديوانه ص 61 تحقيق عبد الجبار المعيبد، ط بغداد 1968.

(2) شعر الشمردل ص541 ضمن شعراء أمويون.

بمثوى غريبٍ ليس منا مزارُه ... قريباً ولاذو الوُدِّ مِنَّا يواصِلُهْ
إذا ما أتى يومٌ من الدَّهْرِ بيننا ... فحيَّاكَ مِنَّا شرقُهُ وأصائلُهْ
وكُلُّ سنا برقٍ أضاءَ ومغربٍ ... من الشمسِ وافى جُنْحَ ليلٍ أوائلُهْ
تحيَّةَ مَنْ أدَّى الرسالةَ حُيِّيَتْ ... إلينا ولم ترجعْ بشيءٍ رسائِلُهْ

ويذكر الغربة وتفرق الصحب والرفاق فيأرق ويهجره النوم، ويطول أرقه وهو يرعى النجوم حزيناً مفكراً متشوقاً لجمع الشمل واللقاء، وقد تقسَّم قلبه أثلاثاً ثلث لمن يحب في البادية، وثلث لصحبه في الحاضرة، وثلث لرفاقه الأسرى وفي السجون، وليس له إلا أن يدعو الله سبحانه أن يُزيل الغُمَّة ويجمع الشمل: (1)

يا أمَّ حربٍ برى جسمي وشيَّبني ... من الخطوبِ التي تبري وتعترِقُ
ونامَ صحبي واحتَمَّتْ لعادتِها ... بالكوفةِ العينُ حتى طال ذا الأرقُ
أرعى الثُّرَيَّا تقودُ التَّالياتِ معاً ... كما تتابعَ خلفَ الموكبِ الرُّفَقُ
معارضاتٍ سُهيلاً وهو معترِضٌ ... كأنهُ شاةُ رَمْلٍ مفرد لِهَقُ
قلبي ثلاثةُ أثلاثٍ لباديةٍ ... وحاضرٍ وأسيرٍ دونَهُ غَلَقُ
لكلِّهم من فؤادي شُعبةٌ قُسِمَتْ ... فشَفَّني الهمُّ والأحزانُ والشَّفَقُ
إنْ يجمعِ اللهُ شعباً بعدَ فُرْقَتِهِ ... فقد تريعُ إلى مقدارها الفُرَقُ

وكانت أصبهان مأوى المغتربين سواء الذين هاجروا إليها واستوطنوها،أم الذين ذهبوا مع الجيش الفاتح وطالت إقامتهم، أو أصابتهم النكبات، ووجدوا أناساً غير الذين يظنونهم،ففيهم الكره والحقد،ولذلك كان المغتربون يتذمرون ويشكون الغربة

(1) شعر الشمردل ص 535- 536.

والبعاد ويحنون إلى أوطانهم، وهذا ما كان يعانيه أعشى همدان (ت 83 هـ) الذي يصور حاله ويقول: [1]

وكانت أصبهان كخير أرضٍ ... لمغتربٍ وصعلوكٍ عديمِ
ولكنَّا أتيناها وفيها ... ذوو الأضغانِ والحقدِ القديمِ
فأنكرتُ الوجوهَ وأنكرتني ... وجوهٌ ما تُخَبِّرُ عن كريمِ
وكان سفاهةً مني وجهلاً ... مسيري لا أسيرُ إلى حميمِ

وقد عانى الأعشى من غربة الأسر والسجن، فقد أرسله الحجاج غازياً إلى بلاد الديلم، فأُسِر وعاش مرارة السجن غريباً في بلاد الأعاجم، يعاني مرارة السجن وهموم الغربة، فيحدث نفسه وهو في الأسر، يتذكر أيامه السعيدة في وطنه،ويعرج على ما أصابه وهو أسير، يقول من قصيدة معزياً نفسه: [2]

وإذا تُصِبْكَ من الحوادثِ نكبةٌ ... فاصبرْ فكل مصيبةٍ ستكَشَّفُ
ولئنْ بكيتُ من الفراقِ صبابةً ... إنَّ الكبيرَ إذا بكى ليُعَنَّفُ
عجباً من الأيامِ كيفَ تصرَّفَتْ ... والدارُ تدنو مرَّةً وتقَذَّفُ
أصبحتُ رهناً للعُداةِ مُكَبَّلاً ... أُمسي وأُصبحُ في الأداهمِ أرسُفُ

ويذكر حياته قبل الأسرِ وبطولته وليس له الآن إلا الصبر:

ولقد أراني قبل ذلك ناعماً ... جذلانَ آبِي أنْ أُضامَ وآنَفُ
واستنكرتْ ساقي الوِثاقَ وساعدي ... وأنا امرؤٌ بادي الأشاجعِ أعجَفُ
ولقد تُضَرِّسُني الحروبُ وإنَّني ... ألْفَى بكلِّ مخافةٍ أتعَسَّفُ
فأصابني قومٌ فكنتُ أصيبُهم ... فالآنَ أصبرُ للزمانِ وأعرِفُ

(1) أعشى همدان ص 341، ضمن كتاب الصبح المنير.

(2) أعشى همدان ص335، الأغاني 6/ 45.

إنِّي لَطَـلاَّبُ الـتِّراتِ مُطَلَّـبٌ وبكـلِّ أسـبابِ المنيَّـةِ أشرِفُ

ولم يطل أسره إذ استطاع أن يهرب بمساعدة بنت العِلج الذي أسره، فقد أحبته وهربت معه وتزوجها.

وكذلك كان جميل بن معمر (ت 82 هـ) يحن إلى وطنه ووطن حبيبته في وادي القرى، ويصور وداع بثينة وهو راحل إلى مصر، مبعداً بأمر السلطان، وكله شوق ولهفة أن يعود الماضي السعيد :[1]

ألا ليتَ أيامَ الصَّفاءِ جديدُ ودهراً تولَّى يا بُثَيْنَ يعودُ
فنغنَى كما كُنَّا نكونُ وأنتمُ صديقٌ وإذْ ما تَبْذُلِينَ زهيدُ
وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولَها وقد قَرَّبَتْ نِضْوي أمِصْرَ تُريدُ
ولا قولَها لولا العيونُ التي ترى أتيتُكَ فاعْذُرْني فدتْكَ جُدودُ
خليليَّ ما أُخفِي من الوجْدِ ظاهرٌ فدمعي بما أُخفي الغَداةَ شهيدُ
ألا قد أرى واللهِ أنْ رُبَّ عبرةٍ إذا الدارُ شَطَّتْ بيننا ستَرودُ

وكان الحارث بن خالد المخزومي (ت 85 هـ) يحن إلى وطنه مكة ويشتاق إليها، ويفضلها على كل أرض وبلد، حتى الشام بما فيها من خير وجمال، ومركز الخلافة الأموية، فإنه لا يريدها ويفضل عليها أرضه ومراتع صباه، وكان يُعَرِّض بهذه الأبيات بعائشة بنت طلحة التي يحبها ويتغزل بها، وقد رحلت إلى الشام، يقول:[2]

من كان يسألُ عنَّا أينَ منزلُنا فالأقحوانةُ مِنَّا منزلٌ قَمَنُ[3]

(1) ديوان جميل ص 57، 61، ط عالم الكتب بيروت 1996.

(2) شعر الحارث بن خالد المخزومي ص 140- 142، تحقيق يحيى الجبوري، ط 2 دار القلم، الكويت 1983.

(3) الأقحوانة: موضع قرب مكة، قال الأصمعي: هي ما بين بئر ميمون إلى بئر ابن هشام. معجم البلدان: الأقحوانة 1/ 234. وهناك أكثر من موضع بهذا الاسم.

إذ نلبسُ العيشَ صَفواً ما يُكَدِّرَهُ ... طَعْنُ الوُشاةِ ولا يَنْبُو بنا الزمنُ
ليتَ الهوى لم يُقَرِّبْني إليكِ ولم ... أعرِفْكِ إذ كان حَظِّي منكمُ الحَزَن
من كان ذا سَكَنٍ بالشامِ يألَفُهُ ... فإنَّ في غيرِهِ أمسى لِيَ السَّكَنُ
وإنَّ ذا القَصْرِ حَيٌّ ما به وطني ... لكنْ بمكَّةَ أمسى الأهلُ والوطنُ
إذْ الحِجازُ خَوى مِمَّنْ نُسَرُّ بهِ ... والحاجُ داجٍ به مُغْرَوْرِقٌ ثُكَنُ

ولا يجد الشاعر بديلاً عن وطنه مهما كان جميلاً، فالحنين دائماً إلى من يحب من أهل وأرض ومنازل، فهذا وضاح اليمن (ت 90 هـ) لا يرى في الشام على خصبها وجمالها ما ينسيه وجده إلى مسقط رأسه وديارِه في شعاب باليمن، فهناك مراتع صباه وأحبابه الذين يشتاق إليهم، ولا تنسيه المواطن الجديدة ذكرياته وأحبابه في أرضه ووطنه: (1)

أبَتْ بالشامِ نفسي أنْ تطيبا ... تذكرتُ المنازلَ والحبيبا
تذكرتُ المنازلَ من شَعوبٍ ... وحَيّاً أصبحوا قُطِعوا شُعوبا (2)
سَبَوا قلبي فحَلَّ بحيثُ حَلُّوا ... ويعظُمُ أنْ دَعَوا ألاَّ يُجيبا
ألا ليتَ الرياحُ لنا رسولٌ ... إليكم إنْ شَمالاً أو جَنوبا
فتأتيكم بما قُلنا سريعاً ... ويبلُغَنا الذي قلتم قريبا

ويذكر حبيبته روضة وما فعل به حبُّها، فهو لا يستطيع سلوها، ويحبها أبداً في القرب أو البعد :

ألا يا روضَ قد عذَّبت قلبي ... فأصبحَ من تذَكُّرِكم كئيبا
ورقَّقني هواكِ وكنتُ جَلْداً ... وأبدى في مفارِقيَ المشيبا
أما يُنسيكَ روضةَ شَحْطُ دارٍ ... ولا قُرْبٌ إذا كانتْ قريبا !!

(1)الأغاني 6/ 229- 230، ديوان وضاح اليمن ص 31.

(2) شَعوب: موضع باليمن، وفيه قصر شعوب المعروف بالارتفاع، وقيل إن شعوب بساتين بظاهر صنعاء. ياقوت: شعوب.

ويرحل عمر بن أبي ربيعة (ت 93 هـ) إلى اليمن، ويشتاق إلى وطنه مكة ومرابعها وأحبابه فيها، ويحن إليهم ويذكر أيامه وإياهم،ومن شغفه ببلده يذكر المنازل التي تحل بها حبيبته، ويحاورها ويذكّرها ما قال وقالت في تلك المواطن الحبيبة إلى نفسه:[1]

هيهاتَ من أمَةِ الوَهَّابِ منزِلُنا ... إذا حلَلْنا بسِيْفِ البَحْرِ من عَدَنِ
واحتَلَّ أهلُكِ أجياداً فليسَ لنا ... إلا التَّذَكُّرُ أو حَظٌّ من الحَزَنِ
لا دارُكم دارُنا يا وَهْبُ إذْ نزحَتْ ... نَواكِ عنَّا ولا أوطانُكم وطني
فلستُ أملِكُ إلا أنْ أقولَ إذا ... ذُكِرْتِ: لا يُبْعِدَنْكِ اللهُ يا سكني
يا وَهْبُ إنْ يَكُ قد شَطَّ البِعادُ بكم ... وفَرَّقَ الشَّمْلَ مِنَّا صَرْفُ ذا الزَّمنِ
فكمْ وكمْ من حديثٍ قد خلوتُ به ... في مَسْمَعٍ منكمُ أو منظرٍ حَسَنِ

ويحن الصمة القشيري (الصمة بن عبد الله ت 95 هـ) إلى وطنه الحمى، كل الحمى بما فيه من وهاد وهضاب، ويمثل قلبَه وهو يخفق بشدة حين يذكر الحمى وأهلَه كأنه متعلق بجناح طائر:[2]

تعَزَّ بصبرٍ لا وجَدِّكَ لا ترى ... سَنامَ الحِمى أُخرى الليالي الغوابرِ[3]
كأنَّ فؤادي من تذَكُّرِهِ الحِمى ... وأهلَ الحِمى يَهْفو به ريشُ طائرِ

ويشتاق الصمة القشيري إلى نجد وأهلها، فهي بمرابعها وحماها جميلة في كل فصول السنة صيفاً وربيعاً، ولا يريد لها فراقاً، ومن حب نجد الوطن وشوقه إليها تكاد تتصدع كبده خشية الفراق، ولا يملك عند الفراق إلا الحنين والشوق والبكاء:[4]

---

(1) ديوان عمر ص 283- 284.

(2) الصمة القشيري، حياته وشعره ص 98، جمع وتحقيق خالد الجبر، ط جامعة البترا، عمان 2003.

(3)سنام: جبل قريب من البصرة، ياقوت: سنام .

(4) الصمة القشيري حياته وشعره ص 110.

قِفَا ودِّعَا نَجْداً ومَنْ حَلَّ بالحِمَى ... وقَلَّ لنجدٍ عندنا أن يُوَدَّعا
بنفسيَ تلكَ الأرضُ ما أطيَبَ الرُّبا ... وما أحسنَ المُصْطافَ والمُتَرَبَّعا
وأذكرُ أيامَ الحِمى ثم أنثني ... على كَبِدي من خَشْيَةٍ أنْ تَصَدَّعا
فليْسَتْ عشيَّاتُ الحِمى برواجعٍ ... عليكَ ولكنْ خَلِّ عينَيكَ تَدْمَعَا

وتذَكُّر الأخوان في الغربة مع نزول المصائب يزيد الأوجاع، كان يزيد بن معاوية قد أمر عبيد الله بن زياد أن يأخذ عبد الله بن همام السلولي (ت100 هـ)، فسأله أن يكفله عريفه وكان اسمه مالكاً، ففعل، إلا أنَّ ابنَ همام هرب وأخذ عريفه ولحق بيزيد بن معاوية يستجير به، فقال بعدها هذا الشعر يصور حاله ومحنته: [1]

بكيتَ العشيرةَ إذ فارقوك ... لأنَّكَ فيه وأوطانكا
أقولُ لعثمانَ: لا تَلْحُني ... أفِقْ عُثْمَ عن بعضِ تعْذالكا
غريبٌ تذَكَّرُ إخوانَهُ ... فهاجوا له سقماً ناهكا
وكَرَّهني أرضَكم أنَّني ... رأيتُ بها مالكاً فاتكا
فلمَّا خشيتُ أظافيرَهُ ... نجوتُ وأرهنهم مالكا
عريفاً مقيماً بدارِ الهَوانِ ... فأهْوِنْ عليَّ به هالكا

وكان الخطيم المحرزي (ت 100 هـ) سجيناً في نجران، يشكو غربته ويحن إلى أهله وديارِه، ويتمنى لو عاد وبات قرير العين في ربوع وطنه التي يذكرها ويحن إليها: [2]

ألا ليت شعري هل أبيتَنَّ ليلةً ... بأعلى بليٍّ ذي السلامِ وذي السِّدْرِ
وهل أهبطَنْ روضَ القطاغير خائفٍ ... وهل أصبحَنَّ الدهرَ وسط بني صخْرِ
وهل أسمَعَنْ يوماً بكاءَ حمامةٍ ... تنادي حماماً في ذُرى تنضبٍ خُضْرِ

(1) شعر عبد الله بن همام السلولي ص 84- 85، جمع وتحقيق وليد السراقبي، ط دبي .

(2) شعراء أمويون 1/ 258.

وهل أُرِيَنْ يوماً جياداً أقودُها بذات الشُّقوقِ أو بأنقائها العُفْرِ
وهل تقطَعَنَّ الخَرْقَ بي عيدهيَّةٌ نجاةٌ من العيديِّ تمرحُ للزجرِ

ويتمنى أن يعود الخير ويجتمع الشمل بأهله وأحبابه وذوي قرباه، ويسعد بحياة العز بعد البعد والجور والعذاب:

وهل أريَنْ بين الخفيرة والحمى حمى النهر أو يوماً بأكثبة الشعرِ
جميعَ بني عمِّي الكرامِ وإخوتي وذلك عصرٌ قد مضى قبلَ ذا العصرِ
أخلائي لم يشمتْ بنا ذو شَناءةٍ ولم تضطربْ مني الكشوحُ على غَمر

وتتردد في شعر العذريين ألفاظ الغربة، فالشاعر غريب في دياره ما دامت حبيبته بعيدة عنه،أو هو محروم منها ومن وصالها، من ذلك أن كثير عزة (ت 105هـ) يشكو من غربته وضغط الشوق والحنين عليه:[1]

إلى الله أشكو لا إلى الناسِ حُبَّها ولابدَّ من شكوى حبيبٍ يُوَدِّعُ
وأكتمُ وُدّاً في الفؤادِ مُجَمْجِماً تَضَلَّعَهُ مني ضميرٌ وأضلعُ
ألا تتَّقينَ اللهَ في حُبِّ عاشقٍ لهُ كَبِدٌ حَرَّى عليكِ تصَدَّعُ
غريبٌ مشوقٌ مولعٌ بادِّكاركم وكلُّ غريبِ الدارِ بالشوقِ مولعُ
وجَدْتُ غداةَ البينِ إذ بِنْتِ زفرةً وكادتْ لها نفسي عليكِ تصّدَّعُ
وأصبحتُ مما أحدثَ الدهرُ خاشعاً وكنتُ لريبِ الدَّهْرِ لا أتَضَعْضَعُ

ويشعر من شدة ما يلاقيه من حب ووجد أنه غريب هائمٌ في البراري:[2]

وما زلتُ من ذكراكِ حتى كأنني أميمٌ بأكنافِ الديارِ سليبُ[3]
وحتى كأني من جوى الحبِ منكمُ سليبٌ بصحراء البُرَيحِ غريبُ

(1) ديوانه ص 176-177، ط دار الجيل، بيروت 1995.

(2) ديوانه ص 48- 49.

(3) الأميم: المصاب في أمّ رأسه.

أَبَثُّكِ ما ألقى وفي النفسِ حاجةٌ ... لها بينَ جلدي والعظامِ دبيبُ

ورحل الأحوص (ت 105 هـ) من المدينة إلى الأردن قاصداً يزيد بن عبد الملك، وهو في عمّان وقد طال به المقام، وحن إلى وطنه وديارِه في المدينة، وكثيراً ما تهيج البروق اليمانية أشجان المغتربين فيحنون إلى أوطانهم، فصار يشتاق، ويذكر مرابع الصبا ويسميها، ويحن إلى أرضها وأهلها، وتنهمر الدموع من عينيه شوقاً وحناناً ، فينشد: [1]

أقولُ بعَمّانَ وهل طَربي به ... إلى أهلِ سَلْعٍ إنْ تشوَّقْتُ نافعُ
أصاحِ ألم تَحْزُنْكَ ريحٌ مريضةٌ ... ويَرْقٌ تلالا بالعَقيقينِ لامعُ
فإنَّ غريبَ الدارِ ممَّا يشوقُهُ ... نسيمُ الرياحِ والبُروقُ اللوامِعُ
نظرْتُ على فَوْتٍ وأوفَى عشيَّةً ... بنا منظرٌ من حِصْنِ عَمّانَ يافِعُ
لأُبْصِرَ أحياءً بخاخِ تضَمَّنَتْ ... منازِلُهُمْ منها التِّلاعُ الدوافعُ
ومن دونِ ما أسمو بطرفي لأرضِهم ... معانٌ ومُغْرٌ من البِيْدِ واسِعُ
فأبْدَتْ كثيراً نظرتي من صَبابتي ... وأكثرُ منهُ ما تُجِنُّ الأضالِعُ

ويذكر حبيبته التي فارقها وهو طائع، ولكن الشوق قد غلبه الآن فهو يبكي، ويتمنى لو عاد والتقى بالأحباب والأوطان:

وكيف اشتياقُ المرءِ يبكي صَبابَةً ... إلى مَنْ نأى عن دارِهِ وهو طائعُ
وللعَيْنِ أسرابٌ تفيضُ كأنَّما ... تُعَلُّ بكُحْلِ الصَّابِ منها المدامعُ
لَعَمْرُ ابنَةِ الزيديِّ إنَّ ادِّكارَها ... على كل حالٍ للفؤادِ لرائعُ
وإني إليها حيثُ طارتْ بها النَّوى ... من الغَوْرِ أو جَلْسِ البلادِ لنازِعُ

(1) ديوان الأحوص ص 183- 185، تحقيق عادل سليمان، ط 2 الخانجي، مصر ، بعد 1990.

وكان الطرماح بن حكيم (ت 125هـ) في قزوين شمالي إيران، ونظر إلى البرق اليماني يلمع في كبد السماء فاشتاق إلى وطنه وحنَّ إلى جبلي طيء؛ أجأ وسلمى، وتذكر أهله وصحبه وأحبابه، ومن يحب من نساء الحيِّ، فهاجت أشجانه: [1]

طَرِبْتَ وشاقَكَ البرقُ اليماني ... بفَجِّ الريحِ فجِّ القاقُزانِ
أضَوْءُ البرقِ يلمعُ بين سلمى ... وبينَ الهضْبِ من جَبَلَيْ أبانِ
أضوءَ البرقِ بِتَّ تَشيمُ وَهْناً ... لقد دانيتَ ويحَكَ غيرَ دانِي
ألم تَرَ أنَّ عِرْفانَ الثُّرَيَّا ... يُهَيِّجُ لي بِقَزْوينَ احْتزاني
خليلي مُدَّ طرفَكَ هل ترى لي ... ظعائنَ باللِّوى من عَوْكَلانِ
ضعائنُ لو يَصِفْنَ بدير ليلى ... مَنَى لي أنْ أُلاقيهِنَّ ماني

أما نُصيب الشاعر (ت 108 هـ) فيحن إلى أحبابه وهم في مصر بالحَوف قرب دمياط، ويهيج أشجانه البرق وهو غريب في سفر، فيسهر ليلة يحلم بأحبابه ويناجيهم:[2]

سرى الهمُّ تَثْنيني إليك طلائعُهْ ... بمصرَ وبالحَوْفِ اعترتني روائعُهْ
وبات وِسادي ساعدٌ قلَّ لحمُهُ ... على العظمِ حتى كادَ تبدو أشاجِعُهْ
وكم دونَ ذاكَ العارضِ البارقِ الذي ... له اشتقتُ من وجهٍ أُسيلَ مدامِعُهْ
تمشَّى بـه أفناءُ بكرٍ ومَذْحِجٍ ... وأفناءُ عمروٍ وهو خِصْبٌ مرابِعُهْ
أعِنِّي على بَرْقٍ أُريكَ وميضَهُ ... تُضِيءُ دُجُنَّاتِ الظلامِ لوامِعُهْ
إذا اكتحَلتْ عينا مُحِبٍّ بضوئهِ ... تجافَتْ به حتَّى الصَّباحِ مضاجِعُهْ
قعدتُ له ذاتَ العِشاءِ أشيمُهُ ... وأنظرُ من أينَ استقَلَّتْ مطالِعُهْ
هنيئاً لأمِّ البَخْتري الرِّوَى به ... أنْهَجَ الحَبْلُ الذي أنا قاطِعُهْ

(1) ديوان الطرماح ص 297، تحقيق عزة حسن، ط 2 دار الشرق العربي، بيروت 1994.

(2) شعر نصيب ص 103- 104، جمع وتقديم داود سلوم، ط بغداد 1967.

وما زِلتُ حتَّى قُلتُ إني لخالعٌ ولائيَ من مولىً نمَتْني قوارِعُهْ
ومانحُ قومٍ أنتَ منهم مودَّتي ومُتَّخِذٌ مولاكَ مولىً فتابِعُهْ

وليس البرق وحده ما يثير أشواق نصيب وهمومه وحنينه إلى أحبابه، بل كان هديل الحمام، حين يهتف بالليل يثير أشواقه وأحزانه، ويحن إلى أحبابه ويستدعي البكاء:[1]

لقد هتَفَتْ في جُنْحِ ليلٍ حمامةٌ على فَنَنٍ وَهْناً وإني لنائمُ
فقلتُ اعتذاراً عندَ ذاكَ وإنَّني لنفسيَ مِمَّا قد رأتْهُ لَلائمُ
أأزعمُ أنِّي هائمٌ ذو صَبابةٍ لسُعْدى ولا أبكي وتبكي الحمائمُ
كذَبْتُ وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاشقاً لما سَبَقَتْني بالبُكاءِ الحَمائِمُ

وفي مقام سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت (ت 115هـ) في مصر كان يحن إلى وطنه الحجاز، ولكن حبيبته تتشبث به تريده أن يبقى ولا يفارق،وتذري الدمع تعلقاً به، فيصف حالها: [2]

بَرِحَ الخفاءُ فأيَّ ما بكَ تكتمُ والشوقُ يُظهِرُ ما تُسِرُّ فيُعْلَمُ
وحملتَ سُقْماً من علائقِ حُبِّها والحُبُّ يعْلَقُهُ الصحيحُ فيَسْقَمُ
علويَّةٌ أمستْ ودون وصالها مضمارُ مصرَ وعابدٌ والقُلْزُمُ[3]
خودٌ تُطيفُ بها نواعِمُ كالدُّمَى مما اصطفى ذو النِّيقَةِ المتوَسِّمُ

وتتوسل إليه عند الوداع، وتذرف الدمع ليبقى، وتحبِّب إليه مصرَ ليقيم فيها، لعله ينسى الحجاز وأهله:

---

(1)شعر نصيب ص 124 وفيه تخريج المصادر، وحماسة أبي تمام ص 390، وابن المرزبان ص 75، والحيوان 3/ 206، وتنسب لقيس بن الملوح في ديوانه ص 278 ط عبد الستار فراج.

(2) الأغاني 8/ 282- 283.

(3) عابد:جبل في أطراف مص، والقلزم: بلدة شرقي مصر قرب جبل الطور، إليها يضاف البحر الأحمر فيقال بحر القلزم . ياقوت: القلزم 4/ 387 .

قالت وماءُ العينِ يغسِلُ كُحْلَها ... عند الفراقِ بمُستهلٍّ يسْجُمُ
يا ليتَ أنَّكَ يا سعيدُ بأرضِنا ... تُلقي المراسي ثاوياً وتُخَيِّمُ
فتُصيبَ لذَّةَ عيشِنا ورخاءَهُ ... فنكونُ أجواراً فماذا تنقِمُ
لا ترجِعَنَّ إلى الحجازِ فإنَّهُ ... بلدٌ به عيشُ الكريمِ مُذَمَّمُ

ويرد عليها أن الحجاز هو الوطن الحبيب وهل يفارق المرءُ وطنَه، ويذكر الحمام وما يثير في نفسه من الحنين والشوق، وكذلك البرق وريحه ومطره، له منظر يُحيي الروح والبدن، يطرب النفوس ويشفي السقيم العليل، وهل يفارق المرء وطنه الحبيب ؟!:

وهلُمَّ جاوِزْنا، فقلتُ لها: اقصري ... عيشٌ بطَيْبَةَ ويْحَ غيرِكِ أنعَمُ
أيُفارَقُ الوطنُ الحبيبُ لمنزلٍ ... ناءٍ ويُشْرَى بالحديثِ الأقدَمُ
إنَّ الحَمامَ إلى الحجازِ يَهيجُ لي ... طَرَباً تَرَنُّمُهُ إذا يترنَّمُ
والبرقُ حين أشيمُهُ متيامناً ... وجنائبُ الأرواحِ حينَ تَنَسَّمُ
لولاَّ ذو قَسَمٍ على أنْ لم يكنْ ... في الناسِ مُشْبِهُها لَبَرَّ المُقْسِمُ

أما غربة ذي الرمة (ت 117 هـ) فغربة نفسية دافعها الشوق إلى حبيبته وبعادها وحرمانه من لقائها، فهو يكون بين بقايا ديار الأحبة فيتذكر أيامه السعيدة وتضطرم أشواقه ويزداد حنينه فينعى حاله، ويصف غربته وهو يتأمل ديار الحبيبة بعدما شاخ وذهب عهد الصِّبا، فيعاتب نفسه،ويحاول أن يمنع عبرته ويكفكف دمعه، ولكنه لابد هاطل: [1]

أمن دمنةٍ بين القِلاتِ وشارعٍ ... تصابيتَ حتى ظلَّتِ العينُ تدمعُ
نعَمْ عبرةً ظلتْ إذا ما وزَعْتُها ... بحلمي أبتْ منها عواصٍ تَنَزَّعُ
تصابيتَ واهتاجتْ لها منكَ حاجةٌ ... ولُوعٌ أبَتْ أقرانُها ما تُقَطَّعُ

(1) ديوان ذي الرمة ص 254- 255 ط دار الكتاب العربي، بيروت 1996.

إذا حانَ منها بعدَ مَيٍّ تَعَرُّضٌ ... لنا حَنَّ قلبٌ بالصبابة مولعُ
وما يرجعُ الوجْدُ الزمانَ الذي مضى ... وما للفتى في دِمْنَةِ الدار مَجْزَعُ

ويصف حاله ويبكي ماضيه الذي لا يعود، فهو حائر يجلس بين الديار يلقط الحصى ويخط في الأرض اسم ميٍّ حبيبته، وحوله الغربان تطير وتقع:

عشيَّةَ مالي حيلةٌ غيرَ أنني ... بِلَقطِ الحصى والخَطِّ في الأرضِ مولَعُ
أخُطُّ وأمحو الخَطَّ ثم أعيدُهُ ... بكفِّيَ والغِربانُ في الدارِ وُقَّعُ
كأنَّ سِناناً فارسيّاً أصابني ... على كَبِدي بلْ لوعةُ الحُبِّ أوجَع

والغربة عند العرجي(ت 120هـ) مقترنة بنزوح الدار، وكان العرجي قد أتهم بدم فسجن سبع سنين، وقد ضُرب وشُهِّر به قبل سجنه، فهو يشكو غربة السجن والبعد عن أهله وأحبابه، وقد هاج أشجانه البرق اليماني، ويغلبه الحنين فتفيض عيناه بالدموع الجارية، ولا يبالي بلوم الصديق فقد كان الحنين إلى أوطان الحبيبة أشد من أن يكتم:[1]

هاجَ قلبي بعدَما كانَ سكَنْ ... لبُرَيْقٍ لاحَ من نحو اليمَنْ
فاعتراني الشوقُ لَمّا خِلْتُهُ ... مَوْهِناً قد لجَّ وَهْناً والحَزَنْ
فالحِمَى منه حِمى العَرْجِ إلى ... أظْرُبِ الأحسا إلى القَصْرِ قَمَنْ
تلكَ أوطانٌ لليلى ولَنَا ... ما يَهيْجُ ذا الهوى إلا الوَطَنْ
باتَ يلْحَاني رفيقي أنْ رأى ... سَنَنَ الدَّمْعِ وللدَّمْعِ سَنَنْ
قلتُ يا صَاحِ إذا ما لم تُعِنْ ... - فدَعِ اللَّومَ هوى ليلى- فمَنْ
يعْتَريهِ من مُحِبٍّ شَوقُهُ ... نازحِ الدارِ غريبٍ ذِي شَجَنْ
فارعَوى عن ذاكَ إذ فطَّنتُهُ ... للذي نَلْقَى وما كانَ فَطِن

(1) ديوان العرجي ص 328، تحقيق سجيع الجبيلي، ط دار صادر، بيروت 1998

ويشكو غربته وضياعه في السجن وهو الفتى الفارس الكريم، وقد أهين وضرب وأُشْهِرَ للناس: [1]

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا ... ليومٍ كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ
وخَلَّوني لمعتَرَكِ المنايا ... وقد شَرَعَتْ أسِنَّتَها لنَحْري
كأنّي لم أكُنْ فيهم وسيطاً ... ولا لي نسبةٌ في آلِ عمرِو
أجَرَّرُ في الجوامعِ كلَّ يومٍ ... ألا للهِ مظلمتي وصبري

وتسوء حاله حتى إنه يتمنى الموت لينجو من عذاب ما هو فيه: [2]

ومما يهيجُ القلبَ يا صاحِ نحوها ... إذا باكرَ الأيكَ الحمامُ السَّواجعُ
كأني لذكراها إذا الليلُ جَنَّني ... أسيرُ عدوٍّ أسهَرَتْهُ الجوامعُ
يرى الموتَ غُنْماً راحةً والذي بهِ ... عليهِ عَناءٌ فهو بالموتِ طامعُ
فكيفَ يذكراها وبالعَرْجِ مسكني ... ومن دونها الشُّمُّ الجبالُ الفوارعُ

ويشكو أبو دهبل(ت 126هـ) من عناء الغربة الدائم ويحن إلى الوطن، فقد فارق أهله وصغاره ويتمنى العودة واللقاء، ومما يزيد أحزانه ويهيج أشجانه نوح الحمام: [3]

أفي كلِّ عامٍ غُرْبَةٌ ونزوحُ ... أما للنَّوى من ونيةٍ فتريحُ
لقد طلحَ البينُ المُشِتُّ ركائبي ... فهل أرِيَنَّ البَيْنَ وهو طليح
وأرّقني بالريِّ نوحُ حمامةٍ ... فنُحْتُ وذو البَثِّ الغريبِ ينوحُ
على أنّها ناحتْ ولم تُذْرِ دمعةً ... ونُحْتُ وأسرابُ الدموعِ سُفوحُ
وناحتْ وفرخاها بحيثُ تراهما ... ومن دونِ أفراخي مهامهُ فيحُ

---

(1) الديوان ص 246- 247.

(2) ديوانه ص 259.

(3) ديوانه ص 76، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، ط النجف 1972.

ألا يـا حـمـامَ الأيـكِ إلفُـكَ حـاضرٌ وغُـصْنُكَ ميَّـادٌ ففـيمَ تنـوحُ ؟!

والغربة مقرونة بالقلق والخوف عند يزيد بن الطثرية (ت 126 هـ) فهو يتساءل هل سترجع أيامه السعيدة بعد الفراق أم يدوم البعد ويشمت العاذلون: [1]

ألا هل من البينِ المُفَـرِّقِ مـن بُـدّ وهل لليـالٍ قـد تسَـلَّـفْنَ مـن ردّ
وهـل مثـلُ أيـامي بنَعْـفِ سُـويقَةٍ رواجـعُ أيـامٍ كـما كُـنَّ بالسَّعْدِ
ويـاليتَ شـعري مـا الـذي تُحْـدِثَنَّ لي نوى غُرْبـةٍ بعـدَ المشَقَّةِ والبُعْـدِ
نوى أمِّ عمروٍ حيثُ تغـتربُ النَّـوى بها ثُمَّ يخلـو الكاشـحونَ بهـا بعـدي

وبعد، فهو حائر فيما يجد من عذاب الشوق بين البعد عن الحبيب والقـرب منـه،ولم يجد في أحدهما شفاءً مما يعانيه من الوجد:

وقـد زعمـوا أنَّ المُحِـبَّ إذا دنـا يَمَلُّ وأنَّ النأيَ يَشفي مـن الوجْـدِ
بكُـلٍّ تـداوينا فلـم يُـشْفَ مـا بنـا على أنَّ قُرْبَ الدارِ خيرٌ مـن البُعْـدِ

أما محمد بن بشير الخارجي(ت 130هـ) فكانت غربته قسرية، فقد عاش حياته في المدينة المنورة وبواديها، ثم خرج لأمر ما إلى البصرة وتزوج من امرأة أحبهـا، واشـترطت الزوجة عليه أن يُقيم معها في البصرة ولا يغادرها، فرضي وأقـام، ولكـن كانـت تتنازعـه أشواقه وحنينه إلى الحجاز،وشعوره بالغربة بعيداً عن وطنه وأهله، فعاش متألماً يعاني مـا يعانيه الغريب بعد سفر ابن عمه ورَّاد:[2]

لقد أقمتُ بحيثُ الفيضُ مـن رَجَـبٍ حتى أُهِلَّ بـه مـن قابـلٍ رجَبـا [3]
وراحَ في الـسَّفْرِ ورَّادٌ وهيَّجنـي إنَّ الغريـبَ إذا هيَّجتَـهُ طرِبـا

(1) شعر يزيد بن الطثرية ص 68- 70، جمع حاتم الضامن، ط بغداد 1973.

(2) شعر محمد بن بشير الخارجي ص 36، تحقيق محمد خير البقاعي، ط دار قتيبة، دمشق 1985.

(3) الفيض: محلة البصرة.

إنَّ الغريبَ يهيجُ الحُزْنَ صَبْوَتَهُ ... إذا المُصاحِبُ حيَّاهُ وقد رَكِبا
قد قلتُ أمسِ لوزَّادٍ وصاحبِهِ ... عوجا على الخارجيِّ اليومَ واحتسِبا

وحب الوطن غريزة في النفوس والغريب يتمنى أبداً العودة إلى وطنه ولقاء أهله وأحبابه، وهذا ما يتمناه أحد الشعراء العشاق:[1]

سقى الله أرضَ العاشقينَ بغيثِهِ ... وردَّ إلى الأوطانِ كُلَّ غريب
وأعطى ذوي الهيئاتِ فوقَ مُناهمُ ... ومَتَّعَ محبوباً بقربِ حبيبِ

ويعلن طريح بن إسماعيل (ت 165 هـ) غربته ويتوثق منها، في سياق مدحه للوليد بن يزيد بن عبد الملك:[2]

فلا أراني بإخلاصي وتنقيتي ... لك الثناء وقُربي منك أقتربُ
قد كنتُ أحسَبُني غيرَ الغريبِ فقد ... أصبحتُ أُعلِنُ أني اليومَ مغتَرِبُ

ونترك الشاعر المادح المتقرب بذلة إلى الخليفة ونقف عند الشاعر الذي يصور الحنين والشوق وألم الفراق ساعة الوداع والرحيل، فالزوجة تتشبث به وهو حائر بين الشوق والحنين وبين الرحيل، والدموع تجري من عيون الشاعر وزوجه:[3]

تقولُ والعيسُ قد شُدَّتْ بأرْحُلِها ... أحَقَّ أنَّكَ منا اليومَ منطلقُ ؟!
قلتُ نعم فاكظمي قالتْ وما جلدي ... ولا أظنُّ اجتماعاً حينَ نفترقُ
فقلتُ إنْ أحيَ لا أطُولْ بعادَكُمُ ... وكيفَ والقلبُ رهْنٌ عندَكم غَلِقُ
فارقْتُها لا فؤادي من تذَكُّرِها ... سالي الهمومِ ولا حبلي لها خَلَقُ
فاضتْ على إثْرِهم عيناكَ دمعُهُما ... كما تتابعَ يجري اللؤلؤُ النَّسَقُ

(1) رسائل الجاحظ 2:/ 412.

(2) شعر طريح بن إسماعيل ص 75، جمع وتحقيق بدر ضيف، ط الاسكندرية 1987.

(3) شعر طريح ص 98.

فاستَبْقِ عينَكَ لا يودي البُكاءُ بها ... واكْفُفْ بوادِرَ دمْعٍ منكَ تسْتَبِقُ
ليسَ الشؤونُ وإنْ جادتْ بباقيةٍ ... ولا الجفونُ على هذا ولا الحَدَقُ

وبعد، فلم يقتصر الحنين إلى الأوطان على الرجال، بل كان كثير من النساء يشتقنَ إلى أوطانهن، وكان حنينهن خاصة إلى البادية حين تتزوج بحضري وتسكن المدن فتحن إلى أهلها في البادية، وأكثر حنين النساء من هذا الضرب، ولكن بعضهن تحن إلى وطنها وإن كان في الحاضرة، فهذه امرأة يغلبها الشوق والحنين إلى وطنها مكة، على الرغم من عيشها المرفه في القصور في الاقحوانة بالشام على شاطىء بحيرة طبرية، نقل ياقوت[1] عن هشام بن الوليد عن أبيه قال: خرج قوم من مكة نحو الشام، وكنت فيهم، فبينا نحن نسير في بلاد الأردن من أرض الشام إذ رُفع لنا قصرٌ، فقال بعضنا لبعض: لو ملنا إلى هذا القصر فأقمنا بفنائه حتى نستريح، ففعلنا، فبينما نحن كذلك إذ انفتح باب القصر وانفرج عن امرأة مثل الغزال العطشان، فرمقها كل واحد منَّا بعين وامقٍ وقلب عاشقٍ، فقالت: من أي القبائل أنتم ومن أي البلاد ؟ قلنا: نحن أضاميمُ من ههنا وهناك، فقالت: أفيكم من أهل مكة أحد ؟ قلنا: نعم، فأنشأت تقول:

من كان يسأل عنَّا أين منزلنا ... فالأقحوانةُ منَّا منزلٌ قَمَنُ
وإنَّ قصريَ هذا ما به وطني ... لكنْ بمكةَ أمسى الأهلُ والوطنُ
إذْ نلبسُ العيشَ صفواً ما يكدرهُ ... قولُ الوشاةِ وما ينبو به الزمنُ
من كانَ ذا شَجَنٍ بالشامِ ينزلُهُ ... فبالأباطحِ أمسى الهمُّ والحَزَنُ

ثم شهقت شهقة وخرَّتْ مغشياً عليها، فخرجت عجوز من القصر فنضحت الماء على وجهها، وجعلت تقول:

(1) معجم البلدان: الأقحوانة 1/ 234.

في كـل يـوم لـكِ مثـل هـذا مـرات تاللهِ للموتُ خيرٌ لكِ مـن الحيـاة[1]

فقلنا: أيها العجوز، ما قصَّتُها ؟ فقالت: كانت لرجل من أهل مكة، فباعها، فهي لا تزال تنزعُ إليه حنيناً وشوقاً.

والحنين إلى الوطن أشد ما يكـون عنـد المـرض وترقـب المـوت، فيـشتد الحنـين ويتمنى المـرء أن يودع الحياة وهو في وطنه وبين أهله، فهذه امرأة تحتضر وتتمنى أن تودع وطنها بحرة ليلى، فتوصي خليليها أن يقرأا السلام على مرابع صباها وارض أهلها:[2]

خلـيليَّ إن حانـت بمـورةَ ميتتـي وأزمعـتما أن تحفـرا لي بهـا قـبرا
ألا فاقريـا منـي السـلامَ عـلى فتـىً وحـرَّةَ لـيلى لا قلـيلاً ولا نـزرا
سلامَ الذي قـد ظـنَّ أنْ لـيس رائيـاً رُماحاً ولا مـن حرَّتيـهِ ذُرىً خُـضرا

والملاحظ أن أكثر حنين النساء إلى أوطانهن حين ينتقلن مـن البـوادي إلى الحـاضرة بالزواج، فلا يجدن سعادتهن في فراق أوطانهن، ونجد ذلك واضحاً في حنـين النـساء إلى نجد وإلى البوادي مراتع الحب والصبا.

وبعد فما جاء من الشعر الذي يصور الحنين والغربة في العـصر الأمـوي كثير،وقـد وقفنا عند بعضٍ من نماذجه الجيدة المعبرة وتركنا شعراً كثيراً رغبـة في الإيجـاز، والدلالـة بالقليل تُغني عن الكثير.

(1) البيت فيه خلل، ولعله من النثر المسجوع.

(2)معجم البلدان: رماح 3/ 65 .

الفصل الثالث

الحنين والغربة في الشعر العباسي

قَلَّ شعر الحنين إلى الأوطان في العصر العباسي نسبة إلى العصرين الجاهلي والأموي، وذلك للاستقرار واتساع المدن وانتشار الحضارة واختلاط الشعوب، فكانت بغداد درة العواصم وملتقي الثقافات، وأصبحت الحياة مدنية بعيدة عن البداوة مصدر الشوق والحنين. ومع ذلك كانت هناك بعض الأصوات التي تحس بالحنين عند الهجرة أو الفراق والبعاد طلباً للرزق أو هرباً من جور الولاة والسلاطين.

ومادام حب الأوطان غريزة في النفوس والحنين إلى الأهل والبلاد طبيعة في الجِبلَّة فقد ظهر هذا الحنين والشوق في شعر الشعراء،ولاشك أن بعضاً من هذا الشعر كان تقليداً لأساليب الجاهليين والأمويين الذين اعتادوا الهجرة والنقلة، ونقف عند جمهرة من هؤلاء الشعراء العباسيين الذين حنوا إلى أوطانهم واشتاقوا إلى مرابع صباهم، ومن هؤلاء الشعراء ابن ميادة (ت 149هـ) الذي يشتاق إلى البادية ويحن إلى حرَّة ليلى بديار قيس، وقيل لبني مرة بن عوف من ذبيان: [1]

ألا ليت شعري هل أبيتَنَّ ليلةً ... بحَرَّةِ ليلى حيثُ ربَّتني أهلي

بلادٌ بها نِيْطَتْ عليَّ تمائمي ... وقُطِّعْنَ عنِّي حينَ أدركني عَقْلي

وهل أسمَعَنَّ الدهرَ أصواتَ هَجْمةٍ ... تطالِعُ من هَجْلٍ خصيبٍ إلى هَجْلِ [2]

صُهَيْبيَّةٍ صفراءَ تُلْقي رِباعَها ... بمُنْعَرَجِ الصَّمَّانِ والجَزْعِ والسَّهْلِ

---

(1) شعر ابن ميادة ص 199- 200،تحقيق حنا حداد، ط مجمع اللغة العربية، دمشق 1982.

(2) الهجمة القطعة الكبيرة من الإبل، ما بين الثلاثين إلى المائة. الهجل: المتسع من الأرض.

تَحِنُّ فأبكي كُلَّما ذَرَّ شارقٌ وذاكَ على المُشْتاقِ قَتْلٌ من القَتْلِ
فإنْ كنتَ عن تلك المواطنِ حابسي فأيْسِرْ عليَّ الرزقَ واجمعْ إذاً شَمْلي

ويستثير نوح الحمام حنين الشعراء إلى الأهل والأوطان، قيل: مرَّ بشار الأعمى (ت 167هـ) أو غيره[1] بباب الطاق، فسمع صياح قُمرية فقال لغلامه: انطلق فإنْ وجدتَ هذه القُمرية بجناحها فاشترِها ولو بوزنها ذهَباً، فوجدَها بجناحها، فاشتراها بثلاثةِ دنانير، فأخذها فلمسها بيده، ثم قال:

ناحتْ مُطَوَّقةٌ بابِ الطاقِ فجَرَتْ سوابِقُ دمعِكَ المُهراقِ
طَرَبَتْ إلى أرضِ الحجازِ بحُرْقَةٍ فشَجَتْ فؤادَ الهائمِ المُشتاقِ
لُعِنَ الفِراقُ وجُذَّ حَبْلُ وتينِهِ وسقاهُ من سُمِّ الأساوِدِ ساقي
يا وَيْحَهُ ما قصدُهُ قُمريَّةٌ لم تدرِ ما بغدادُ في الآفاقِ
كانت تُفَرِّخُ في الأراكِ وربَّما كانت تُفَرِّخُ في فُروعِ السَّاقِ
فأتى الفِراقُ بها العراقَ فأصبحتْ بعدَ الأنيسِ تنوحُ في الأسواقِ
بي مثلُ ما بكِ يا حمامةُ فاسألي مَنْ فَكَّ أسرَكِ أنْ يَحُلَّ وِثاقي
إنَّ الحمائمَ لم تزَلْ بحنينِها قِدْماً تُبَكِّي أعْيُنَ العُشَّاقِ

ثم أطلقها.

ومن يبتعد عن وطنه يحنُّ إلى أحبابه، فتشتد به الغربة ويشعر أنه مُقَسَّمٌ، جسمه في أرض وروحه في وطنه مع من يحب، فحياته في الغربة عذاب وعبث، قدم ابن المولى محمد بن عبد الله (ت 170هـ) في بعض سِنِيِّه العراق، فأخفق وطال مقامه وضجر، فاشتاقَ إلى المدينة، وقال:[2]

---

(1) لم ترد الأبيات في ديوانه، وتنسب الأبيات أيضاً لعبد الله بن طاهر (ت 230هـ) ولليمان بن أبي اليمان البندنيجي (ت 284هـ) الشاعر الضرير، راجع: ابن المرزبان ص71، و انظر مصادر تخريج الأصل للمحقق جليل العطية.

(2) المنازل والديار ص 245، وغير الثاني في الأغاني 3/ 289.

ذهـبَ الرجـالُ فـلا أُحِـسُّ رجـالا ... وارى الإقامـةَ بـالعراقِ ضـلالا
وأرى المُرجِّـي للعـراقِ وأهلِـهِ ... ظمآنَ هـاجـرةٍ يُؤَمِّـلُ آلا
وطَرِبْتُ أنْ ذكَـرَ المدينـةَ ذاكِـرٌ ... يـومَ الخميسِ فهـاجَ لي بَلْبـالا
وجعَلْـتُ أنظـرُ في الـسَّماءِ كـأنني ... أبغـي بناحيـةِ الـسماءِ هِـلالا
طَرَبـاً إلى أهـلِ الحجـازِ وتـارةً ... أبكـي بـدمعٍ مُـسْبِلٍ إسْـبالا

وفي رواية مؤثرة جرت في مجلس الرشيد فيه حنين الشاعر الغريب يحيى بن طالب الحنفي (ت 180هـ) الذي ركبه الدَّين فرحل من وطنه، وصار يشتاق إلى كل ما في الوطن من أرض وماء وشجر، ومحمد الحنفي رجل من أهل اليمامة، كان أديباً كريماً، فابتاع من عامل السلطان غَلَّة مما تحت يده يريد بها الربح، فأصاب الناس باليمامة قحط ومسغبة، ففرق يحيى تلك الغلَّة وأطعمهم إياها، وآن محلُّ الوفاء، ولم يكن له شيء، فهرب إلى الري، وبها توفي، وقد غنى إسحاق الموصلي بين يدي الرشيد بهذه الأبيات فطرب الرشيد وسأل عن قائل الشعر فأخبر بخبره وأنه من أهل اليمامة وهرب إلى الري من دين غلبه، فأمر الرشيد أن يكتب إلى عامل الري بقضاء دينه وإعطائه نفقة، فوصل الكتاب إلى الري يوم مات يحيى بن طالب، والشعر هو:[1]

ألا هـل إلى شـمِّ الخُزامـى ونظـرةٍ ... إلى قَرْقَـرَى قبـلَ المـماتِ سـبيلُ
فأشربَ مـن مـاءِ الحُجيلاءِ شُرْبـةً ... يُداوى بها قبـل المماتِ عليـلُ[2]
فيا أثلاتِ القـاعِ مـن بطـنِ تُوضـحٍ ... حنينـي إلى إظْـلالِكُنَّ طويـلُ
ويا أثلاتِ القـاعِ قلبـي مـوكَّـلٌ ... بكُـنَّ وجَـذوى نَيْـلِكُنَّ قليـلُ

(1) المنازل والديار ص 228- 229.

(2) الحجيلاء: بئر باليمامة.

ويا أثلاتِ القاعِ قد مَلَّ صُحْبتي ... مُقامي فهل في ظِلِّكُنَّ مَقيلُ
أُحَدِّثُ عنكِ النفسَ أنْ لستُ راجعاً ... إليكِ فهَمِّي في الفُؤادِ دخيلُ
أُريدُ رجوعاً نحوكم فيصُدُّني ... - إذا رُمْتُه- دَيْنٌ عليَّ ثقيلُ

ويحن أبو حية النميري (ت 183هـ) إلى أرضه وأهله بالغُوير ويتمنى أن يسعد مع أحبابه بنسائم بلده:[1]

ألا هل إلى نَصِّ النَّواعجِ بالضُّحى ... وشَمِّ الخُزامى بالغُوَيْرِ سبيلُ
بلادٌ بها أمسى الهوى غير أنني ... أميلُ مع المقدارِ حيثُ يميلُ

وأنشد حمَّاد بن إسحاق الموصلي:[2]

أحبُّ بلادَ الله ما بينَ صارةٍ ... إلى غطفانَ إذْ يصوبُ سحابُها
بلادٌ بها نيطَتْ عليَّ تمائمي ... وأولُ أرضٍ مسَّ جلدي ترابُها

ويحن الشاعر إلى وطنه ويهديه التحيات والحياة في ظل جبل الوشل هي نعيم الدنيا عنده،قال: وأنشدها أبو عثمان المازني النحوي[3]

اقرأ على الوشلِ السلامَ وقُلْ له ... كلُّ المواردِ مُذْ هُجرتَ ذميمُ
جبلٌ يُنيفُ على الجبالِ إذا بدا ... بين الغدائرِ والرمالِ مقيمُ
تسري الصَّبا فتبيتُ في ألواذهِ ... ويبيتُ فيه من الجَنُوبِ نسيمُ
سقْياً لظلكَ بالعشيِّ وبالضُّحى ... ولبَرْدِ مائكَ والمياهُ حميمُ
لو كنتُ أمْلِكُ منعَ مائكَ لم يَذُقْ ... من بَرْدِ مائكَ ما حييتُ لئيمُ

---

(1) المنازل والديار ص 248، وفي الزهرة 1/ 380 منسوبان للنميري وليس هو الراعي، والبيتان في شعر أبي حية النميري ص 190 ما نسب له ولغيره، تحقيق يحيى الجبوري ط وزارة الثقافة، دمشق 1975.

(2) رسائل الجاحظ 2/ 399 .

(3) وتنسب الأبيات للقمقام الأسدي.رسائل الجاحظ 2/ 403 معجم البلدان 5/ 377 .

ويشكو أشجع السلمي (ت 195هـ) من عذاب الغربة وشدة الشوق والحنين، يقول مصوراً ما يعانيه من هذا العذاب، فهو يسهر الليل باكياً متفكراً متألماً لا يستقر به مضجع: [1]

ومُغْـــتَرِبٍ ينقـــضي ليلُـــهُ فنونـــاً ومُقْلَـــتُهُ تَـــدْمـــعُ
يُؤَرِّقُـــهُ نأيُـــهُ في الـــبلا دِ فـــما يـــستَقِرُّ بـــه مَـــضْجَعُ
إذا الليـــلُ ألبَـــسَهُ ثوبَـــهُ تقَـــلَّبَ فيـــهِ فتـــىً مـــوجَعُ

ويعيش سفيان بن عُيينة الهلالي (ت 198هـ) هذه التجربة، ويشعر بالضياع والتمزق وأوجاع الحنين،ويصوراً هذه الحال بقوله: [2]

جسمي معي غير أنَّ الروحَ عندكمُ فالجسمُ في غُربةٍ والروحُ في الوطنِ
فليَعْجَبُ الناسُ منِّي أنَّ لي بدَناً لا روحَ فيهِ ولي روحٌ بلا بدَنِ

ويغلب الشوق والحنين عُلَيَّة بنت المهدي (ت 210هـ) أخت هارون الرشيد، وقد صحبها الرشيد إلى الريِّ، فتشعر بالغربة وتحنُّ إلى بغداد، فلما صارت بالمَرج عملت شعراً، وصاغت فيه في طريقة الرمل وغنته به، والشعر هو: [3]

ومغتربٍ بالمَرْجِ يبكي لشجْوِهِ وقد غاب عنه المسعدون على الحُبِّ
إذا ما اتاهُ الرَّكْبُ من نحوِ أرضه تَنَشَّقَ يستشفي برائحةِ الرَّكْبِ

فلما سمع الرشيد الصوت علم أنها قد اشتاقت إلى العراق وأهلها به، فأمر بردِّها. وقد تقاذفت بعض الشعراء البلدان والأوطان فهم في حِلٍّ وترحال لايطمئنون إلى

---

(1) المنازل والديار ص 248، وفي أشجع السلمي حياته وشعره ص 226- 227 خلاف، جمع وتحقيق خليل بنيان الحسون، ط دار المسيرة، بيروت.

(2) الحنين إلى الأوطان ص 86، خاص الخاص ص 116، الإعجاز والإيجاز ص 175،ودون نسبة في مصارع العشاق 2/ 260.

(3) أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق للصولي ص 60، عني بنشره: ج. هيورث. دن، ط دار المسيرة، بيروت 1979.

بلدانهم إما هرباً من السلطان أو طلباً للرزق، ولذلك فهم يشكون هذه الحال ويتمنون الاستقرار في أوطانهم آمنين، ومن أولئك كلثوم بن عمرو العتَّابي (ت 220 هـ) الذي يشكو من هذه الحال: [1]

حتى متى أنا في حلٍّ وترحالِ ... وطولِ هَمٍّ بإدبارٍ وإقبالِ
أُكابِدُ الدَّهْرَ لا أنفَكُّ مغْتَرِباً ... عن الأحِبَّةِ لا يدرونَ ما حالي
في مشرقِ الأرضِ طوراً ثم مغرِبها ... لا يخطُرُ الموتُ من ذكرى على بالي

ويهيج صوت الحمام الشعراء فيعانون آلام الغربة، ويتجرعون غصصها، ويألمون ويبكون هوىً وحنيناً وشوقاً إلى الأوطان والأحباب، وفي المجموع اللفيف[2] رواية تقول: خرج عوف بن محلم (ت 220هـ) مع عبد الله بن طاهر (ت 230هـ) لما أراد خراسان، فلما صار بالري نزل تحت دوحة، وجاء عوف فأخذ يحادثه تحتها، فبينا هما كذلك، إذ صدح طائر من الدوحة، فقال عبد الله: يا عوف، قاتل الله أبا كبير الهذلي [3] حيث يقول:

ألا يا حمامَ الأيكِ إلفُكَ حاضرٌ ... وغُصْنُكَ ميَّادٌ ففيمَ تنوحُ
أفِقْ لا تَنُحْ من غير شيءٍ فإنَّني ... بكيتُ زماناً والفؤادُ صحيحُ
ولوعاً فشَطَّت غُرْبةً دارُ زينَبٍ ... فها أنا أبكي والفؤادُ قريحُ

فقال عوف: والله أيها الأمير، لقد أحسن، فقال عبد الله: أجِزْ يا عوف، فقال: أيها الأمير، إنَّ شعري قد رقَّ، فيمهلني الأمير، ففعل، فغدا عليه فأنشده: [4]

---

(1) العقد الفريد 3/ 208، الحنين إلى الأوطان ص 80، بهجة المجالس 1/ 231، المحاسن والمساوىء 1/ 307 .

(2)للقاضي أمين الدولة محمد الحسيني الأفطسي ص 213- 214.

(3)عامر بن الحليس، شاعر جاهلي أدرك الإسلام.الشعر والشعراء ص 257،سمط اللآلىء ص 387، معجم الأدباء 5 / 2138.

(4) المجموع اللفيف ص 214،و الأبيات مع بيتين آخرين لعوف بن محلم في معجم الأدباء 5/ 2138، وطبقات ابن المعتز ص 187، والحنين إلى الأوطان لابن المرزبان ص 74، ومراجع أخرى مع خلاف يسير في رواية الشعر.

أفي كـل عـامٍ غُربـةٌ ونـزوحُ ... أمـا للنَّـوى مـن وَنْيَـةٍ فـتُروحُ
لقـد طلَّـحَ البَـينُ المُشِتُّ ركـائبي ... فهـل أرَيَـنَّ البَـيْنَ وهـو طليـحُ
وأرَّقَنـي بـالرَّيِّ نَـوْحُ حمامـةٍ ... فنُحْتُ وذو الشَّجْوِ القريحِ ينـوحُ
عـلى أنَّهـا ناحـتْ ولم تَـذْرِ دمعـةً ... ونُحْتُ وأسرابُ الـدموعِ سُـفوحُ
وناحَـتْ وفرخاهـا بحيـثُ تراهُمـا ... ومن دون أفراخي مهامِهُ فِيحُ
عسى جودُ عبد الله أنْ يعكِسَ النَّوى ... فتُلقى عَـصَا الأسـفارِ وهـي طـريحُ
فإنَّ الغِنى يُدني الفَتى من صـديقهِ ... وإنَّ النـوى بـالمُقترينَ طَـرُوحُ

وكان أبو تمام (231هـ) كثير الترحال والتنقل، لايقرُّ به قرار في بلد حتى ينتقل إلى آخر طلباً للعطايا ممن يمدحهم من الخلفاء والولاة في مشارق الدولة ومغاربها،فهو شبيه الخضر في كثرة تغربه في البلاد، وكان يحن إلى أهله وأحبابه، يقول: [1]

مـا اليـومُ أولَ توديـعٍ ولا الثـاني ... البـينُ أكثـرُ مـن شَـوقي واحْـزاني
دَعِ الفِـراقَ فـإنَّ الـدهرَ سـاعدَهُ ... فـصارَ أملـكَ مـن روحـي بجُـثماني
خليفةُ الخِضرِ مَـنْ يربَـعْ عـلى وطَـنٍ ... في بلـدةٍ فظهـورُ العِـيْسِ أوطـاني
بالـشامِ أهـلي وبغـدادُ الهـوى وأنـا ... بـالرَّقَّتينِ وبالفُـسْطاطِ إخـواني
وما أظنُّ النَّـوى تـرضى بـما صـنعتْ ... حتـى تُطَـوِّحَ بي أقـصى خُراسـانِ
خَلَّفْـتُ بـالأُفُقِ الغَـرْبيِّ لي سَـكَناً ... قد كـانَ عَيْـشي بـه حُلْـواً بِحُلْـوانِ

ويتذمر أبو تمام من صروف الزمان وتقلباتـه، وجـور الحكـام وضـياع القيم،فهـو وأمثاله غرباء في هذا الزمان، يُساسون بالقهر والظلم وكأن أحدهم عبدٌ أجدع: [2]

(1)ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي ص2/ 156- 158 ط دار الكتاب العربي، بيروت.

(2) الديوان 1/ 399- 400.

لقد سَاسَنا هذا الزمانُ سياسةً ... سُدىً لم يَسُسْها قطُّ عبْدٌ مُجَدَّعُ
تروحُ علينا كلَّ يومٍ وتغتدي ... خُطوبٌ كأنَّ الدَّهْرَ منهُنَّ يُصْرَعُ
حَلَتْ نُطَفٌ منها لنِكْسٍ وذو النُّهى ... يُدافُ لهُ سُمٌّ من العيشِ مُنْقَعُ
فإنْ نَكُ أُهْمِلْنا فأضعِفْ بسَعْيِنا ... وإنْ نَكُ أُجْبِرْنا ففيمَ نُتَعْتِعُ[1]

وهو كغيره من شعراء العصر يشعرون أنهم غرباء في هذا الزمان،الذي كثر فيه اللئام وتسلطوا، رغم أن الكرام كثير بأفعالهم رغم قلتهم، واللئام قليل في فِعالهم وإن كثروا، فهذا الزمان عجب وهو فيه غريب:[2]

إنَّ الكرامَ كثيرٌ في البلادِ وإنْ ... قَلُّوا كما غيرُهم قُلٌّ وإنْ كَثُروا
لا يذهَبَنَّكَ من دَهْمائِهِمْ عددٌ ... فإنَّ جُلَّهُمُ بَلْ كُلُّهمْ بَقَرُ
وكُلَّما أمسَتِ الأخطارُ بينَهُمُ ... هَلْكى تبيَّنَ مَنْ أمسى لهُ خَطَرُ

ولا يرى العيبَ فيه ولا في أمثاله، ولكنَّ العيب في الزمان الذي يترصَّد لكل ذي عقل، فيدوف له السم الزؤام، في الوقت الذي تحلو الحياة لكل جاهل عَيِيٍّ،والدنيا كالسيل فهو حرب للمكان العالي:[3]

عادَتْ لهُ أيامُهُ مُسْوَدَّةً ... حتَّى تَوَهَّمَ أنَّهُنَّ ليالي
لا تُنكِري عَطَلَ الكريمِ من الغِنَى ... فالسَّيْلُ حَرْبٌ للمكانِ العالي

ويجد نفسه غريباً في زمن ضاعت فيه القيم،ووجد كل شيء مزيَّفاً، وصار الناس في هذا الزمان وحوشاً متكالبة، ولا يملك الكريم إلا أن يتحول عن أهل هذا الزمان:[4]

---

(1) التعتعة: ترديد الكلام.

(2) الديوان 1/ 329.

(3) 2/ 38 .

(4) الديوان 2/ 50- 51.

ساقطعُ أمطاءَ المطَايا برِحْلَةٍ ... إلى البلدِ الغربيِّ هَجراً ومُوصِلا
فلمْ أجِدِ الأخلاقَ إلا تخَلُّقاً ... ولم أجِدِ الأفضالَ إلا تفَضُّلا
وأصرفُ وجهي عن بلادٍ غدا بها ... لسانيَ مشكولاً وقَلْبيَ مُقْفَلا
وجَدَّ بها قومٌ سوايَ فصَادفُوا ... بها الصُّنْعَ أعشى والزمانَ مُغَفَّلا
كلابٌ أغارتْ في فريسةِ ضَيْغَمٍ ... طُرُوقاً وهامٌ أُطْعِمَتْ صيدَ أجدلا

والغريب المفارق مستوحش حزين يتقطع ألماً وحنيناً، وهو يذرف الدمع السخي ومشاهد الفراق وما يتبعها من غربة وشوق وحنين كثيرة في الشعر العربي، نقف عند بعض الأشعار التي عانى أصحابها ألم الغربة والحنين.

ومن هؤلاء الشعراء علي بن الجهم (ت 249 هـ) الذي أبعد عن بلاده ونفي عن وطنه بفعل كيد الخصوم وغضب السلطان، كان ممن يحضر مجالس المتوكل ويمدحه، ولكنه كان يكيد لخصومه من الشعراء من أمثال البحتري والحسين بن الضحاك ومروان بن أبي الجنوب، وأحمد بن حمدون وغيرهم، فكان يكيد لهم ويكيدون له وزعموا أنه يطعن على الخليفة ويعيبه ويزري بالخلافة، فغضب عليه المتوكل وأمر بحبسه، وابن الجهم يرسل للخليفة من سجنه قصائد البراءة والمديح.وبقي الشاعر مع كل ما لقي من ضيم وإذلال متماسكاً قوياً، عزيز النفس لم يكسره ما نزل به، قال مصوراً كبرياءه وصبره:[1]

قالتْ حُبِسْتَ فقُلْتُ ليسَ بضائرٍ ... حبسي وأيُّ مُهَنَّدٍ لا يُغْمَدُ
أوَما رأيتِ اللَّيْثَ يألفُ غِيلَهُ ... كِبْراً وأوباشُ السِّباعِ تَرَدَّدُ
والشمسُ لولا أنها محجوبةٌ ... عن ناظريكِ لما أضاءَ الفَرْقَدُ
والبدرُ يُدْرِكُهُ السِّرارُ فتنجلي ... أيامُهُ وكأنَّهُ مُتَجَدِّدُ

(1) ديوان علي بن الجهم ص 41- 42.

وكلما همَّ المتوكل بالعفو عنه افتنَّ الخصوم في الكيد له، فأمر المتوكل بمصادرة أمواله ونفيه إلى خراسان، وأمر واليه طاهر بن عبد الله بن طاهر أن يصلبه يوماً إلى الليل ثم يحبسه، فلما وصل إلى الشادياخ حبسه طاهر ثم أخرجه فصُلب يوماً إلى الليل مجرداً من ثيابه ثم أُنزل إلى الحبس، وفي ذلك يقول ابن الجهم يصف حاله من قصيدة: [1]

لم ينصبوا بالشادياخ عشيةَ الإثنين مسبوقاً ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله مِلءَ قلوبهم شرفاً ومِلءَ صدورهم تبجيلا
ما ازداد إلا رفعةً بنكوله وازدادتِ الأعداءُ عنه نكولا

ومكث في سجن طاهر زمناً، ثم رقَّ له المتوكل، وكتب إلى طاهر بإطلاقه، فأطلقه ووصله وحمله وكساه [2].

ولما انجلت المحنة عن ابن الجهم وخرج من السجن، لم يجد له صديقاً يواسيه، وساء ظنه بالناس، وسئم العيش، فزهد بالدنيا واشتاق إلى الوطن بعد أن ذهب أهله ومات من يحبهم، فصار في خراسان يجاور المقابر ويرتاح إلى مجالسة الموتى، روى أبو الفرج عن رجل من أهل خراسان، قال: «رأيت على بن الجهم بعد ما أُطلق من حبسه جالساً في المقابر، فقلت له: ويحك ما يجلسك هاهنا ؟! فقال: [3]

يشتاقُ كلُّ غريبٍ عند غربتهِ ويذكر الأهل والجيرانَ والوطنا
وليس لي وطنٌ أمسيتُ أذكُرُهُ إلا المقابرَ إذ صارتْ لهم وطنا»

قال أسامة بن منقذ: لي أبيات تنظر إلى هذا المعنى، وهي: [4]

---

(1) ديوان ابن الجهم ص 171، والأغاني 10/ 253، وانظر في محنته: محن الشعراء والأدباء ليحيى الجبوري ص 185-192ط دار الغرب الإسلامي بيروت 2003.

(2) الأغاني 10/ 254.

(3) الأغاني 10/ 270، الديوان 184، المنازل والديار ص225.

(4) المنازل والديار ص 225، ولم ترد في ديوانه المطبوع.

أشتاقُ أهلي وأوطاني وقد مُلِكَتْ ... دوني وأفنَى الردى أهلي وأحبابي
فأستريحُ إلى رؤيا القبورِ ففي ... أمثالها حَلَّ إخواني وأترابي
ولستُ أحيا حياةً أستلِذُّ بها ... من بعدهم ولَحاقِ القومِ أولى بي

وعاد ابن الجهم إلى داره في شارع دُجيل ببغداد،ولم يتصل بالخليفة في سامراء،وآثر العزلة وانصرف عن الناس، وانصرف الناس عنه، وظل يعيش في بلده غريباً وكثيراً ما كان ينشد: (1)

طلبُ المعاشِ مُفَرِّقٌ ... بين الأحِبَّةِ والوطنْ
ومَصَيِّرٌ جَلَدَ الجَلِيـ ... ـدِ إلى الضَّراعةِ والوَهَنْ
حتى يُقادَ كما يُقا ... دُ النِّضْوُ في ثِنْيِ الرَّسَنْ
ثم المنيَّةُ بعدَ ذا ... فكأنَّهُ ما لم يكُنْ

وكان ابن الجهم بطبعه يؤثر السلامة والدعة ولا يحب الغربة وفراق الوطن، و مما كان ينشده في هذا المعنى: (2)

عمركَ ما كلُّ التعطُّلِ ضائرٌ ... ولا كلُّ شُغْلٍ فيه للمرءِ منفعةْ
إذا كانت الأرزاقُ في القُرْبِ والنَّوى ... عليكَ سواءً فاغتنم لذَّةَ الدَّعَةْ
وإنْ ضِقْتَ فاصْبِرْ يفرجُ اللهُ ما ترى ... ألا كلُّ ضيقٍ في عواقِبِهِ سَعَةْ

وفي سنة 249هـ، هجم الروم على الثغور الإسلامية وخرج ابن الجهم يقاتل فيمن قاتل، وفي عودته طُعن، فاحتمله الناس وكان ينزف دمه فلما أحس بالموت اشتاق إلى وطنه وجعل يقول: (3)

أزيدَ في الليلُ ليلُ ... أم سال بالصبح سيلُ
ذكرتُ أهلَ دُجيلٍ ... وأينَ منِّي دُجَيْلُ (4)

(1) ديوانه ص 189.
(2) ديوانه ص 194، ومعجم الأدباء 6/ 2703، وابن المرزبان ص 55 ــ 56 وفيه زيادة البيت الثالث.
(3) الديوان ص 170، والأغاني 10 / 279.
(4) دجيل: نهر مخرجه من أعلى بغداد، بين تكريت وبينها، مقابل القادسية دون سامراء. معجم البلدان- ياقوت: دجيل .

فأبكى كلَّ من كان معه في القافلة، ومات مع السحر، فدُفن في ذلك المنزل على مرحلة من حلب، وحين نزعت ثيابه بعد موته، وُجد معه رقعة فيها أبيات تقول: (1)

وارحمتا للغريب في لبلد النا ... زح ماذا بنفسه صنعا
فارقَ أحبابَهُ فما انتفعوا ... بالعيش من بعدِهِ ولا انتفعا
كانَ عزيزاً بقُرْبِ دارِهُمُ ... حتى إذا ما تباعدوا خشَعا
يقولُ في نأيهِ وغُرْبَتِهِ ... عَدْلٌ من الله كلُّ ما صنَعا

وهكذا ارتاح الشاعر بعد رحلة عذاب، وغربة وحنين ومعاناة من مكايد الحاسدين فذاق صنوف الحبس والصلب والمصادرة والغربة والتشريد. (2)

وهذا شاعر آخر يعاني الغربة ويشتاق إلى وطنه ويخص شِعب بوَّان الذي يجلو القلب من الهموم ويزيل الكرب،لما فيه من خصب وطيب ماء وهواء، ويرسل الشاعر رسالة حنين وسلام مع الريح:(3)

إذا أشرفَ المحزونُ من رأسِ تَلْعَةٍ ... على شِعْبِ بَوَّانٍ أفاقَ من الكَرْبِ
وألهاهُ بَطْنٌ كالحريرةِ مَسُّهُ ... ومُطَّرِدٌ يجري من البارِدِ العَذْبِ
فبالله يا ريحَ الجَنوبِ تحمَّلي ... إلى شِعْبِ بَوَّانٍ سلامَ فتىً صَبِّ

ومن الشعراء المجيدين الذين وصفوا الغربة وحال الغريب النازح عن بلده وما يعاني من ذل وحيرة وهموم وحنين إلى وطنه العراق، الحسن بن مخلد بن الجراح (ت 269هـ) الذي وصف حال الغريب وهو يريد حاله هو، وما يكابده من هموم وحيرة وضياع: (4)

مَنْ للغريبِ النازحِ الوطنِ ... مَنْ للغريبِ أسيرِ الهَمِّ والحَزَنِ

---

(1) الديوان ص 154، تاريخ بغداد 11/ 369، والعقد الفريد 6/ 256.

(2) محن الشعراء والأدباء ص 192.

(3) الحنين إلى الأوطان ص 89، ذيل الأمالي ص127، معجم البلدان: بوان.

(4) ابن المرزبان 67، الوافي بالوفيات للصفدي 2/ 268، تاريخ ابن عساكر 6/ 30.

مَنْ للغريبِ الذي لا مستراحَ لـه ... من الهمومِ ولا حظٌّ من الوسَنِ
يُمْسي ويُصْبحُ لا أهلٌ ولا ولدٌ ... ولا يعودُ إلى خِلٍّ ولا سَكَنِ
خلِّ العراقَ وقد كانت لـه وطناً ... لا خيرَ في عيشٍ منقول عن الوطنِ
لا خيرَ في عيشِ نائي الدارِ مغتَرِبٍ ... يأوي إلى حَزَنٍ ناهيكَ من حَزَنِ
يا أهلُ كم فاتني من حُسْنِ مُسْتَمعٍ ... منكم وفارقتُه من منظرٍ حَسَنِ

والغريب في دار الغربة يستحق الرحمة، هو ذليل مهان، إذا حضر مجلساً فهو منسي مهمل لا يُرَحب به، وإذا تكلم تَعافُ كلامَه الأسماع، وهو في نظر القوم مخطىء حتى لو أصاب، ولذلك فهو أهل للرحمة كأنه بين الناس مذنب مدين: [1]

إنَّ الغريبَ لـه استكانةُ مُذْنبٍ ... وخضوعُ مديونٍ وذُلُّ غريبِ [2]
فإذا تكلَّمَ في المجالس مُبرَمٌ ... وإذا أصابَ يُقالُ غيرُ مُصيبِ
فإذا الغريبُ رأيتَهُ مُتَحَيِّراً ... فارحَمْ تحيُّرَهُ لفَقْدِ حَبيبِ

ولاشك أن الغريب يشعر دائماً بالذلة والمهانة، ولأجل ذلك يوصي أحد الغرباء بالرفق به، فمن غير الحق أن يجتمع عليه ذل الغربة والندامة، وقسوة خلق الله ممن لا قلوب لهم: [3]

لا تنهَرَنَّ غريباً طال غُرْبَتُهُ ... فالدهْرُ يضرِبُهُ بالذُّلِّ والمِحَنِ
حَسْبُ الغريبِ من الدنيا ندامَتُهُ ... عَضُّ الأناملِ من شوقٍ إلى الوطنِ

والشاعر الذي يسكن بلداً، ومن يحب في بلد آخر فهو غريب يحن إلى أحبابه فكأنه ذو نفسين كل واحدة في بلد وكذلك من يحب، وقد عبَّر عن هذه الحال خالد بن يزيد الكاتب (ت 269هـ) في أبياته: [4]

---

(1) الحنين إلى الأوطان لابن المرزبان ص 68، والبيت الأول في بهجة المجالس 1/ 224.
(2) في بهجة المجالس: وخضوع مديانٍ وذلُّ مُريبٍ .
(3)المنازل والديار ص 220.
(4) الحنين إلى الأوطان ص 85، وبيتان من القطعة مع خلاف يسير في الرواية في معجم البلدان 1/ 46، ومصارع العشاق لجعفر السراج ص 641، تحقيق بسمة الدجاني ، ط وزارة الثقافة، عمان 2004 .

اللهُ يعلـمُ أنَّـني كَـمِـدٌ ... لا أستطيعُ أبُـثُّ مـا أجِـدُ
نفـسانِ لي: نفـسٌ تـضمَّنها ... بلـدٌ وأخـرى حـازَها بلـدُ
فـإذا المقيمـةُ لـيس ينفعُهـا ... صـبرٌ ولـيس يُقيمُهـا جَلَـدُ
وأظـنُّ غـائبتي كـشاهدتي ... فكأنهـا تجـدُ الـذي أجـدُ

والغربة الزمانية- كما مرَّ- واضحة في شعر شعراء العصر العباسي، ومنهم البحتري (ت 284 هـ) الذي يشكو الفقر والغربة وتقلب أحوال الزمان، قال هذا وهو في مدينة آمد حيث البرد والجليد، فهو يعاني غربتين غربة الوطن وغربة الطبيعة: [1]

مـن كـان يحمَـدُ أو يـذُمُّ زمانَـهُ ... هـذا فـما انـا للزمـانِ بحامـدِ
فقـرٌ كفَقْـرِ الأنبيـاءِ وغُرْبَـةٌ ... وصَـبابَةٌ لـيس الـبلاءُ بواحـدِ

واتجه يخاطب حبيبته اللائمة:

كُفِّي فقد أَلهاهُ عـن حَرِّ الهـوى ... حـدَثٌ أطَـلَّ مـن الهـواءِ البـاردِ
كيـفَ المُقـامُ بآمُـدٍ وبلادَهـا ... من بعد ما شابتْ مفارقُ آمُـدِ [2]
ضَـحِكَتْ فأبكَـتْ عـينَ كـلِّ مُمَـوَّهٍ ... مُتَقَلْقِـلٍ تحـتَ الـضَّريبِ الجامـدِ [3]

ويتذمر من جور الزمان وميله مع القوي وضياع حق الفقير ويشكو البؤس وتغلب القوي الظالم، فهو في زمن القهر والضياع، وما تجدي الشكوى في زمن تسلط القرود: [4]

أجِـزْ من غُـلَّـةِ الـصَّدْرِ العميـدِ ... وسَـكِّنْ نافِـرَ الـدَّمْعِ الـشَّرودِ
فـما جَـزَعُ الجَـزوعِ مـن الليـالي ... بمُحْـرِزِهِ ولا جَلَـدُ الجليـدِ
فيـا وَيْـحَ الحـوادِثِ كيـفَ تُعْطـي ... شَقِيَّ القـوْمِ مـن حَـظِّ الـسعيدِ

---

(1) ديوانه 1/ 264.

(2) آمُد: تعرف اليوم بديار بكر، كانت لسورية واقتطعها الأتراك مع ما اقتطعوا منها أيام الاحتلال الفرنسي.

(3) المموه: السحاب ينصب ماؤه. الضريب: الجليد.

(4) الديوان 1/ 314.

وكيفَ تجورُ إنْ همَّتْ بحُكْمٍ ... فتحمِلَ للغَويِّ على الرشيدِ
وما بَرِحَتْ صُروفُ الدهْرِ حتى ... أرَتْنا الأُسْدَ قتْلَى للقُرودِ

وهو غريب في زمانه وبين أناس أشرار لا يخبر مظهرُهم عن مخبرهم فهم أوغاد، ومواعيدهم الخُلْف،متقلبون أناس سوء، سئم من سوء فعالهم، فهم بغال في لباس أناس: (1)

تقاذفُ بي بلادٌ عن بلادٍ ... كأنّي بينها جملٌ شَرودُ
وأينَ يكونُ مغتَرِبٌ بدهرٍ ... شريدٌ في حوادثِهِ طريدُ
وخَلَّفَني الزمانُ على أُناسٍ ... وجوهُهُمُ وأيديهم حديدُ
لهم حُلَلٌ حَسُنَّ فهُنَّ بِيْضٌ ... وأخلاقٌ سَمُجْنَ فهُنَّ سُوْدُ
وأخلاقُ البغالِ فكُلُّ يومٍ ... يَعِنُّ لبَعْضِهِمْ خُلُقٌ جديدُ

ويرى نفسه غريباً في هذا الزمان الذي اختلفت فيه القيم والموازين وأصاب أحرارَه الضيمُ وذهب خيار الناس وساد جُهَّالهم: (2)

وعيَّرتني سِجالَ العُدْمِ جاهلةً ... والنبعُ عُرْيانُ ما في فرعِهِ ثمرُ
وما الفقيرُ الذي عَيَّرْتِ آونَةً ... بل الزمانُ إلى الأحرارِ مُفْتَقِرُ
لم يبقَ من جُلِّ هذا الناسِ باقيةٌ ... يناهُا الفَهْمُ إلاَّ هذه الصورُ
جهلٌ وبُخْلٌ وحسبُ المرءِ واحدةٌ ... من تَيْنِ حتى يُعَفَّى خلفَهُ الأثرُ
إذا محاسنيَ اللاَّتي أُدِلُّ بها ... كانت ذُنوبي فقلْ لي كيفَ أعتَذِرُ
أهِزُّ بالشعرِ أقواماً ذوي وَسَنٍ ... في الجهْلِ لو ضُرِبوا بالسيفِ ما شعروا
عليَّ نحْتُ القوافي من مقاطعها ... وما عليَّ لهم أنْ تفهَمَ البقَرُ

(1) الديوان 1/ 250.

(2) الديوان 1/ 410.

ويسافر الحسن بن محمد المهلبي إلى البصرة في أيام وزارته (ت 352هـ)، وينزل بمسماران من ضواحي البصرة[1]، ثم ارتحل إلى الأهواز، فوجدوا في بيته بيتين كتبهما على الحائط في البصرة فيهما شوق عاشق وحنين مشتاق إلى بغداد: [2]

أحنُّ إلى بغدادَ شوقاً وإنَّما أحنُّ إلى إلْفٍ بها ليَ شائقُ
مقيمٍ بأرضٍ غِبْتُ عنها وبدعةٌ إقامةُ معشوقٍ ورحلةُ عاشقِ

أما المتنبي (ت 354هـ) فقد كان يشعر بالغربة في مجتمعه، فغربته غربة نفسية نابعة من تضخم الأنا والتمرد وحب الحكم والتسلط، وقد نشأ المتنبي ثائراً ناقماً على الحياة الفاسدة التي كانت سائدة في عصره،حيث الفسق والترف الذي يعيش فيه الملوك والأمراء، وقد رأى أن الخلافة صارت نهباً يتحكم فيها السفهاء والجهال، من جنود الترك الذين بغَوا وأفسدوا وظلموا، وقد أعلن معارضته ونقمته على الفساد فأدى به إلى السجن، وحاول أن يصل للحكم عن طريق التقرب من الحاكمين، فلم يستطع أن يحقق طموحه، وعاش حياته غريباً في مجتمعه، نفوراً من واقعه، وكان كثيراً ما يصرح بأنه غريب في هذه الأمة: [3]

ما مقامي بأرضِ نخلةَ إلا كمُقامِ المسيح بين اليهودِ[4]

ويتحدث عن بطولته وفروسيته، وقد سئم تجواله في الأرض طلباً للمجد والرزق:

ضاق صدري وطالَ في طلب الرِّزْ قِ قيامي وقلَّ عنه قعودي
أبداً أقطعُ البلادَ ونجمي في نحوسٍ وهِمَّتي في سعودِ
ولعلي مؤملٌ بعض ما أبْـ ـلغُ باللطْفِ من عزيزٍ حميدِ

(1) وكانت مقراً للبريديين. تجارب الأمم 2م53،و60،و 112.

(2) أدب الغرباء ص 76 .

(3) ديوان المتنبي 2/ 44- 48،شرح عبد الرحمن البرقوقي.

(4) نخلة: قرية لبني كلب قرب بعلبك.

ولكن لم يجد ما يطمح إليه، فلا حياة مع الذل والهوان، بل يعيش كريماً عزيزاً، يقاتل ويطلب العز، بين طعن القنا وخفق البنودِ:

عش عزيزاً أو مُتْ وأنتَ كريمٌ ... بين طعنِ القنا وخفقِ البنودِ
فرؤوسُ الرِّماحِ أذهبُ للغَيْـ ... ـظِ وأشفى لغلِّ صدرِ الحقودِ
لا كما قد حييتَ غيرَ حميدٍ ... وإذا مُتَّ مُتَّ غيرَ فقيدِ
فاطلبِ العِزَّ في لظى وذرِ الذُّ ... لَّ ولو كان في جِنانِ الخلودِ

وهو عزيز كريم يَشْرُفُ بنفسه وأفعاله ولم يتكىء على شرف النسب وإن كان نسبه أشرف من أي نسب:

لا بقومي شرُفْتُ بل شَرُفوا بي ... وبنفسي فخَرْتُ لا بجدودي
وبهم فخرُ كلِّ من نطقَ الضَّا ... دَ وعَوْذُ الجاني وغوثُ الطريدِ

وهو معجب بنفسه لأنه لم يجد من هو أعز منه وأعلى، فهو الشاعر من أصل كريم يحسده الناس والخصوم لبطولته، وهو غريب بين قومه كالأنبياء بين أقوامهم:

إنْ أكُنْ مُعجِباً فعُجْبُ عجيبٍ ... لم يجدْ فوقَ نفسهِ من مزيدِ
أنا تِرْبُ النَّدى وربُّ القوافي ... وسِمامُ العِدا وغيظُ الحسودِ
أنا في أُمَّةٍ تداركها اللـ ... ـهُ غريبٌ كصالحٍ في ثمودِ

ولكثرة ترحاله من بلاط إلى آخر، يجتاب الأرض ويفارق الأهل والصحاب،فقد ألِفَ الغربةَ وجعل الفراق توأمَه:[1]

أما الفراقُ فإنه ما أعهدُ ... هو توأمي لو أنَّ بَيْناً يولدُ
ولقد علِمْنا أنَّنا سنُطيعُه ... لمَّا علِمْنا أنَّنا لا نخلدُ
من خصَّ بالذمِّ الفراقَ فإنَّني ... مَنْ لا يرى في الدَّهْرِ شيئاً يُحْمَدُ

(1) الديوان 2/ 102- 103.

وهو غريب في هذا الزمن الذي ساد فيه الجهلة الجبناء البخلاء ولم يجد فيهم من هو أهل لمصاحبته ووده، فهو يذم الزمان وأهله:[1]

أذُمُّ إلى هـذا الـزمـانِ أُهَيْلَـهُ ... فأعلمُهم فَدْمٌ وأحزمُهُمْ وَغْدُ
وأكـرمُهمْ كلـبٌ وأبـصرُهمْ عَـمٍ ... وأسهَدُهُمْ فَهْدٌ وأشجَعُهمْ قِـرْدُ
ومن نَكَدِ الدنيا علىَّ الحُرُّ أنْ يرى ... عـدُوّاً لـهُ مـا مـن صداقتِهِ بُـدُّ
وأرحمُ أقواماً من العِيِّ والغَبَا ... وأعْذِرُ في بُغْضي لأنَّهمُ ضِـدُّ

وهو في غربته يشتاق إلى الأهل والوطن،ويأتي العيد وكل حبيب يضاحك حبيبَه، أما هو فمن يضاحك في غربته !!،وفي عينيه دموع الشوق والاغتراب، فقد كَثُر البعد وعزَّ اللقاء:[2]

يُضاحِكُ في ذا العيدِ كلُّ حبيبَهُ ... حِذائي وأبكي من أُحِبُّ وأندُبُ
أحِنُّ إلى أهلي وأهوى لقاءَهم ... وأينَ من المشتاقِ عنقاءُ مُغْرِبِ

ويتدبر أمره وينظر في حاله فلا يجد إلا الغربة والضياع، فلا شيء يسعده ولا أحد يواسيه، وقد سئم ما هو فيه من حيرة وضياع، وعذَّبه هذا الطموح الكبير، ولكن ما الفائدة،لا ينفع ولا يدوم في هذه الدنيا سرور ولا حزن:[3]

بمَ التعَلُّلُ لا أهلٌ ولا وطنٌ ... ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سَكَنُ
أريدُ من زمني ذا أنْ يُبَلِّغَني ... ما ليس يبلُغُهُ من نفسهِ الزمنُ
لا تلقَ دهْرَكَ إلا غيرَ مُكْتَرِثٍ ... ما دامَ يصحَبُ فيهِ روحَكَ البَدَنُ
فما يدومُ سرورٌ ما سُرِرْتَ بهِ ... ولا يَرُدُّ عليكَ الفائتَ الحَزَنُ

(1) الديوان 2/ 92- 95.

(2) الديوان 1/ 307.

(3) 4/ 363- 364

وقد تحمل الكثير من نوائب الزمان وهو غريب فيه، يحمل همومه وجاء في زمن غير زمنه: [1]

الدهرُ يعجبُ من حَملي نوائبَهُ ... وصبرِ جسمي على أحداثهِ الحُطُمِ
وقتٌ يضيعُ وعُمْرٌ ليتَ مُدَّتَهُ ... في غيرِ أُمَّتِهِ من سالفِ الأُمَمِ
أتى الزمانَ بنوهُ في شبيبَتِهِ ... فسرَّهم وأتيناهُ على الهَرَمِ

ويذم هذا الزمان الذي صار صغارُ الناس عِلْيَةً متحكمين، وليس لهم عقول، فلا تغرك ضخامة أجسامهم، فمعادنهم تراب: [2]

فؤادٌ ما تسليهِ المُدَامُ ... وعُمْرٌ مثلُ ما تَهِبُ اللئامُ
ودهْرٌ ناسُهُ ناسٌ صِغارٌ ... وإنْ كانت لهم جَثَثٌ ضِخامُ
وما أنا منهمُ بالعَيْشِ فيهم ... ولكنْ مَعْدِنُ الذهَبِ الرَّغامُ
أرانبُ غيرَ أنَّهُمُ ملوكٌ ... مُفَتَّحةٌ عيونُهُمُ نِيامُ

وكان المتنبي في حِلٍّ وترحال دائمين، فقد أَلِفَ الغربة، وصار الفراقُ توأمَه، وفي ذلك الزمن الرديء عاش المتنبي قلقاً هارباً متنقلاً، اتصل بسيف الدولة ومدحه فلم يحقق طموحه، وهرب إلى مصر واتصل بكافور، فلم يغنم الولاية التي يطمح إليها، ثم فرَّ إلى العراق، وعاش حياته هارباً مطارداً، يطارده القرامطة ويطارده حساده وخصومه، ولقي آخر الأمر مصرعه بالعراق مقاتلاً بطلاً على يد القرامطة.

وفارس آخر من فرسان الشعر العربي عاش حياة الغربة، وظل ينشد في الحنين إلى الوطن، ذلك هو الفارس البطل أبو فراس الحمداني(ت 357 هـ) الذي عانى غربة الوطن وغربة الأسر، وأبو فراس هو ابن عم سيف الدولة،الذي كان فارساً شجاعاً كريماً، له كل عام

(1) الديوان 4/ 295- 296.

(2)الديوان 4/ 190-191.

غزوة في بلاد الروم، وفي سنة إحدى وخمسين وثلثمائة أغار الروم على مدينة حلب، وقاتلهم سيف الدولة ولكنه هُزِم، واستطاع الروم أن يأسروا أبا فراس ويأخذوه إلى القسطنطينية، وبقي أسيراً سجيناً عانى آلام الغربة والسجن والحنين إلى الوطن، وطالت غربته أكثر من عامين ولم يستطع سيف الدولة أن يفتديه ويفك أسره، وكان أبو فراس يرسل له شعر الشكوى وهي قصائد كثيرة عرفت بالروميات، يستنجد فيها بابن عمه أن ينقذه من محنة الأسر والغربة، ويصور حاله في ظلمة السجن وعذاب الغربة:[1]

دعوتُكَ للجَفْنِ القريحِ المُسَهَّدِ ... لدَيَّ، وللنومِ القليلِ المُشَرَّدِ
وما ذاك بُخلاً بالحياةِ وإنها ... لأوَّلُ مبذولٍ لِأولِ مُجْتَدِ
وتأبَى وأبَى أن أموتَ مُوَسَّداً ... بأيدي النصارى موتَ أكمَدَ أكبَدِ
نضوتُ على الأيامِ ثوبَ جَلادتي ... ولكنَّني لم أنْضُ ثوبَ التجَلُّدِ
أقَلِّبُ طَرفي بينَ خِلٍّ مُكَبَّلٍ ... وبينَ صفِيٍّ بالحديدِ مُصَفَّدِ
دعوتُكَ والأبوابُ تُرْتَجُ دونَنا ... فكُنْ خيرَ مَدْعُوٍّ وأكرمَ مُنْجِدِ
فمثلُكَ مَنْ يُدعَى لكلِّ عظيمةٍ ... ومثلِيَ من يُفْدَى بكلِّ مُسَوَّدِ

وبقي في أسره وسجنه حزيناً متألماً، وسمع حمامة تنوح على شجرة فهَيَّجت أشجانَه، وصار يخاطبها ويشكو لها همومه ومحنته: [2]

أقولُ وقد ناحَتْ بقربي حَمامَةٌ ... أيا جارَتا هل تشعرينَ بحالي
معاذَ الهوى! ما ذُقْتِ طارِقَةَ النَّوى ... ولا خطَرَتْ منكِ الهُمومُ ببالِ
أتحمِلُ محزونَ الفُؤادِ قَوادِمٌ ... على غُصُنٍ نائي المسافةِ عَالِ
أيا جارتا ما أنصفَ الدهرُ بيننا ... تعالَيْ أُقاسِمْكِ الهُمومَ تعالِي
تعالَيْ تَرَيْ روحاً لدَيَّ ضَعيفَةً ... تَرَدَّدُ في جسمٍ يُعَذَّبُ بالِ

(1) ديوان أبي فراس ص 68- 69، تحقيق بدر الدين حاضري ومحمد حمامي، ط دار الشرق العربي، بيروت 1992.

(2) الديوان ص 174- 175.

أيَضحكُ مأسورٌ وتبكي طليقةٌ ... ويسكُتُ محزونٌ ويَنْدُبُ سالِ ؟
لقدْ كنتُ أولى منكِ بالدمعِ مُقْلَةً ... ولكنَّ دمعي في الحوادثِ غالِ

وكان في أسره دائم التفكير بأُمِّه التي كثر بكاؤها وحنينها،وطال صبرُها على فراق ابنها الأسير، فكتب إليها يواسيها ويوصيها بالصبرَ الجميل: (1)

مُصابي جليلٌ والعزاءُ جميلُ ... وظَنّي بأنَّ اللهَ سوفَ يُديلُ
جِراحٌ تحاماها الأُسَاةُ مَخوفَةٌ ... وسُقْمانِ: بادٍ منهما ودخيلُ
وأسْرٌ أقاسيهِ وليلٌ نجومُهُ ... أرى كلَّ شيءٍ غيرَهُنَّ يزولُ
فيا أُمَّتَا لا تَعْدمي الصَّبْرَ إنَّهُ ... إلى الخيرِ والنُّجْحِ القريبِ رسولُ
ويا أُمَّتا لا تُخْطئي الأجرَ إنَّه ... على قَدَرِ الصَّبْرِ الجميلِ جزيلُ

ويذكرها بصبر أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين، حين صبرت على قتل ابنها عبد الله بن الزبير، واحتسبته لله، فالمصائب في الدنيا كثيرة في كل مكان وزمان:

أما لكِ في ذاتِ النِّطَاقينِ أُسْوَةٌ ... بمكَّةَ والحَرْبُ العَوانُ تجولُ
أرادَ ابنُها أخذَ الأمانِ فلم تُجِبْ ... وتعلمُ عِلماً أنَّهُ لَقَتيلُ
تأسَّيْ كفاكِ اللهُ ما تحذرينَهُ ... فقد غالَ هذا الناسَ قبلَكِ غُوْلُ

ويحن التهامي علي بن محمد (ت 416) إلى أهله وأحبابه في الحجاز، ويتمنى أن تعود ليالي الحب والصفاء التي فقدها في البعد والغربة: (2)

استودعُ اللهَ في أرضِ الحجازِ رشا ... في روضَةِ القلبِ مأواهُ ومرتَعُهُ
بالله يا شوقُ رِفقاً بالفؤادِ فما ... أُطيقُ أكثرَ مما أنتَ تصنعُهُ
وأنتَ يا وصلُ عُجْ في ربْعِ فُرْقَتِنا ... عساكَ تجمعُ شملاً عزَّ مجمَعُهُ
وسَقِّهِ من حيَا التقريبِ ساريَةً ... فإنهُ دائرٌ قد مُحَّ موضِعُهُ (3)

---

(1) الديوان ص 171.

(2) المنازل والديار ص 220، ويعارض في هذه الأبيات من قصيدة،عينيةَ ابن زريق البغدادي التي مطلعها لا تعذليه فإن العذلَ يولعه قد قلتِ حقاً ولكن ليس يسمعُهُ. ولا توجد الأبيات في ديوان التهامي المطبوع.

(3) الحيا: الغيث، السارية: السحابة تسري ليلاً، مُحَّ: درس وانمحى.

عسى الليالي بأوطاني التي سلَفَتْ تـرجِعْنَ فيـه رُجوعـاً لا نودِّعُـهُ

وكان أسامة بن منقذ (ت 584هـ) قد عانى من الغربة والتشرد والنكبات وظلم المحتل الغاصب، فشاع في شعره البكاء والحنين لمن فقد، والشكوى من الأسر والغربة، يقول يشكو ظلم الزمان: [1]

عـلامَ يـا دهـرُ بالعـدوانِ تحبسني في غـيرِ جنـسي ولم أُفقِـدْ ولم أغـبِ
هـلاَّ بـأدنى العـذابينِ اقتَنَعْـتَ لنـا فالذَّبْحُ أروحُ من تعـذيبِ مُغـتَرِبِ

ويشكو من طول الغربة وترحله في البلاد وقد كبرت سنه وكثرت همومه وقارب التسعين: [2]

أهكـذا أنـا بـاقي العُمْـرِ مُغْـتَرِبٌ ناءٍ عـن الأهـلِ والأوطـانِ والسَّكَنِ
لا تـستقِرُّ جيـادي في مُعَرَّسِـها حتـى أُرَوِّعَهـا بالـشَدِّ والظَّعَـن

ويشكو من البعد والغربة، ويحن إلى اجتماع الشمل، وقلبه تستعر فيه نيران الحنين إلى لقاء الأهل والأوطان: [3]

أيـنَ الـسُّلُوُّ مـن المُـرَوَّعِ بـالنَّوى أبـداً فـلا وطَـنٌ ولا خُـلاَّنُ
عيـدُ البريَّـةِ موسِـمٌ لعويلِـهِ وسرورُهـم فيـه لـه أحـزانُ
وإذا رأى الـشَّمْلَ الجميـعَ تزاحَـمَتْ في قلبِـهِ الأمـواهُ والنِّـيرانُ

ودائماً يهيج أشجان الغريب نوح الحمام ويذكره بغربته فيحن إلى أهله ووطنه: [4]

تبكـي لأنَّتِـكَ الحـمامُ وطالمـا هاجَ الجـوى لأخـي الهـوى تغريـدُهُ
يـا راقـدَ الأجفـانِ عـن قَلِـقِ الحـشا ولهـانَ أقـذى طـرفَهُ تـسهيدُهُ

(1) ديوانه ص 106، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، ط عالم الكتب، بيروت 1983.

(2) ديوانه ص 154.

(3) ديوان أسامة بن منقذ ص 154.

(4) ديوانه ص 113.

مـــاذا عليـكَ إذا بكـى أحبابَـــهُ ذو غُرْبةٍ نـائي المحَـلِّ بعيـدُهُ

ويرى أسامة أن البعد عن الحبيب غربة، والغربة مـوت، وغربـة المـوت أقـسى مـا يعانيه الغريب، ورب حيٍّ هو ميت في غربته: [1]

أحبابَنـا مَنْ غـابَ عمَّـنْ يـودُّهُ فـسيانَ عنـدي بُعْـدُهُ واقترابُـهُ
إذا الميتُ وارى شخصَهُ عَفَرُ الثَّرى فهـل يُدْنِيَـنْهُ أنْ يَقِـلَّ ترابُـهُ
وكلُّ غريبِ الـدارِ فـالأرضُ دونَـهُ وإنْ كـانَ حيًّـاً فـالحِمامُ اغترابُـهُ

من آثار الغربة في سبيل الغنى

وهناك اتجاه آخر يبرر الرضى بالغربة والصبر على فراق الأوطان، مادام في الغربـة الكسب والغنى، وكل الأرض وطن،ومن الشعر الذي يروِّج لهجـرة الأوطـان في سـبيل العزائم قول إبراهيم بن العباس الصولي (ت 243هـ) الذي يقول: [2]

لا يـصرِفَنَّكَ عـن عـزمٍ تهُـمُّ بـه نـزوعُ نفـسٍ إلى أهـلٍ وأوطـانِ
تلقـى بكـلِّ بـلادٍ أنـتَ سـاكنُها أرضـاً بـأرضٍ وإخوانـاً بـإخوانِ

والذل في الوطن غربة ولا خير في العيش إذا نبَتْ الأوطان فالرحيل أولى، وفي هذا القول تنفيس عن الحزن الذي يجده الشاعر شكر بن أبي الفتوح السليماني (ت 453 هـ) في قوله: [3]

قوِّضْ خيامَـكَ عـن أرضٍ تُهـانُ بهـا وجانـب الـذُّلَّ إنَّ الـذُّلَّ يُجْتَنَـبُ
وارحلْ إذا كانتِ الأوطـانُ نابيـةً فالمنـدل الرطـبُ في أوطانـه حَطَـبُ

---

(1) ديوانه ص 104.

(2) ديوانه في الطرائف الأدبية ص 151، وفي ديوان المعاني 2/ 534، أنشدها أبو سرح، مع خلاف يسير في اللفظ.

(3) المنازل والديار ص 240،ومآثر الأنافة 1/ 246، تحقيق عبد الستار فراج، ط الكويت.

وكذلك يرى صردر محمد بن عبد الله (ت 465هـ) الذي يحث على الهجرة في قوله: [1]

قَلْقِلْ رِكابَكَ في الفلا ... ودَعِ الغواني في القصورْ
فمحالفو أوطانِهم ... كشبيهِ سُكَّانِ القُبورْ
لولا التغَرُّبُ ما ارتقى ... دُرُّ البُحورِ إلى النحورْ

وقال آخر يسوغ الاغتراب: [2]

لأرحَلَنَّ المطايا رِحْلَةً عَجَباً ... يكونُ أدنى مداها الصينُ أو عَدَنُ
فكُلُّ خِلٍّ إذا صافيتَهُ سَكَنٌ ... وكُلُّ أرضٍ أذا أحمَدْتَها وطَنُ

وقد سبق هؤلاء البحتري (ت 284هـ) الذي يروى له قوله : [3]

إذا نلتَ في أرضٍ معاشاً وإنْ نأتْ ... فلا تُكْثِرَنْ فيها نِزاعاً إلى الوطنْ
فما هي إلا بلدةٌ مثل بلدةٍ ... وخيرُهُما ما كان عَوناً على الزمنْ

وقال البحتري أيضاً: [4]

كم مشرقٍ لي قد نقلتُ نوالَهُ ... فجَعلْتُه لي عُدَّةً للمغربِ
وأحَبُّ أوطانِ البلادِ إلى الفتى ... أرضٌ ينالُ بها كريمَ المكسَبِ

---

(1) ديوانه ص 210 ط دار الكتب، والمنازل والديار ص 238.

(2) المنازل والديار ص 238.

(3)المنازل والديار ص 237، وليس البيتان في ديوان البحتري، وهما في محاضرات الأدباء، 2/ 273 منسوبان لأبي نواس، وليسا في ديوانه.

(4) المنازل والديار ص 237- 238،ديوان البحتري 1/ 60.

التنفيس عن الكربة في الغربة بالكتابة على الأبنية والجدران

ومن الطريف أن يلتفت أبو الفرج الأصفهاني (ت 356 هـ) إلى الغرباء وأحوالهم وآلامهم في ديار الغربة وما كانوا يعبرون به عن غربتهم ويحاولون أن يخففوا من آلامهم، فألّف كتاب أدب الغرباء الذي حققه ونشره العالم الأديب الدكتور صلاح الدين المنجد عن مخطوطة فريدة[1] وهو كتاب طريف فريد في بابه، وقد بيّن أبو الفرج موضوع الكتاب وأهم ما جاء فيه في قوله:[2]

«وقد جمعتُ في هذا الكتاب ما وقع إليَّ وعرفته، وسمعتُ به وشاهدته، من أخبار من قال شعراً في غربة، ونطق عمَّا به من كُرْبة، وأعلن الشكوى بوجدهِ إلى كلِّ مشَرَّدٍ عن أوطانه، ونازحِ الدار عن إخوانه، فكتبَ بما لقيَ على الجدران، وباحَ بسرِّهِ في كلِّ حانةٍ وبستان، إذ كان ذلك قد صار عادةَ الغرباء في كلِّ بلدٍ ومقصد، وعلامةً بينهم في كلِّ محضَرٍ ومشهد، فأرى الحال تدعو إلى مشاكلتهم، وحيف الزمان يقود إلى التحلِّي بسَمْتِهم».

وهذه بعض المواقف والمشاهد منتقبسة من هذا الكتاب النفيس

1- ما يكتبه الغرباء على الجدران:

ولد أحمد بن هشام عن أبيه قال:[3] كنتُ في جملة عسكر المأمون حين خرج إلى بلد الروم، فدخل وأنا معه إلى كنيسة قديمة البناء بالشام عجيبة الصور، فلم يزل يطوفُ بها، فلما أراد الخروج قال لي: من شأن الغرباء في الأسفار، ومن نزحت به الدار عن إخوانه وأترابه، إذا دخل موضعاً مذكوراً، ومشهداً مشهوراً أن يجعل لنفسه فيه أثراً، تبرُّكاً

(1) نشر دار الكتاب الجديد، بيروت 1972.

(2) أدب الغرباء ص 21.

(3) أدب الغرباء ص 23.

بدعاء ذوي الغُرْبة، وأهل التقطُّع والسياحة. وقد أحببتُ أنْ أدخلَ في الجملة، فابغِ لي دواةً، فكتب على ما بين المذبح [1] هذه الأبيات:

يا معشرَ الغرباء ردَّكمُ ... ولقيتُمُ الأخبارَ عن قُرْبِ
قلبي عليكم مُشْفقٌ وَجِلٌ ... فشفا الإلهُ بحفظكم قلبي
إنِّي كتبتُ لكي أساعدكم ... فإذا قرأتم فاعرفوا كَتْبي

وكان بعضهم يكتبون على جدران القصور التي يزورونها استشهاداً بشعر الأقدمين، وذلك ما كتبه أبو جعفر من شعر لبيد بن ربيعة العامري: [2]

المرءُ يأملُ أنْ يعيشَ ... وطولُ عيشٍ قد يضُرُّهْ
تودي بشاشَتُهُ ويعقُبُ ... بعدَ حُلْوِ العيشِ مُرُّهْ
وتسوؤهُ الأيامُ حتَّى ... لا يرى شيئاً يسُرُّهْ
كم شامتٍ بي إنْ هلكْـ ... ـتُ وقائلٍ لله دَرُّهْ

قيل: فما لبث إلا قليلاً.

حدث بعض بني نوبخت قال: لما اجتاز الرشيد في طريقه إلى خراسان أقام بحلوان أياماً ثم رحل، فوجد بخط على حجر كان بالقرب منه: [3]

حتى متى أنا في حِلٍّ وتَرْحالِ ... وطولِ سعْيٍ وإدبارٍ وإقبالِ
ونازح الدارِ لا أنفكُّ مُغْتَرِباً ... عن الأحِبَّةِ لا يدرونَ ما حالي
بمغتربِ الأرضِ طَوْراً ثم مشرِقِها ... لا يخطُرُ الموتُ من حرصي على بالي
ولو قنِعْتُ أتاني الرزقُ في دَعَةٍ ... إنَّ القُنوعَ الغِنى لا كثرةُ المالِ

(1) المذبح: الموضع الذي تقيم فيه الكهنة القدَّاس في الكنائس وتذبح الذبيحة غير الدموية. أقرب الموارد.

(2) أدب الغرباء ص 23 - 24، ديوان لبيد ص 356، تحقيق إحسان عباس، مع خلاف في رواية الشعر.

(3) أدب الغرباء ص 30.

قال: وحدثني أيضاً[1] قال: قال لي رجل من أهل الشام: اجتزتُ بمنارة الإسكندرية، فدخلتها لأرى عجيبَ بنائها وما أسمعُ من صفتها، فإني لأطوفُ فيها فمررتُ بموضعٍ في أعلاها فيه خطوط الغرباء والمجتازين قديمةٌ وحديثة ، وإذا في جملة ذلك موضعٌ مكتوب بحبرٍ بَيِّنٍ : يقول محمد بن عبد الصمد: وصلتُ إلى هذا الموضع في سنة سبعين ومائتين. وصلتُ إليه بعد نَصَبٍ وشقاء، وملاقاةِ ما لم أحسَبْ أني ألقى، ولم أحبّ الانصراف عنه إلا بعد أن يكون لي به أثر، فقلت هذه الأبيات وكتبتها فيه:[2]

شرَّدتْني نوائبُ الأيامِ ... ورمَتْني بصائباتِ السِّهامِ
فرَّقَتْ بين مَنْ أحبُّ وبيني ... وَيْحَ قلبي المتيَّمِ المستهامِ
لهفَ نفسي على زمانٍ تقَضَّى ... فكأني رأيتُهُ في المنامِ

قال: وكنت بجامع الرصافة في مدينة السلام يوم جمعة، وأظن ذلك في سنة إحدى أو اثنتين وخمسين وثلاث مئة، فمرتْ بي رقعةٌ قد حُذِفَ بها، كما تفعل العامَّةُ برقاع الدعاء، فأخذتُها غيرَ معتمد، فإذا فيها بخطٍّ مليح في معنى خطوط الكُتَّاب:[3]

بسم الله الرحمن الرحيم:

رحم اللهُ مَنْ دعا لغريبٍ ... مُذْنَفٍ قد جفاه كلُّ حبيبِ
ورماهُ الزمانُ من كلِّ قطرٍ ... فهو لا شَكَّ مَيِّتٌ عن قريبِ

قال: وحدثني شيخ لنا قال: قرأتُ على حائط مقبرة سيبويه[4] مكتوباً:

رحل الأحِبَّةُ بعدَ طولِ توجُّعِ ... ونأى المزارُ فأسلموكَ وأوجعوا

(1) المحدث هو أبو الطيب أحمد بن محمد المخرَّمي.

(2) أدب الغرباء ص 31 .

(3) أدب الغرباء ص 33 .

(4) قيل إن سيبويه دفن بالبصرة، وقيل إنه دفن بشيراز. تاريخ بغداد 12/ 198.

تركـوكَ أوحـشَ مـا يكـون بقَفْـرةٍ لم يؤنـسوكَ وكُرْبـةً لم يـدفعوا

قال: وقرأتُ على حائط مسجد الجامع بدسكرة الملِك [1]: حضر فلان الصَّروي[2] في سنة ثلاث وخمسين ومئة، وهو يقول: [3]

سـقى الله أيـامَ التواصـلِ غَيْثَـهُ وردَّ إلى الأوطـان كُـلَّ غريـبِ
فـلا خـيرَ في دنيـا بغـيرِ تواصـلٍ ولا خـيرَ في عـيشٍ بغـيرِ حبيـبِ

وكتب مغترب بغدادي على صخرة بجزيرة قبرس: قذف بي الزمان إلى هذا المكان: [4]

فهـل نحـو بغـدادٍ مَعَـادٌ فيـشتفي مَـشُوقٌ ويحظـى بالزيـارةِ زائـرُ
إلى اللهِ أشـكو لا إلى الناسِ،إنَّـه على كشفِ مـا ألقـى مـن الهـمِّ قـادرُ

وفي إكرام الغريب قيل: قال حمزة بن القاسم: قرأت على بعض قصور آل المهلب: [5]

نزلـتُ عـلى آل المهلـب شـاتياً غريباً عـن الأوطـانِ في زمـن المحْـلِ
فـما زال بي إكـرامُهم وافتقـارُهم وبِـرُّهمُ حتـى حـسبتهمُ أهلـي

وبلغ أحد المغتربين بلاد اليونان وكتب على جدار الحصن:

بسم الله الرحمن الرحيم. يقول فلان بن فلان: من وصـل إلى هـذا الموضـع بعـدي فليعجب من قصتي، وليَرثِ لمحنتي. خرجتُ هاربـاً مـن الإمـلاق، وتـضايق الأرزاق، فعُدِلَ بي عن السداد، وتهتُ في البلاد، وبلغ بي الدهر إلى هذا القصر: [6]

---

(1) دسكرة الملك: قرية في طريق خراسان قريبة من شهرابان، وكان هُرمز بن سابور يُكثر المقام بها فسميت بذلك. ومعنى الدسكرة: الأرض المستوية. معجم البلدان 2/ 575 .

(2) نسبة إلى نهر الصراة من أنهار بغداد. مراصد الاطلاع 2/ 836 .

(3) أدب الغرباء ص 34 .

(4) أدب الغرباء ص 42.

(5) أدب الغرباء ص 44 .

(6) أدب الغرباء ص 69 .

فياليـــتَ شـــعري متـــى ينقـــضي عنـــائي وتُكـــشفُ عنـــي المحَـــنْ
شريـــداً طريـــداً قليـــلَ العَـــزا ءِ ســـحيقَ المحـــلِّ بعيـــدَ الـــوطنْ

قال: فاستطرفنا أن تكون الغربة بلَّغتْ إنساناً إلى ذلك المكان.

وقال: حدثني فتىً من أهل الموصل قال: كنتُ سائراً بالساحل في طريـق مكـة، وإني لفي بعض الطريق إذ سمعتُ صوتاً- ولا أرى أحداً - وهو يقول: [1]

نفـسي الفـداءُ لـنفسِ كـلِّ غريـبِ وفـــداءُ كـــلِّ مُفـــارِقٍ لحبيـــبِ
لعبـتْ بـــه الأيـامُ في تـصريفها ونـأتْ بـه عـن صـاحبٍ وقريـبِ

فحفظت البيتين، ولما وصلتُ إلى جبل بـالقُربِ مـن الموضـع كتبـتُهما عـلى جانبـه، ومضيتُ فأقمتُ بالرملة شهوراً، وعدتُ فاجتزتُ بالموضع الذي كنتُ كتبتُهما فيه، فـإذا تحته مكتوب:

نحـنُ نفـديك يـا ظريـفَ الفعـالِ أبـــداً بـــالنفوسِ والأمـــوالِ
أثقلتْنـا الأبيـاتُ بالـشكرِ حتـى قـد ضـعفنا عـن نيلـه بمقـالِ
أنـا ممـن نـأى وفارقَـــهُ الإلْـــ ـــفُ فأمـــسى مُغَـــيَّرَ الأحـــوالِ
ولعـلَّ الزمـانَ يـرحمُ ضَـعفي فتعـــودُ الأيـــامُ لي بالوصـــالِ

قال: ولا أدري لمن الشعر الأول والثاني.

ومن أخبار العشاق الغرباء، ما رواه صالح بن عبد الرزاق قال: حججتُ فرأيتُ في تطوافي على حائط المسجد الحرام مكتوباً: [2]

يا أهـلَ مكَّـــةَ قـد فُتِنْـتُ بظبيـةٍ ترعى ديـارَكُمُ فهـل مـن مُـسْعِدِ

(1) أدب لغرباء ص 72 .

(2) أدب الغرباء ص 78 ـ 79 .

إني غريبٌ والغريبُ مُساعَدٌ ذو صَبْوَةٍ فارثوا لطولِ تكدُّري
إني احتشمتُ لقاءكم وخطابَكم فكتبتُ ما ألقى ببابِ المسجدِ

فحفظت الأبيات، ولم أدرِ لمن هي.

وأقمتُ بمكة أياماً، فدخلتُ إلى مجلس جارية لبعض أهل مكة تغني بالقضيب [1]، في نهاية الطيب والحِذْق، فأعجبتني وأطربتني، فغنَّت في آخر مجلسها:

قالوا غداة غدٍ رحيلُ الموسمِ وفراقُ من تهوى بأنفٍ راغمِ
فزَفَرْتُ زفرةَ عاشقٍ متحيِّرٍ وبكيتُ من جَزَعٍ بدمعٍ ساجمِ
هذا وما حُمَّ الفراقُ فكيف لو قالوا الرحيلُ يكونُ حالُ الهائمِ

فقام فتىً في آخر المجلس فصاح، وعضَّ ثيابه، ولطم خدَّهُ، ولم يزل يقول ويبكي:

هل ينفعنِّي كتابي على المساجد مابي
أم لا فأقتلُ نفسي فإنَّني في عذابِ

فعلمتُ أنَّ الأبيات المكتوبة على المسجد الحرام له، وأنَّهُ عاشقٌ للجارية.

وكانوا يرون، وما زالوا أن فقد الأحبة في الأوطان غربة، فكيف إذا اجتمعت الغربة وفقد الأحبة ؟!، جاء في أدب الغرباء[2]: قرأت على فِناء المسجد الجامع بمتُّوث، وهي مدينة بين سوق الأهواز وبين قُرْقوب [3]، عند اجتيازي بها مكتوباً: حضر المؤمِّل بن جعفر البندنيجي في شهر رمضان من سنة سبع وعشرين وثلاث مئة وهو يقول: كنا نسمع أهل العلم يقولون: فَقْدُ الأحِبَّة في الأوطان غُرْبة، فكيف إذا اجتمعت الغربةُ وفَقْدُ الأحِبَّة، وجملة الأمر أنَّ الذي عرفته من حال الدنيا أنه لا يفي فَرَحُها بتَرَحِها، فقلتُ:

---

(1) قال المحقق: أي أنها تغني وتضرب بالقضيب على مخدة من الجلد لضبط النغمة.

(2) ص 32.

(3) معجم البلدان ـ ياقوت: متوث.

يـــا مَـــنْ عـــلى الـــدنيا يُجـــاذبْ ... وعـــلى زخارفهـــا يُغاضـــبْ
لا تطلُبـــــنَّ وِصالَـهـــــا ... ليـــسَتْ لـــصاحبِها بـــصاحِبْ
بينـــــا تـراهـــــا عنـــــدهُ ... إذْ فارقَتْـــهُ ولـــم تُراقِـــبْ
إنـــــي خَـــبَرْتُ حـــديثَها ... يـــا صـاحِ مـن طـولِ التجـارِبْ

وإذا تحته مكتوبٌ بغير ذلك الخط:

صـدقْتَ صـدَقْتَ وعنـدي الخـبرْ ... سـأحذَرُ منهـا ركـوبَ الخَطَـرْ
وأحمـلُ نفـسي عـلى حالـةٍ ... فـإمَّـــا انتفـاعٌ وإمَّـــا ضَرَرْ

ومن عادة الغريب المحزون أن يتجول بين الآثار وزيارة الأماكن المعمورة أو المهجورة ليلتمس السلوة والصبر والعزاء، قال أبو الفرج الأصفهاني:حدَّثني أبو محمد حمزة بن القاسم الشامي قال: [1] اجتزت بكنيسة الرُّها عند مسيري إلى العراق، فدخلتُها لأشاهدَ ما كنتُ أسمعه عنها، فبينا أنا في تطوافي، إذ رأيتُ على ركنٍ من أركانها مكتوباً بالحمرة: حضر فلان بن فلان وهو يقول: من إقبال ذي الفطنة، إذا ركِبَتْهُ المحنة انقطاعُ الحياة، وحضور الوفاة وأشدُّ العذابِ تطاولُ الأعمار في ظلِّ الإدبارِ. وأنا القائل:

ولي هِمَّـةٌ أدنـى منازِلِهـا الـسُّها ... ونَفْـسٌ تعـالى في المكـارمِ والنُّهـى
وقد كنتُ ذا حـالٍ بميروِ قريـةٍ ... فبلَّغَـتِ الأيـامُ بي بيعـةَ الـرُّهـا
ولو كنـتُ معروفـاً بهـا لم أُقِـمْ بهـا ... ولكنَّنـي أصبحتُ ذا غُرْبَـةٍ بهـا
ومن عادةِ الأيَّـامِ إبعـادُ مُـصْطَفى ... وتفريـقُ مجمـوعٍ وتنغيـصُ مشتهى

فاستحسنتُ النظمَ والنثر وحفظتهما.

(1) معجم البلدان: الرُّهاء 3/ 106- 107،أدب الغرباء ص 36- 37.

الفصل الرابع

الغربة في التراث الإسلامي

جاءت كلمة غربة في اللغة العربية في سياقين،الأول ديني،والثاني نفسي اجتماعي، ففي السياق الديني لم ترد كلمة (غربة) في القرآن الكريم، وإن كانت فكرة الاغتراب التي تعني انفصال الإنسان عن الله قد جاءت في قصة خلق آدم وهبوطه من الجنة، كما وردت في سورة البقرة.

يراد بالاغتراب الديني: الانفصال أو التجنب عن الله، وجاء معنى الاغتراب في الإسلام كما يوضحه الحديث النبوي، قال رسول الله ﷺ: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء) ، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله، قال: (الذين يصلحون إذا فسد الناس)، فالغرباء هم فئة قليلة من أهل الصلاح والتقوى استجابت للرسول [في مبتدأ الدعوة، ونأت بنفسها عن الشبهات والشهوات.

وقد جاء الاغتراب في الإسلام في درجات ثلاث: اغتراب المسلم بين الناس، واغتراب المؤمن بين المؤمنين، واغتراب العالم بين المؤمنين. فغربة العلماء هي أشد أنواع الاغتراب، لِقِلَّتِهم بين الناس، وقلة مشاركة الناس لهم.[1]

وحين ظهر الإسلام وانتشرت دعوته زالت الغربة عن المسلمين، ولكن سرعان ما شعر المسلمون بالغربة حين دب الطمع وكثرت الأنانية والعصبية القبلية بعد مضي أقل

(1) فتح الله خليف: الاغتراب في الإسلام، مجلة عالم الفكر المجلد العاشر، العدد الأول ص 83-98، 1979.

من قرن، فعاد الإسلام غريباً كما بدأ، وعرف المسلمون الصالحون الزاهدون الغربة وعاشوا أهوالها.

وكان الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري ﷺ قد عاش الغربة وعانى من أهوالها، وكان أول الثائرين حين رأى اختلال ميزان العدل بين طبقات المسلمين في أول العهد الأموي، وقد أنكر على بعض الأثرياء ما هم فيه من الملذات المادية، وصدعهم بقوله المأثور: «يولدون للموت، ويعمرون للخراب، ويحرصون على ما يفنى، ويتركون ما يبقى، لا حبذا المكروهان الموت والفقر». [1]

يذكر القشيري عبد الكريم بن هوازن (ت 465هـ) في رسالته ما يعانيه وأبناء زمنه من الغربة فيقول: وإذا كانت الغربة قد أسرعت إلى الإسلام في عصوره المبكرة، فما حال الإسلام في زماننا. وكيف لا يغترب الإسلام في زماننا بعد أن «زال الورع وطوي بساطه، واشتد الطمع، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، وإدانوا بترك الاحترام، وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركنوا إلى اتباع الشهوات، وعاد الإسلام غريباً كما بدأ، حين تفشت في المسلمين فتنة الشبهات والشهوات» [2].

ولاشك أن الإسلام لم يحرم التمتع بالحلال من أمور الدنيا، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [3]، ولكن الإسلام حرم الانغماس في

(1) أبو العلا عفيفي: التصوف، الثورة الروحية في الإسلام، ص 111، ط القاهرة 1963.

(2)عن خليفة: سيكولوجية الاغتراب ص 101، ط دار غريب،القاهرة د.ت.

(3) الأعراف 32.

شهواتها التي تشغل القلب عن ذكر الله، فالاغتراب بالمعنى الإسلامي اغتراب الحياة الاجتماعية الزائفة الجارفة، اغتراب عن النظام الاجتماعي الظالم المنحرف، فالغرباء قاوموا الحياة ومغرياتها بطريقة إيجابية، فقهروا السلطتين جميعاً: سلطة الحكام وسلطة النفس بترويضها على الطاعات واعتزالهم عن الناس،فحل النظام الروحي الداخلي الذي يشيع في النفس الشعور بالأمن والأمان، محل النظام السياسي الخارجي الذي أدخل الرعب والخوف في قلوب المسلمين، بعد أن تفشت بينهم فتنة الشهوات وفتنة الشبهات. (1)

معنى الغربة في الإسلام

وجاء معنى الغريب والغرباء عند الصوفية بالمعنى السابق نفسه، فالغريب عندهم: من يتجنب المجتمع وما يشيع فيه من معتقدات، وينفصل عن العامة والناس، باعتبار أنهم من عوامل ضياع ذاته الأصلية، ولذلك فهو دائماً ينشد السفر والتجوال لما فيهما من كشف عن حقيقة ذاته والتعرف عليها بعيداً عن العامة. (2)

وهناك اسم آخر أطلق على (الغرباء) عند الصوفية هو اسم (النوابت) ذكره ابن باجة (ت 1138 م) في كتابه (تدبير المتوحد)، يقول: «فأما من وقع على رأي صادق لم يكن في تلك المدينة، أو كان فيها نقيضه هو المعتقد، فإنهم يسمونهم النوابت. وكلما كانت معتقداتهم أكثر وأعظم موقعاً، كان هذا الاسم أوقع عليهم، وهذا الاسم يقال عليهم خصوصاً، وقد يقال بعموم على من هو يرى غير رأي أهل المدينة، كيف كان صادقاً أو كاذباً، ونُقل إليهم هذا الاسم من العشب النابت من تلقاء نفسه بين الزرع، فلنخص نحن بهذا الاسم الذين يرون الآراء الصادقة»، ويوضح دلالة هذا

(1) فتح الله خليف: الاغتراب في الإسلام، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول، سنة 1979، ص 83ـ98.

(2) الكمشخانوي: جامع الأصول: ص88، ط الحلبي، القاهرة. محمود رجب ص 44.

الاسم بقوله : «إن النوابت هم من لم يجتمع على رأيهم أمة أو مدينة، وهؤلاء هم الذين يعنيهم الصوفية بقولهم الغرباء،لأنهم وإن كانوا في أوطانهم وبين أترابهم وجيرانهم، غرباء في آرائهم، فقد سافروا فأفكارهم إلى مراتب أخرى هي لهم كالأوطان»[1].

ويرافق الاغتراب العزلة والتوحد؛ العزلة الجسدية وعزلة الروح، وقد رافقت العزلة الأنبياء والصالحين، وكانت من صفات الزهاد وأهل التصوف، لما تمدهم العزلة من صفاء فكري وتأمل روحاني. وقد رافقت الغربة الأنبياء، فالنبي إبراهيم تغرب حين خرج من العراق إلى الجزيرة، وتغربت معه أسرته، وخرج موسى من مصر متوارياً من ظلم فرعون وقومه، ووطأ أرض مدين غريباً فآواه شعيب وتزوج إحدى ابنتيه، وكان في غربته قد ناجى ربه قائلاً: «ياربِّ إني وحيد مريض غريب، فناداه ربه: يا موسى، الوحيد من ليس له مثلي أنيس، والمريض من ليس له مثلي طبيب، والغريب من ليس بيني وبينه معاملة» [2].

وعاش رسول الله محمد ﷺ الغربة وهو يتحمل أذى قومه من قريش،وعاش الغربة في مقامه بمكة وعند هجرته إلى المدينة متخفياً مع أبي بكر الصديق، وكان المسلمون الأوائل غرباء بين أهليهم يتحملون الأذى وهم صابرون، واضطروا إلى الهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وجاء ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [3]، وجاء ذكر الغربة في وصف الإسلام في قول النبي ﷺ:(بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء) [4]. وسئل رسول الله ﷺ

(1) رسائل ابن باجة الإلهية ص 42، 43، تحقيق ماجد فخري، بيروت 1968.

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 2/ 123.

(3) الحج 40.

(4) صحيح مسلم 1/ 130 ط دمشق 1955.

عن الغرباء في الإسلام، فقال: (هم الذين يزيدون إذا نقص الناس)، وفسر ابن قيم الجوزية معنى الزيادة في الحديث النبوي فقال: «الذين يزيدون خيراً وإيماناً وتقى إذا نقص الناس من ذلك». [1]

وحين استقرت الأمور في صدر الإسلام وكثرت الفتوح، أصاب بعض القرشيين من نعيم الدنيا وكثر المال والعقار في أيديهم، وبقيت هناك طوائف كثيرة في فقر وعوز، فظهرت جماعات تدعو إلى الزهد ونبذ الترف، وفي مقدمة أولئك أبو ذر الغفاري الذي كان غريباً في بيئته، فاضْطُهِدَ وطُورِدَ، ومما كان يقوله في أمر المترفين أهل الترف والثراء: «يولدون للموت، ويعمرون للخراب، ويحرصون على ما يفنى، ويتركون ما يبقى، ألا حبذا المكروهان الموت والفقر»[2]، لقد دخلت الغربة في الإسلام حين كثرت العقائد والمذاهب والفرق والنظريات، فعاد الإسلام غريباً كما بدأ. وكان من أثر ذلك ظهور الزهد والزهاد الذين دعوا إلى اعتزال الناس،ونبذوا الدنيا وشهواتها وملاذها، فصاروا باعتزالهم الناس ودنياهم غرباء،والزهد صورة من صور الغربة، والزاهد مغترب وهارب من مواجهة الواقع، ومحتج على القيم السائدة التي يراها خطأً وانحرافاً، ويرى القشيري أن الزاهد: «غريب في الدنيا، والعارف غريب في الآخرة» [3].

وكانت الخلوة والاعتزال والتغرب معروفة عند العرب منذ العصر الجاهلي، وقد عرف من هؤلاء المعتزلين قس بن ساعدة الإيادي، وأمية بن أبي الصلت، وخالد بن سنان العبسي، وزيد بن عمرو بن نفيل[4]، والخلوة والاعتزال والانسحاب إلى الذات أعلى

---

(1) خليف: الاغتراب في الإسلام السابق والصفحة.

(2) أبو العلا عفيفي: التصوف، الثورة الروحية في الإسلام ص 111.

(3) فصوص الحكم ص 186، ط القاهرة 1946، وانظر: الغزالي: المنقذ من الضلال ص 11.

(4) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثاني في تراجم المذكورين.

درجات الاغتراب، ومما روي عن الإمام جعفر الصادق أنه قال لمعروف الكرخي: «أقلل معارفك»، فسأله معروف المزيد من هذا النصح فقال له: «أنكر من عرفت منهم»، وقال جعفر الصادق: «لولا الموضع الذي وضعني الله فيه لسرني أن أكون على رأس جبل، لا أعرف الناس ولا يعرفونني حتى يأتيني الموت»[1].

والفكرُ الصوفي فكرُ غربةٍ وانعزال، سأل أحد المتصوفة ذا النون المصري: متى تصح العزلة عن الخلق؟ ومتى يصح لي طلب الزهد؟ قال: إذا كنت زاهداً في نفسك، هارباً من جميع ما يشغلك عن الله.

والخلوة الصوفية انسلاخ عن الناس وعن النفس أيضاً، وبذلك يقول البسطامي: «انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها، ثم نظرت إلى ذاتي فإذا أنا هو»، وكان ابن عربي محمد بن علي محيي الدين (ت 638هـ) يدعو في بعض رسائله إلى: «الهرب من طريق الراحات» [2].

وهناك من يرى أن الخلوة والاعتزال عند الصوفية ليست بسبب نفورهم وزهدهم في الحياة، فهم يحبون الحياة ويتعلقون بأسبابها، ويقال إن رابعة العدوية حين ذكر أصحابها الدنيا وذموها قالت: «اسكتوا عن ذكرها، فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها، إنَّ من أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره»[3]، ويرى زكي مبارك: «أن الدنيا شغلت الصوفية، فلم تخلُ منها قلوبهم طرف عين، ولو خلت منها قلوبهم لما طوَّقوها بقلائد الهجاء، وإنما مثلها في أنفسهم مثل المرأة المطلقة التي يحن إليها زوجها ويتمنى لو عادت لياليها »[4].

---

(1) كامل الشيبي:الفكر الشيعي ص 92 .

(2) رسالة الخرقة لابن عربي، مخطوط في خزانة المتحف العراقي، الورقة 56 ب، عن الاغتراب والعبقرية: عادل الألوسي ص 67.

(3)الغزالي:إحياء علوم الدين 3/ 208.

(4) التصوف الإسلامي 2/ 126.

وتتكرر في عبارات الصوفية غربة الروح، ويعرفها الهروي بقوله: «غربة طالب الحق، غربة العارف، لأن العارف في شاهده غريب، موجودة لا يحملها علم، أو يظهرها وجد، أو تطيقها إشارة أو يشملها اسم، فغربة العارف غربة الغربة، لأنه غريب الدنيا والآخرة»[1]، وغربة الصوفية غربة روحية، تتجسد في سير أعلامهم حيث اعتزلوا الحياة والناس، وحاولوا الاتصال بالله عن طريق التجرد والتسامي والاستغراق في حب الذات الإلهية، كما فعلت رابعة العدوية (رابعة بنت إسماعيل العدوية ت 135 هـ) التي بدأت حياتها لاهية جرفها تيار المجون في أول صباها، ثم جاءتها الصحوة فنبذت الإثم واتجهت إلى الحب الإلهي وتخلصت من الغربة الروحية حين وجدت طريقها إلى الله وعاشت في حماه، ومن أقوالها: «آن للغريب أن يرى حماه»، وكذلك كان الحال عند بقية المتصوفة كأحمد بن عاصم الذي يقول: «إني أدركت من الأزمنة زماناً عاد فيه الإسلام غريباً كما بدأ، وعاد وصف الحق فيه غريباً كما بدأ»[2]. وإذا كانت الغربة عذاباً عند الناس فإنها عند الصوفية ليست كذلك، بل هي عشق لله وحده، وهي مرحلة يقطعها المتصوف للوصول إلى الهدف الأعظم وهو الفناء في الذات الإلهية، يقول الشاعر المتصوف أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت 243 هـ)، حاكياً طبيعة غربته: [3]

أنا في الغربة ابكي ما بكت عين غريبِ
لم أكن يوم خروجي من بلادي بمصيبِ
عجباً لي ولتركي وطناً فيه حبيبي

(1) الهروي: التمكين في شرح منازل السائرين ص 274.

(2) ابن رجب الحنبلي: كتاب الكربة في وصف حال أهل الغربة ص 15، ط القاهرة د.ت.

(3) عادل الألوسي: الاغتراب والعبقرية ص 70.

وقد يبلغ العشق الإلهي عند الصوفية إلى درجة الهيام والجنون، كما نجد عند أبي بكر الشبلي (دلف بن جحدر ت 334 هـ) الذي كان والياً في دنباوند من نواحي رستاق الري، وكان حاجباً للموفق العباسي، فقد ترك أملاكه للفلاحين وتصوف، وظل سنوات يستجدي الناس إحساناً، وقد طور الشبلي مفهوم العشق إلى معنى روحي هو العشق الإلهي، وتتضح الغربة عنده بالتفرد الذي يصل إلى درجة الفناء في المحبوب، فهو غريب متفرد في هذا العشق، فيقول في غربته هذه: [1]

تغـرَّبَ أمـري فـانفردتُ بغربتـي وأفنيتنـي عنـي فـصرتُ مُجَـرَّدا

وينوه بعشق قيس بن الملوح الذي دفعه إلى الجنون، أما الشبلي فقد كتم هواه وتفرد بهذا العشق: [2]

بـاح مجنـونُ عـامرٍ بهـواهُ وكتمـتُ الهـوى ففـزت بوجـدي

وإذا كـان في القيامـةِ نـودي أين أهل الهـوى ؟ تقـدمتُ وحـدي

(1)ديوان الشبلي ص 94، جمع وتحقيق كامل مصطفى الشيبي، ط بغداد 1967، وانظر الحنين والغربة لماهر حسن فهمي ص21.

(2)ديوان الشبلي ص 99 .

مؤلفات المسلمين في الغربة

وقد حفل الفكر الإسلامي بالمؤلفات التي تتضمن الغربة، ومن صور الغربة الاعتزال، وقد ألف الخطابي(ت388هـ) كتاب (العزلة)، وهو صورة من صور الاغتراب، وأوضح الخطابي المراد بالعزلة وبيَّن أنها نوعان: العزلة الفكرية، والعزلة عن الناس، ويرى أن العزلة التي يريدها هي ترك فضول الصحبة ونبذ الزيادة منها، وحط العلاوة التي لا حاجة بك إليها[1]، ويرى أن خير العزلة ما كانت لأجل العلم وإن كانت بعيدة عن الأهل والوطن[2].

وحين تناول ابن عربي (ت 638هـ) فكرة الخلق والهبوط، لم يجد سوى كلمة (الغربة) وفعل (الاغتراب)، قال: «إن أول غربة اغتربناها وجوداً حسياً عن وطننا، غربتنا عن وطن القبضة عند الاشهاد بالربوبية لله علينان ثم عمرنا بطون الأمهات، فكانت الأرحام وطننا، فاغتربنا عنها بالولادة»[3].

وجاءت الفكرة نفسها، أي فكرة الانفصال عن الله سبحانه عند السهروردي حكيم الإشراق (ت 550- 660 هـ/ 1155- 1261 م)، في قصته الرمزية (الغربة الغربية) التي تحكي الانفصال عن الأصل (مشرق الأنوار)، والوقوع في عالم البرزخ، وكيف أن الحكمة اللدنية (المشرقية) تقود الصوفي إلى أن يعي (غربته الغربية)، أيأن يدرك عالم البرزخ بوصفه "غرباً" يقوم قبالة "المشرق"[4].

---

(1) الخطابي أحمد بن محمد البنداري: العزلة ص 11 ــ 13، تحقيق عبد الغفار سليمان، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1985.

(2) العزلة ص 52 .

(3) الفتوحات المكية 2/ 696، وانظر: محمود رجب: الاغتراب سيرة ومصطلح ص 40 ط 4، دار المعارف 1993.

(4)محمود رجب ص 41 .

والاغتراب عن الوطن السماوي، اغتراب يشترك فيه المؤمنون جميعاً، فالمؤمن في الدنيا غريب أو عابر سبيل، وفي هذا المعنى يقول ابن الجوزي:[1]

وحي على جنان عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المخيمُ
ولكننا سبيُّ العدو فهل ترى نعودُ إلى أوطاننا ونسلمُ
وأي اغترابٍ فوقَ غربتنا التي لها أضحت الأعداءُ فينا تحكمُ

والغربة عند ابن قيم الجوزية ثلاث: «غربة أهل الله وأهل السنة ورسوله بين الخلق، وهي غربة مدحها الحديث الشريف، وغربة مذمومة وهي غربة أهل الباطل، وغربة مشتركة لا تحمد ولا تذم وهي الغربة عن الوطن»[2].

لقد كان الاهتمام بالغربة بمعناها الروحي والنفسي عند المتصوفة أن ألف بعض الكتاب المسلمين مؤلفات منها: مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، وكشف الكربة في وصف الغربة لابن رجب الحنبلي،والعزلة للخطابي، والفلاكة والمفلوكون لشهاب الدين أحمد بن علي الدلجي، ومنازل السائرين للهروي الأنصاري، وكتب الزهد والتصوف الإسلامي مثل كتب الغزالي وابن عربي والقشيري وغيرهم.

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 3/ 126، وانظر: نبيل اسكندر: الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر ص 33، ط دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1988.

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 3/ 196.

غربة أبي حيان التوحيدي

وأصدق من عاش الغربة وعاش ويلاتها أبو حيان التوحيدي وفي غربة أبي حيان (ت 400 هـ) يقول عبد الرحمن بدوي:[1] «وصاحبنا لا نعرف له أصلاً، إنما هو من أولئك الموالي الذين اختلطت فيهم الدماء والعناصر فكونت مركباً غريباً، على أنه كان يشعر بواشجة قربى مع الغرباء والأفاقين، حتى كان لا يخالط (إلا الغرباء والمجتدين والأدنياء الأردياء)[2]، وما هذا إلا لشعوره بأنه واحد منهم، إذ كان يرتد إليهم مهما زجره عن ذلك زاجر من كبار القوم، على أن الأرجح أن يكون فارسي الأصل، مع احتمال دخول أجناس أخرى، وبالجملة فهو آري في غالب الظن، ولاشك أنه كان يشعر بالدَّخل العنصري الذي كان بالغاً أشده في عهده، أعني القرن الرابع الهجري، خصوصاً وبدأ عنصره ينتصر، بل ويستقل بدويلات لا تكاد تربطها بمركز الخلافة إلا أوهى الروابط، ومن هنا كانت عنايته كلها بأمر الشعوبية، وما ذلك إلا لما يعانيه من تجربة أو شعور أليم يبلغ حد المأساة، لأنه شعور عنصر بأسره في كفاح حضاري مع عناصر قوية أخرى كانت لها عليه مكانة السيادة»[3] ويقول:«وصاحبنا قد لقي الأهوال من الأحياء، عرف الشقاء الذي لا يستحقه، بينما وجد التافهين يرتفعون إلى أعلى مراتب الرياسة والشرف في الدنيا. وسعى ما استطاع لطلب المثالة بين الناس (ولعَقْد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم)[4] فحرم ذلك كله . وزاد من شعوره بالألم أنه طلب المجد عند أناس مهنتهم مهنته، أعني حرفة الأدب، لكنهم بلغوا مراتب الوزارة وهو لم ينل إلا

---

(1) مقدمة الإشارات الإلهية ص 7 .

(2) الإمتاع والمؤانسة 1/ 7 ط القاهرة 1939.

(3) السابق ص 12.

(4) ياقوت معجم الأدباء 5/ 1930 ط إحسان عباس.

البؤس والحرمان، وظن أنهم أقدر الناس على معرفة قدره، فلم يلق منهم إلا كل نكران وتحقير وإهانة لكل كرامة.

وعاد من حيث أتى، لم يزد إلا همّاً على همٍّ، ومرارة إملاق على إملاق، فلم يجد غير القرطاس يصبُّ فيه جام غضبته المقدسة، فراح يفضح " مثالبهما "، أو بعض المحرومين ممن على شاكلته مثل أبي بكر القومسي الفيلسوف الذي قال هو عنه إنه: (كان بحراً عجاجاً وسراجاً وهاجاً، وكان من الضر والفاقة، ومقاساة الشدة والإضاقة، بمنزلة عظيمة، عظيم القدر عند ذوي الأخطار،منحوس الحظ منهم، مُتَّهماً في دينه عند العوام، مقصوداً من جهتهم)، يناجيه صاحبنا ويطارح كل منهما الآخر، حديث شقائه، وهما في الحرمان والشقاء صنوان. قال لصاحبنا هذا يوماً: (ما ظننت أن الدنيا ونكدها تبلغُ من إنسان ما بلغ مني: إن قصدت دجلة لأغسل منها نضب ماؤها، وإن خرجت إلى القفار لأتيمَّم بالصعيد عاد صلداً أملس)[1].

ومع ذلك كان ذا أنفة نفس واعتداد بالكرامة، فلم يشأ أن يترامى على أعتاب الرؤساء، هذا الداء العضال المستحكم في الشرق حتى اليوم ويا للأسف الشديد، بل رباً بنفسه عن كل هذا قائلاً: (معاناة الضر والبؤس أولى من مقاساة الجُهَّال والتيوس، والصبر على الوخيم الوبيل أولى من النظر إلى مُحَيَّا كل ثقيل)[2] ، فرد عليه صاحبنا: (ما أعرف لك شريكاً فيما أنت عليه وتتقلب فيه وتقاسيه سواي، ولقد استولى عليَّ الحَرْف وتمكن مني نكدُ الزمان)[3] . لقد انطلق يرمي زمانه وأهل زمانه بمقذع الهجاء، شاكياً نائحاً حيناً، متمرداً عنيداً يجدِّف بكل شيء حيناً آخر».

---

(1) معجم الأدباء- ياقوت 5/ 1926 ط إحسان عباس.

(2) معجم الأدباء 5/ 1927.

(3) ياقوت السابق والصفحة.

«كذلك فرضت عليه الوحدة في الحياة، فظل عمره لا يجد حوله (ولداً نجيباً وصديقاً حبيباً،وصاحباً قريباً، وتابعاً أديباً ورئيساً مثيباً)»،[1] ومن هنا شعر بالوحشة الهائلة في دنياه، فانطلق يصفها بكل حرارة ومرارة في معظم صفحات كتبه».

لقد أحسَّ بأنه غريب في كل شيء: غريب في وطنه، غريب عن أحبابه، غريب عن كل ما في الوجود من أشياء وأحياء. فكان موضوع (الغريب) هذا من أبلغ ما سطره قلمه، وفيه ملامح وجودية لا يخطئها النظر من أول وهلة، ولهذا كان الباعث لي إلى تلمس الوجودية في كتابته، وفي مدينة بغداد التي كانت آنذاك مدينة عالمية، سرعان ما يستأصل فيها ساكنوها، خصوصاً إن كانوا ممن اصطلحت عليهم أخلاط من الأجناس والثقافات المتعارضة، فضلاً عما يضاف إلى هذا من انعدام الشعور القومي المحلي عند أمثال صاحبنا من المفكرين الفضوليين على الحياة السياسية، شأن المفكرين في ذلك الدور الحضاري: يكونون عادة عالميي النزعة (cosmopoites)، وهو ما عبر عنه أبو الفتح البستي(ت 400 هـ) خير تعبير في ذلك العهد نفسه فقال:[2]

إذا نبا بكريم موطنٌ فلـه ... وراءه في بسيط الأرض أوطانُ

وإنْ نَبَتْ بك أوطانٌ نشأتَ بها ... فارحلْ فكُلُّ بلاد الله أوطانُ

ولكن صاحبنا لا يقنع بهذا المعنى المبتذل في عهده ودور الحضارة الذي ينتسب إليه، وإنما يرفعه إلى المعنى الأعمق، فيقول: (قد قيل: الغريب من جفاه الحبيب. وأنا أقول: بل الغريب من واصله الحبيب، بل الغريب من تغافل عنه الرقيب، بل الغريب من حاباه الشريب، بل الغريب من نودي من قريب) ثم يرتفع بهذه النبرة إلى درجة عالية

---

(1) ياقوت 5/ 1930.

(2) ديوان البستي ص 192،تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ط مجمع اللغة العربية، دمشق 1989، والبيت الآخر في القصيدة نفسها ص 191.

فيصيح: (بل الغريب من هو في غربته غريب). اية روعة في هـذه العبـارة التـي تبـدو في صورة التناقض الوهمي المتناقض (paradoxe)، أو في صورة الابتذال ! إذ معناها أن هذا الغريب قد صارت الغربة نفسها غريبة عنه، ذلك لأنه ارتفع فـوق معنـى الغربـة عـن الوطن إلى معنى الغربة عن الغربة بعد أن صارت الغربة نفسها وطناً له».

وصاحبنا حريص[1] كل الحرص على توكيد هذه التفرقـة في كـل فقـرة مـن تلـك الصفحات الدامية النابضة بكل حياة، فنراه يقول عن هذا الغريـب بـالمعنى الـصحيح المليء: (هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه، ولم يتزعزع عن مهب أنفاسه، واغـرب الغرباء من صار غريباً في وطنه، وأبعد البعداء مـن كـان بعيـداً في محـل قُرْبـه، لأن غايـة المجهود أن يسلو عن الموجود، ويغمض عن المشهود، ويُغضي عـن المعهـود، ليجـد مـن يغنيه عن هذا كله بعطاء ممدود، ورفد مرفود، وركن موطود، وحد غـير محـدود)، وهـذا تفسير جيد لحقيقة هذا الغريب في وطنه، البعيد في محل قُربه،، فالغربة إنما تأتيه من باطنه، إذ عليه أن يسلو عن الموجود، والموجود هنا يـشمل كـل شيء، الموجـود بـالمعنى المـادي، الموجـود بـالمعنى الروحـي، والموجـود بـالمعنى الميتـافيزيقي، والأول بالزهـد في الحيـاة والعزوف عن الدنيا، والثاني بالعلاء المستمر في معراج التطور الروحي».

حقيقة تدين أبي حيان

« لن نستطيع أن نفصل في أمره في هذه الناحية بيقين[2]، حتى إن المؤرخين أنفـسهم ليختلفون في حقيقة إيمانه. فالذهبي - ولعله تأثر هنا بابن الجوزي - يرى أنـه كـان سيء الاعتقاد،وابن فارس في كتاب (الخريـدة والفريـدة) يقـول عنـه إنـه كـان (قليـل الـدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان، وإنه تعرض لأمور جسام من القدح في الشريعة

(1) عبد الرحمن بدوي: مقدمى الإشارات الإلهية مقدمة ص 15.

(2)السابق ص 18.

والقول بالتعطيل). وجاء ابن الجوزي في تاريخه فقال: (زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء المعري. قال: وأشدهم على الإسلام أبو حيان، لأنه مجمج ولم يصرح)[1]، بينما جاء فريق آخر على رأسه ياقوت وابن النجار والسبكي فبرَّأه من تهمة الزندقة، على أساس أن ما في كتبه لا يدل على شيء من ذلك. وهذا حق في جملته، إذ ما بقي لنا من كتبه لا يدلنا على زندقة بالمعنى الدقيق، لكن المستقصي لمراميه البعيدة لا يعدم أن يجد سنداً لاتهامه بأنه كان في القليل رقيق الدين، أو أنه كان يلونه بلون خاص به لا ينظر إليه أصحاب السُنَّة نظرة الرضا. على أننا نعتقد أن تكفير ابن الجوزي هنا له، إنما هو من نوع تكفيره للصوفية عامة، كما سيفعل ابن تيمية من بعد بالنسبة إلى ابن عربي والحلاج والصدر الرومي وابن سبعين، ومع ذلك فيجب أن نعترف بأننا لا نملك الوثائق الكافية للحكم في هذه المسألة حكماً صحيحاً».

إحراق كتبه

«إنه لم يأتِ في هذا ببدعة فله (في إحراق هذه الكتب أسوة بأئمة يقتدي بهم، ويؤخذ بهديهم)[2]، يذكر منهم أبا عمرو بن العلاء اللغوي الأديب الممتاز، وداود الطائي (وكان من خير عباد الله زهداً وفقهاً وعبادة، ويقال له تاج الأمة:طرح كتبه في البحر، وقال يناجيها: (نِعْمَ الدليلُ كنتِ، والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول، وبلاء وخمول)، ثم يوسف بن أسباط، والصوفي الكبير أبا سليمان الداراني الذي جمع كتبه في تنُّور وسجَرها بالنار ثم قال: (والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك)[3]، ويذكر كذلك أن سفيان الثوري،وأبا سعيد السيرافي، وقد كان شيخ صاحبنا، ثم هو قد فعل فعله هذا

(1) السبكي ــ طبقات الشافعية4/ 3.

(2) ياقوت: معجم الأدباء 5/ 1931.

(3) ياقوت 5/ 1931.

وهو في حال من المرض والعسر والفاقة، وهذه حال نفسية يرى فيها من العذر أضعاف ما أبدى. وبهذا كشف عن كل العوامل التي تضافرت وتمالأت حتى حملته على أن يصنع صنيعه هذا الذي لم ينفرد به، بل سبقه إليه طائفة صالحة من أجلة العلماء.

من كتاب «الإشارات الإلهية»

قال أبو حيان من رسالة:[1] «سألتني - رفق الله بك، وعطف على قلبك - أن أذكر لك الغريب ومحِنَه، وأصِفُ لك الغُربة وعجائبها، وأمرَّ في أضعاف ذلك بأسرار لطيفة، ومعان شريفة، إمَّا مُعَرِّضاً، وإمَّا مُصَرِّحاً، وإمَّا مُبَعِّداً، وإمَّا مقرباً.... وما الذي أقول وأصنع، وبماذا أصبر، وعلى ماذا أجزع ؟ وعلى العِلاَّت التي وصفتها والقوارف التي سترتها أقول:[2]

إنَّ الغريبَ بحيثُ ما حطَّت ركائبُه ذليل
ويدُ الغريبِ قصيرةٌ ولسانُهُ أبداً كليل
والناسُ ينصرُ بعضُهم بعضاً وناصِرُه قليل

وقال آخر:

وما جَزَعاً من خَشْيةِ البَيْنِ أخضَلَتْ دموعي ولكنَّ الغريبَ غريبُ

يا هذا ! هذا وصف غريب نأى عن وطن بُنِيَ بالماء والطين، وبَعُدَ عن أُلاَّفٍ له عهدُهم الخشونة واللين، ولعله عاقرهم الكأسَ بين الغُدْران والرياض، واجتلى بعينه محاسن الحَدَق المِراض، ثم إنْ كان عاقبة ذلك كله إلى الذهاب والانقراض، فأينَ أنت عن قريب قد طالت غربتُه في وطنه، وقلَّ حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه ؟! وأين أنت عن غريب لا سبيل له إلى الأوطان، ولا طاقة به على الاستيطان ؟! قد علاه الشحوب وهو

---

(1) الإشارات الإلهية ص 112، تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، ط وكالة المطبوعات الكويت ودار القلم بيروت 1981.

(2) السابق ص 113.

في كِنٍّ، وغلبه الحزن حتى صار في كأنه شَنٌّ[1]، إنْ نطق نطق حزناً منقطعاً، وإنْ سكت سكت حيران مرتدعاً .... قد أكله الخمول، ومصَّه الذبول، وحالفه النحول، لا يتمنى إلا على بعض جنسه، حتى يُفضي إليه بكامنات نفسه، ويتعَلَّل برؤية طلعته، ويتذكر لمشاهدته قديم لوعَته، فينثر الدموع على صحن خده، طالباً للراحة من كده.[2]

وقد قيل:الغريب من جفاه الحبيب. وأنا أقول: بل الغريب من واصله الحبيب، بل الغريب من تغافل عنه الرقيب، بل الغريب من حاباه الشريب[3] بل الغريب من نودي من قريب، بل الغريب من هو في غربته غريب، بل الغريب من ليس له نسيب، بل الغريب من ليس له من الحق نصيب، فإن كان هذا صحيحاً، فتعال حتى نبكي على حالٍ أحدثت هذه النَفْرة، وأورثت هذه الجفوة:

لعل انحدار الدمع يُعْقِبُ راحةً من الوَجْدِ أو يَشْفي نَجِيَّ البلابلِ[4]

يا هذا ! الغريبُ من غرَبَتْ شمْسُ جماله، واغترب عن حبيبه وعُذَّاله، وأعربَ في أقواله وأفعاله، وغرَّبَ في إدباره وإقباله، واستغربَ في طِمِره وسِرْباله. يا هذا ! الغريب من نطق وصفُه بالمحنة بعد المحنة، ودلَّ عنوانه على الفتنة عُقَب الفتنة، وبانت حقيقته فيه في الفينة حَدَّ الفينة. الغريب من إن حضر كان غائباً، وإن غاب كان حاضراً. الغريب من إن رأيته لم تعرفه، وإن لم تره لم تستعرفه. أما سمعت القائل حين قال:

بِمَ التعلُّلُ لا أهلٌ ولا زمنٌ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ

---

(1) الشنُّ والشنَّة: القربة الصغيرة الخَلَق.

(2) السابق ص 114.

(3) أي النديم .

(4) البيت لذي الرمة ص 492 ط مكارتني، كمبردج 1919.

هذا وصفُ رجلٍ لحقّتْهُ الغُربة، فتمنى أهلاً يأنسُ بهم، ووطناً يأوي إليهم، ونديماً يحُلُّ عُقَدَ سرِّه معه، وكأساً ينتشي منها، وسَكناً يتوادع عنده. فأما وصف الغريب الذي اكتنفته الأحزان من كل جانب، واشتملت عليه الأشجان من كل حاضر وغائب[1] وتحكمت فيه الأيام من كل جانب وذاهب، واستغرقته الحسرات على كل فائت وآئب، وشتّته الزمان والمكان بين كل ثقة ورائب، وفي الجملة أتت عليه أحكام المصائب والنوائب، وحطته بأيدي العواتب عن المراتب، فوصفٌ يخفى دونه القلم، ويفنى من ورائه القرطاس، ويشلُّ عن بَجْسِه[2] اللفظ، لأنه وصف الغريب الذي لا اسم له فيذكر، ولا رسم له فيُشْهَر، ولا طَيَّ له فينشر، ولا عُذْرَ له فيُعْذر، ولا ذنبَ له فيغفر، ولا عيبَ عنده فيُسْتَر.

هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه، ولم يتزعزع عن مهَبِّ أنفاسه، وأغربُ الغرباء من صار غريباً في وطنه، وأبعد البُعداء من كان بعيداً في محلِّ قُربه، لأن غاية المجهود أن يسلو عن الموجود، ويُغْمِضُ عن المشهود، ويُقْصي عن المعهود، ليجدمن يُغنيه عن هذا كله بعطاء ممدود، ورِفْدٍ مرفود، وركن موطود[3] يوحدٍّ غير محدود.

يا هذا ! الغريب من إذا ذَكَرَ الحقَّ هُجِرْ، وإذا دعا إلى الحق زُجِر، الغريب من إذا أسند كُذِب، وإذا تطاهر[4] عُذِّب. الغريب من إذا امتار لم يَمْرِ[5] وإذا قعد لم يُزَرْ. يا رحمتا للغريب[6].

---

(1) الإشارات الإلهية ص 115.

(2) يضعف عن جريانه.

(3) ثابت.

(4) تطاهر: تنزه عن الأدناس، من الطُهر.

(5) امتار: جلب الميرة، الطعام.

(6) يذكر ببيت علي بن الجهم، ديوانه ص 154، تحقيق خليل مردم، ط دار الآفاق الجديدة، بيروت 1980.

وارحمتا للغريب بالبلد النا زح ما ذا بنفسه صنعا

طال سفره من غير قدوم، وطال بلاؤه من غير ذنب، واشتد ضرَرُه من غير تقصير، وعظم عناؤه من غير جدوى !.

الغريب من إذا قال لم يسمعوا قوله، وإذا رأوه لم يدوروا حوله. الغريب من إذا تنفس أحرقهُ الأسى والأسف[1] ، وإنْ كتم أكمده الحزن واللَّهَف. الغريب من إذا أقبل لم يوسَّع له، وإذا أعرض لم يُسْئل عنه، الغريب من إذا سأل لم يُعطَ، وإنْ سكتَ لم يُبْدأ. الغريب من إذا عطس لم يُشَمَّتْ، وإنْ مَرِضَ لم يُتَفَقَّد. الغريب من إن زار أُغْلِقَ دونه الباب، وإن استأذن لم يُرفع له الحجاب.

الغريب من إذا نادى لم يُجَبْ، وإن هادى لم يُحَبْ. اللهم إنَّا قد أصبحنا غرباء بين خلقك، فآنسنا في فِنائك. اللهم وأمسينا مهجورين عندهم، فصلنا بحبائك[2]. اللهم إن عادَوْنا من أجلك لأنَّا ذكرناك لهم فنفروا، ودعوناهم بثوابك فاستكبروا، وأوعدناهم بعذابك فتحيَّروا، ووعدناهم بثوابك فتجبروا، وتعرَّفنا بك إليهم فتنكَّروا، وصُنَّاك عنهم فتنمَّروا، وقد كِعْنا[3] عن نذيرهم، ويئسنا من توقيرهم.

أيها السائل عن الغريب ومحنته ! إلى ههنا بلغ وصفي في هذه الورقات. فإن استزدتَّ زِدْتُ، وإن اكتفيتَ اكتفيتُ، والله أسألُ لك تسديداً في المبالغة، ولي تأييداً في الجواب، لنتلاقى على نعمته، ناطقين بحكمته، سابقين إلى كلمته.

---

(1)الإشارات الإلهية ص116.

(2) الحباء: العطية.

(3)كعنا: هبنا وجبنا .

يا هذا ! الغريب في الجملة من كله حُرْقة، وبعضه فرقة، وليلُه أسف، ونهاره لهف[1]، وغذاؤه حَزَن، وعشاؤه شجن، وآراؤه ظِنَن، وجميعُه فِتَن، ومَفْرِقُه مِحَن، وسِرُّهُ عَلَن، وخوفُه وطن.

الغريب من إذا دعا لم يُجَب، وإذا هاب لم يُهَب.

الغريب من إذا استوحشَ استُوحِشَ منه: استوحِشَ لأنه يرى ثوبَ الأمانة ممزقاً، واستوحِشَ منه لأنه يجد لما بقلبه من الغليل مُحْرِقاً.

الغريب من فَجْعَتُهُ مُحْكمة، ولوعَتُه مُضْرَمة.

الغريب من لِبْسَتُه خِرْقة، وأكلتُه سَلْقة، وهجعَتُه خَفْقَة .

دع هذا كله ! الغريب من أخبر عن الله بأنباء الغيب داعياً إليه. بل الغريب من تهالك في ذكر الله متوكلاً عليه، بل الغريب من توجَّه إلى الله قالياً لكل من سواه. بل الغريب من وهب نفسه لله متعرضاً لجدواه.

يا هذا ! أنت الغريب في معناك.

أيها السائل عن الغريب ! اعمل واحدة ولا أقل منها، وإذا أردت ذكرَ الحقِّ فانسَ ما سواه، وإذا أردتَ قُرْبَهُ فابعد عن كل ما عداه، وإذا أردت المكانة عنده فدع ما تهواه لما تراه، وإذا أردت الدعاء إليه فميِّزه مالك مما عليك في دعواه .[2]

---

(1) الإشارات الإلهية ص 117.

(2) انتهى النقل من الإشارات الإلهية.

مثيرات الحنين والغربة

الغريب الذي يهزه الحنين والشوق إلى وطنه تذكره وتهيجه مثيرات تعصف به وتثير أشجانه، وكثيراً ما تكون سبباً لعذابه ، فهي تذكره بغربته، وتذكره بأحبابه وأهله وأوطانه، منها هذا البرق الذي يتوهج من ناحية وطنه، والريح التي تأتي بأنسام أرضه وشذى أحبابه ، والناقة رفيقة أسفاره التي تحن إلى أرضها ومراعيها، وهديل الحمام الذي يثير أشجانه ويذكره بأحبابه، وصوت حبيبة القلب التي تشكو الفراق والبعاد وتعاتبه وتحاوره، وقطرات المطر أو الندى التي تذكره بدموع الزوجة والأسرة حين الوداع، ونجوم السماء والثريا التي يسهر وإياها ليلاً، فيذكر وطنه الذي تظله هذه النجوم وسمره ومن يحب وهي ترعاهم ببريقها ، والسحب الجارية التي يتمنى أن تسقي أرضه ليعم الخير فيها، ويتمنى أن ينعم وأهله بخيرها بعد أن تنكشف الغمة ويجتمع الشمل، كل تلك المحفزات والرؤى تثير عواطف الحنين وأشواق العودة إلى الأحبة والوطن الحبيب، وقد حفل الشعر الذي مر بنا وغيره بهذه المثيرات فأبكتهم وأشجتهم وأنطقتهم بروائع شعر الغربة والحنين.

وهذه بعض النماذج مما جاء في مثيرات الشجا والحنين:[1]

* **العين والدموع:**

يقول الحارث المخزومي: [2]

بالخيف هاجت شؤوناً غير جامدةٍ فانهلت العينُ تُذري واكفاً سَجِما

ويقول الصمة القشيري: [3]

---

(1)ينظر فاطمة السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي ص 410 ــ 457.

(2)شعره ص 94 .

(3) شعره ص 64

ألا مـن لعـينٍ لا تـرى قُلَـلَ الحمـى ولا جبـلَ الأوشـالِ إلا اسـتهلَّتِ

وقال: [1]

فليـست عـشيات الحمـى برواجـعٍ عليـكَ ولكـنْ خَـلِّ عينيـكَ تـدمعا

وقال: [2]

بكـت عينُـكَ اليـسرى فلـما زجرتَهـا عن الجهلِ بعد الحلـمِ أسـبلتا معـا

محمد بن بشير الخارجي:[3]

باتـتْ لعينـكَ عـبرةٌ وسـجومُ وثـوَتْ بقلبـكَ زفـرةٌ وهُمـومُ

مالك بن الريب: [4]

أقلِّبُ طرفي حول رحلي فلا أرى بـه مـن عيـون المؤنـسات مراعيـا

طريح بن إسماعيل الثقفي:[5]

فاستبقِ عينَك لا يـودي البكـاءُ بهـا واكفـفْ بـوادِرَ دمـعٍ منـكَ تـستبقُ

كثير عزة :[6]

فطـوراً أكُـرُّ الطَـرْفَ نحـو تهامـةٍ وطوراً أكُرُّ الطـرْفَ كـرَّاً إلى نجـدِ

الصمة القشيري:[7]

---

(1) شعره ص 110 .

(2)شعره ص 107.

(3) شعره ص 122.

(4)شعره ، ضمن أشعار اللصوص ص 297.

(5) شعره، ص98.

(6) ديوانه ص129.

(7) شعره ص 118.

نظرتُ وطَرْفُ العينِ يتَّبعُ الهوى بشرقيٍّ بُصْرى نظرةَ المتطاولِ

الريح: ومما يثير الشوق والحنين الريح وهبوبها ونسائمها

يقول يزيد بن لطثرية:[1]

ألا يا صبا نجدٍ متى هجْتِ من نجدِ فهَيَّجَ لي مسراكِ وجداً على وجدِ

عبيد الله بن الحر:[2]

ستعلمُ إنْ مالتْ بي الريحُ ميلةً عليكَ غداً أني أوإياك أجزع

هدبة بن الخشرم[3]

ألا ليتَ الرياحُ مسخَّراتٌ بحاجتنا تُباكرُ أو تؤوبُ
فتُخبرنا الشمالُ إذا أتتنا وتُخبِرُ أهلَنا عنَّا الجنوبُ

جميل بثينة[4]

أيا ريح الشمالِ أما تريني أهيمُ وأنني بادي النحولِ
هَبي لي نسمةً من ريحِ بَثْنٍ ومُنِّي بالهُبوبِ على جميلِ

الصمة القشيري:[5]

إذا ما أتتنا الريحُ من نحو أرضكم أتتنا بريَّاكم فطابَ هبُوبُها

(1) شعره، ص68.

(2) شعره، ص107

(3) شعره ص 57.

(4) ديوانه ص 192.

(5) شعره ص 31.

الأحوص الأنصاري:[1]

أصاحِ ألم تحزنكَ ريحٌ مريضةٌ ... وبرْقٌ تلالا بالعقيقينِ لامعُ
فإنَّ الغريبَ الدارِ ممَّا يشوقُهُ ... نسيمُ الرياحِ والبروقُ اللوامعُ

البرق: ومما يثير الشوق والشجن ويذكر بالأهل والأوطان برق السماء.

يقول جميل بثينة:[2]

وليلة بتنا بالجنينةِ هاجني ... سنا بارقٍ من نحو أرضكِ يلمعُ

السمهري العكلي:[3]

أعِنِّي على برقٍ أريكَ وميضُهُ ... يشوقُ إذا استوضحتَ برقاً عنانيا
ارِقتُ له والبرقُ دونَ طَمِيَّةٍ ... وذي نُجُبٍ ما بعدَهُ من مكانيا

الصمة القشيري:[4]

وحنَّتْ قَلوصي آخرَ الليلِ حنَّةً ... فيا روعةً ما راعَ قلبي حنينُها
حَنَتْ في تنائيها وشُبَّ لعينها ... سنا بارقٍ وهْناً فجُنَّ جُنُونُها

العرجي:[5]

أرِقْتُ بسَلْعٍ إنَّ ذا الشوقِ يأرَقُ ... لبَرْقٍ تبَدَّى آخرَ الليلِ يخفقُ
أشيمُ سناهُ من بعيدٍ وربَّما ... تُشامُ البُروقُ من بعيدٍ فتَصْدُقُ
فما ذِقْتُ من نومٍ وما زال عاملاً ... إلى الصُّبْحِ ذاكَ البارِقُ المتألِّقُ

---

(1) ديوانه ص 184.
(2) ديوانه ص 44
(3) ديوانه ص 150
(4) شعره ص135
(5) ديوانه ص 274

نجوم السماء

مالك بن الريب: [1]

أقـولُ لأصـحابي ارفعـوني فإنـه ... يقَـرُّ بعينـي أنْ سُـهَيلٌ بـدا ليـا

المتوكل الليثي: [2]

أُراعـي الثاليـاتِ مـن الثُرَيَّـا ... ودمْـعُ العـينِ مُنْحَـدِرٌ سِـجاما

قيس لبنى: [3]

وتجمعنـا الأرضُ القـرارُ وفوقنـا ... سـماءٌ نـرى فيهـا النجـومَ تجـول

الأحوص: [4]

أراقـبُ الـنجمَ كـالحيرانِ مرتَقِبـاً ... وقَلَّصَ النومُ عـن عَيْنَـيَّ فانْشَمرا

الشمردل اليربوعي: [5]

أرعى الثريَّـا تقـودُ الثاليـاتِ معـاً ... كـما تتـابعَ خلـفَ الموكـبِ الرَّفَـقُ

معارضـاتٍ سُـهيلاً وهـو مُعْـتَرِضٌ ... كأنَّـهُ شـاةُ رَمْـلٍ مُفْـرَدٍ لَهِـقُ

الحمام: كثر ما يهيج الشوق ويبعث الحنين صوت الحمام:

يقول أبو دهبل الجمحي [6]

وأرَّقنـي بـالريِّ نَـوْحُ حمامـةٍ ... فنحـتُ وذو البَـثِّ الغريـبِ ينـوحُ

ألا يـا حمـامَ الأيـكِ إلْفُـكَ حـاضرٌ ... وغُصْنُكَ ميَّـادٌ ففـيمَ تنـوحُ

---

(1) شعره ضمن أشعار اللصوص ص 294

(2) شعره ص113

(3) ديوانه ص 140.

(4) ديوانه ص 162

(5) شعره ص 196.

(6) ديوانه ص 75 .

العرجي[1]

ومما يهيجُ القلبَ يا صاحِ نحوَها ... إذا باكرَ الأيكَ الحمامُ السواجعُ

المتوكل الليثي[2]

طَرِبْتُ وشاقَني يا أُمَّ بَكْرٍ ... دُعاءُ حمامةٍ تدعو حَماما

جحدر بن معاوية[3]

ألا قد هاجني فازددتُ شوقاً ... بُكاءُ حمامتينِ تجاوبانِ

يزيد بن الطثرية: [4]

تذكرتُ ليلى أنْ تغنَّتْ حمامةٌ ... وأنّى بليلى والفؤادُ قريحُ

جميل بثينة: [5]

أيبكي حمامُ الأيكِ من فَقْدِ إلفهِ ... وأصبر ! ما بي عن بثينة من صَبْرِ

الشمردل اليربوعي: [6]

وهاتفةٍ فوقَ الغصونِ تفَجَّعَتْ ... لفَقْدِ حمامٍ أفردَتْها حبائلُهْ

من الوُرْقِ بالأصيافِ نوّاحَةُ الضُّحى ... إذا الغرقدُ التفَّتْ عليهِ غياطِلُهْ

جميل بثينة: [7]

ويومَ وردنا قُرْحَ هاجَتْ ليَ البُكا ... من الوُرْقِ حَمَّاءُ العِلاطَينِ تصْدَحُ

---

(1) ديوانه ص 259.

(2) شعره ص 111 .

(3) شعره ص 182.

(4) شعره ص 28.

(5) ديوانه 102

(6) شعره ص 542.

(7) ديوانه ص 44.

مجنون ليلى[1]

ألا ليتنـــا كنـــا حمـــامَي مفـــازةٍ نطـــيرُ ونـــأوي بالعـــشيِّ إلى الـــوَكْرِ

وشعراء آخرون هاج الحمام حنينهم فذرفوا الدمع الغزير شوقاً وحنيناً ،قال شقيق بن السليك الأسدي:[2]

وقد هَيَّجتْ شوقي حمامةُ أيكةٍ تنادي حماماً فاستباحتْ حِمَى وَجْدي
فقلتُ تعالي نبْكِ من ذِكْرِ ما مضى فنذْكُرُ منه ما نُسِرُّ وما نُبْدي
فإنْ تُسْعديني نبكِ عَبْرَتَنا معاً وإلاَّ فإنِّي سوفَ أسفَحُها وَحْدي

ويقول شاعر آخر إن الحمام يهيج الأشجان، فيألم السامع العاشق وهو لا يتألم، ويثير البكاء وهو لا يبكي[3]

حمـائمُ لم تَهْـتَجْ وهـيَّجْنَ ذا هـوى بتَنْواحِهـا بـينَ الغُـصونِ النـواضِرِ
تُبَكِّي ومـا تبكي ولكنْ هُـتُوفُها يَهَـيِّجُ لوعـاتِ القلـوبِ الزوافِـرِ

والشعر الذي قيل في الحمام وما يهيج من لوعة وحنين كثير في كل العصور ، وجاء بعض منه في تضاعيف هذا الكتاب.

الإبل: وكانت الإبل شريكة الإنسان في حله وترحاله ، تحن كالإنسان إلى الرفقة والوطن، وكثيراً ما تهيج عواطف صاحبها وتشاركه ويشاركها الهموم ولوعة الفراق.

يقول الأحوص يحدث نفسه:[4]

فأنـــتَ إلى ســـلمى تحـــنُّ صَـــبابَةً كما حَنَّ أُلأَفُ المَطِيِّ السَّواجِرُ

---

(1) ديوانه ص164.

(2) الزهرة 1/ 239 – 240.

(3) ابن المرزبان : الحنين إلى الأوطان ص74 – 75.

(4) ديوانه ص 114.

الفرزدق[1]

وليلـةَ بِتْنـا ديـرَ حـسَّانَ نَبَّهَـتْ ... هُجوداً وعِيَـساً كالحَـسِيَّاتِ ضُـمَّرا
بكَـتْ نـاقتي لـيلاً فهـاجَ بكاؤهـا ... فُؤاداً إلى أهـلِ الوريعـةِ أصـوَرا
تـرومُ عـلى نُعْـمانَ في الفَجْـرِ نـاقتي ... وإنْ هي حَنَّتْ كنتُ بالشوقِ أعْـذَرا

الصمة القشيري:[2]

ووجدي بطَيًّا وجْـدُ بِكْـرٍ غريـرةٍ ... عـلى والـديها فارقاهـا فجُنَّـتِ
ووجدي بطَيًّا وجْـدُ هـيماءَ حُلِّـئتْ ... عن الماءِ كانـتْ منـذُ خمـسينَ ضـلَّت

مالك بن الريب:[3]

وهل أتركُ العِيْسَ العـواليَ بالـضُّحى ... بِرُكْبانهـا تعلـو المِتـانَ الفيافيـا
وعَرِّ قَلـوصي في الركـابِ فإنَّهـا ... سـتَفْلِقُ أكبـاداً وتُبكـي بواكيـا

ويذكر الصمة القشيري ناقته وحنينها ويعني نفسه ومعاناته، وهـذه الأبيـات مـن أروع صور الشوق والحنين في سياق حوار الشاعر وناقته:[4]

وحَنَّتْ قَلـوصي آخـرَ الليـلِ حَنَّةً ... فيـا روعـةً مـا راعَ قلبـي حنينُهـا
حَـنَتْ في تنائيها وشـبَّ لعينِهـا ... سَـنا بـارقٍ وَهْنـاً فجُـنَّ جُنونُهـا
فقلتُ لهـا صـبراً فكـلُّ قرينـةٍ ... مُفارِقُهـا ـــ لابـدَّ يومـاً ـــ قرينُهـا
فـما بَرِحـتْ حتـى ارعوينـا لـصوتها ... وحتى انبرى مِنَّـا مُعـينٌ يُعينُهـا
تحِـنُّ إلى أهـلِ الحجـازِ صَـبابةً ... وقد بُـتَّ مـن أهـلِ الحجـازِ قرينُهـا
فيا ربَّ أطلِـقْ قيـدَها وجَريْرَهـا ... فقـد راعَ أهــلَ المسجدينِ حنينُهـا
فقلـتُ لهـا: حِنِّـي رُوَيْـداً فـإنَّني ... وإيَّـاكِ نُبْـدي عَـولـةً سـنُبينُها

---

(1) ديوانه ص 345، ط دار صادر
(2) شعره ص 68.
(3) شعره ص 296 - 297.
(4) شعره ص135.

النخلة والحنين إلى الوطن

كان للنخلة في عواطف الشعراء و شعرهم مكاناً متميزاً وحنيناً يذكِّر بالأهل والوطن والخِصْب والخير، وقد ذكرها شعراء كُثْر، نذكر بعض ما تيسر من شعرهم ، ولأهمية هذه الشجرة عند العرب وما تثيره من عواطف تذكِّر الغرباء بأوطانهم، ولذلك سنقف عندها وقفة تبين أهميتها في إثارة الشوق والحنين إلى الوطن، وقبل البدء بذكر الشعر الذي فيه ذكر النخلة وما تهيجه من ذكرى وشوق وحنين نقف وقفة عند النخلة ومكانتها في ذاكرة التاريخ:

للنخلة شَبَه بالإنسان فهي كائن حي ذكر وأنثى ، وتتزاوج باللقاح ، وتتم عملية الإخصاب في فصل الربيع ، ويسمي أهل حرَّان الوثنيين الشهر الذي يلقح فيه النخل بشهر (البَلَح) ، وفيه يحتفلون بزواج الأرباب والربَّات ، وقد عرفت هذه الاحتفالات في الجزيرة العربية [1].

والنخلة تشبه الإنسان فلها جذع منتصب كالإنسان، ومنها الذكر والأنثى، ولا تثمر إلا إذا لُقِّحَتْ ، وإذا قُطع رأسُها ماتت ، وإذا تعرَّض قلبها لصدمة قوية هلكت، والنخلة مغشاة بالليف الشبيه بشعر جسم الإنسان [2] ، وكان العرب يعتقدون أن روح (العُزَّى) حلَّت في ثلاث سَمُرات ببطن نخلة ، وكانوا يتقربون إليها بالقرابين والنذور. والنخلة من أقدم أنواع الشجر الذي عرفه الإنسان، وذُكرت في شريعة حمورابي، وفرضت عقوبة على من يقطع شجرة النخل، وعُرفت عند الفينيقيين بشجرة الحياة.

---

(1) فريزر: الغصن الذهبي 1/ 398 ، ترجمة أحمد أبو زيد وآخرين، ط مصر 1971)

(2) ابن وحشية: كتاب النخل ص 70،تحقيق إبراهيم السامرائي، مجلة المورد، بغداد) 1971.

القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ص 231، ط الحلبي، مصر 1956.

ووحدوا بينها وبين آلهة الإخصاب والتعشير (عشتروت) أو (عشتار) واعتبرت شجرة الميلاد وشجرة العائلة عند شعوب غرب آسيا ، وفي مصر وبابل وفينيقيا والجزيرة العربية.[1]

وقد أضفى القدماء على النخلة القدسية ، ولذلك كانوا يضعون السعف على القبور، وارتبط هذا التقديس بولادة بعض الأنبياء تحت الشجرة من ذلك أن مريم العذراء ولدت السيد المسيح تحت جذع النخلة [2] ، وفي التوراة أن جدران هيكل سليمان منقوش بتماثيل النخيل، ومن طقوس بني إسرائيل في عيد (العرازيل) أنهم يأخذون سعفاً طرياً فيسجدون له ويحملونه عند تلاوة صلاة العيد، وسموا فتيانهم (تمارا) أي التمر، تفاؤلاً بالجمال وتيمناً بالإنجاب والخصوبة ، ويحرص النصارى على تزيين جدران معابدهم بسعف النخيل، ويحملون سعف النخيل في عيد (الشعانين)[3] ، وقدست بعض القبائل العربية مثل جهينة وحنيفة في الجاهلية النخلة وصنعوا من تمرها صنماً ، وحين أصابتهم المجاعة اضطروا إلى أكله ، وقد عيرهم بذلك الشعراء فقالوا: [4]

أكلت جُهينةُ ربَّها زمنَ التَّقَحُّمِ والمجاعة

وقال آخر:

أكلتْ ربَّها حنيفةُ من جُو عٍ قديمٍ بها ومن إعوازِ

وتُشَبَّهُ النخلة بالمرأة الحسناء، وكثر في الشعر الجاهلي تشبيه الظعائن بالنخيل ، من ذلك قول أبي دواد الإيادي: [5]

---

1) أنور أبو سويلم: مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي ص 51، والصفحات التالية، ط دار عمار، عمان 1991، شوقي عبد الحكيم : مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية، ص 59، بيروت 1978.

2) سورة مريم آية 23.

3) أبو سويلم ص 53، توفيق الفكيكي: شجرة العذراء ص 30.

4) الآلوسي: بلوغ الأرب 2/ 227.

5) الأصمعيات ص 186.

وتراهـــنَّ في الهـوادجِ كالغِـــزْ ... لانِ مـــا إنْ ينـــاهُنَّ الـــسَّهامُ
نخـلاتٌ مـن نخـلِ بيـسان أينَعْـــ ... ـــنَ جميعـاً ونبْـتُهنَّ تُـــؤامُ

ويقول لبيد: (1)

فكـأنَّ ظُعْـنَ الحـيِّ لَـمَّا أشرفَـتْ ... بـالآلِ وارتفعَـتْ بهـنَّ حُـزومُ
نخـلٌ كـوارعُ في خليـجٍ مُحْلِـمٍ ... حمَلَـتْ فمنهـا مُوقَـرٌ مكمـومُ
سُـحُقٌ يُمَتِّعُهـا الـصَّفا وسريُّـــهُ ... عُـمٌّ نـواعمُ بينهنَّ كُـرومُ

وشبهوا شَعَر المرأة الكثيف بعذق النخلة المتداخل، يقول امرؤ القيس:

وفـرعٍ يُغَـشِّي المـتنَ أسـودَ فـاحمٍ ... أثيـثٍ كقِنْـوِ النخلـةِ المتعَثْكـلِ

وأعجبوا بطعم البلح ورائحته، فشبهوا ريق الحبيبة بنكهة البلح، يقول الأعشى (2)

أيـام تجلـو لنـا عـن بـاردٍ رتـلٍ ... تخـالُ نكهتَـهُ بالليـلِ سُـيَّابا

وصور النخلة في الشعر العربي كثيرة أكثر من أن يُحاط بها.

ويهمنا هنا رمز النخلة إلى الوطن، وما رأى المغتربون فيها صورة الوطن فحنوا إليه واشتاقوا إلى نخل أوطانهم وبيئاتهم ومواطن صباهم، وحين يرى الغريب النخلة يرى فيها امرأة تشاركه الغربة والحنين فتهيج أشواقه حنيناً إلى الأهل والأوطان، فهذا الشاعر عبد الله بن كعب العميري يتشوَّق إلى نخلتي بلده مُرَّان: (3)

أيـا نخلَتـي مُـرَّانَ هـل لي إلـيكما ... عـلى غَفَـلاتِ الكاشـحينَ سـبيلُ
أُمَنـيكُما نفـسي إذا كنـتُ خاليـاً ... ونفـسُكما إلا العنـاء قليـلُ

(1) ديوانه ص 120.

(2) ديوانه ص 411، الرتل: مستوي الأسنان حسن التنضيد، والسياب: البلح.

(3) ابن المرزبان: الحنين إلى الأوطان، ص96، أمالي القالي 2/ 128-129، معجم البلدان: مُرَّان.

وما لي شيءٌ منكما غيرَ أنني أُمَنّي الصَّدى ظِلَّيكُما فأُطيلُ

ويقول الأُحيمر السعدي متشوقاً إلى الأهل والوطن ويخص نخلات كرمان و الكرخ بالخير والسقيا.[1]

أيا نَخَلاتِ الكَرْمِ لا زالَ رائحاً عليكُنَّ مُنْهَلٌ الغَمامِ مطيرُ
سُقيتُنَّ ما دامتْ بكَرْمانَ نخلةٌ عوامرَ تجري بينَهنَّ بُحورُ
سُقيتُنَّ ما دامت بنَجْدٍ وشيجةٌ ولا زالَ يسعى بينكُنَّ غديرُ
ألا حبَّذا الماءُ الذي قابلَ الحِمى ومُرتَبَعٌ من أهلِنا ومصيرُ
وأيامُنا بالمالكيَّةِ إنَّني هُنَّ على العهدِ القديمِ ذَكُورُ
ويا نَخلاتِ الكرْخِ لا زال ماطرٌ عليكنَّ مُسْتَنُّ السَّحَابِ دَرُورُ
وما زالت الأيامُ حتى رأيْتُني بدَوْرَقَ مُلْقىً بينَهُنَّ أدورُ[2]
لقد كنتُ ذا قُربٍ فأصبحتُ نازحاً بكرمانَ مُلْقىً بينَهُنَّ أدورُ

ومن أروع نفثات الحنين ما قاله عبد الرحمن الداخل[3] حين سقطت دولة الأمويين وهرب إلى الأندلس وأنشأ هناك الدولة الأموية، وقد بنى قصراً بالرصافة على نسق رصافة الشام، وكان في حديقته نخلة فريدة تذكره بغربته وتهيج أشجانه فقال يخاطبها:[4]

تبدَّتْ لنا وسطَ الرُّصافةِ نخلةٌ تناءتْ بأرضِ الغرْبِ عن بلَدِ النَّخْلِ
فقلتُ شبيهي في التَّغرُّبِ والنَّوى وطولِ التَّنائي عن بنيَّ وعن أهلي
نشأتِ بأرضٍ أنتِ فيها غريبةٌ فمثْلُكِ في الإقْصاءِ والمُنْتأى مِثْلي
سقَتْكِ غوادي المُزْنِ من صوبِها الذي يسِحُّ ويستمري السَّماكَينِ بالوَبْلِ

(1) ديوان اللصوص 1/ 58 ــ 59، جمع محمد نبيل طريفي، ط دار الكتب العلمية، بيروت 2004، معجم البلدان: كرمان.

(2) دورق: بلد بخوزستان. معجم البلدان: دورق .

(3) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان.

(4) المقّري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب 2/ 716، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1968، معجم البلدان: الرصافة.

وكان كثير الشوق والحنين إلى وطنه الشام وأهله، فكتب إلى أخته بالشام يبثها أشواقه وحنينه:[1]

أيها الراكبُ المُيَمِّمُ أرضي ... إقْرِ بعضَ السلامِ عني لبعضِ
إنَّ جسمي كما تراهُ بأرضٍ ... وفؤادي ومالكيهِ بأرضِ
قُدِّرَ البينُ بيننا فافترقْنا ... وطوى البينُ عن جفوني غَمْضي
قد قضى اللهُ بالفِراقِ علينا ... فعَسَى باجتماعِنا سوفَ يَقْضِي

وتنسب لعبد الرحمن الداخل أبيات أخرى.[2]

يا نخلُ أنتِ فريدةٌ مثلي ... في الأرضِ نائيةٌ عن الأهلِ
تبكي وهل تبكي مُكَمَّمَةٌ ... عجماءُ لم تُجْبَلْ على جَبْلي
ولو أنها عَقِلَتْ إذاً لَبَكَتْ ... ماءَ الفُراتِ ومَنْبِتَ النَّخْلِ
لكِنَّها حُرِمَتْ وأخرَجني ... بُغْضي بني العبَّاسِ عن أهلي

ونخلتا حلوان[3] مشهورتان وقد ذكرهما غير شاعر ونفَّس عن همومه بذكرهما والشوق إليهما ، وأول من ذكر نخلتي حلوان مطيع بن إياس وكان مع سَلَم بن قُتيبة بالري،قال أبو الفرج: «فلما خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب على العباسيين، كتب إليه المنصور يأمره باستخلاف رجل على عمله والقدوم عليه في خاصته على البريد، قال مطيع: وكانت لي جارية يقال لها جودانة كنتُ أحبها، فأمرني سَلَم بالخروج معه، فاضطررت إلى بيع الجارية، فبعتُها، وندمت على ذلك بعد خروجي،

(1)المقَّري 2/ 707 .

(2) تنسب الأبيات أيضاً إلى ابن عمه والي إشبيلية في مخاطبة نخلة فريدة في حديقة بأشبيلية فذكرته بغربته وحنينه إلى وطنه: المقَّري 2/ 718 .

(3) حلوان:مدينة في العراق وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد. ياقوت: حلوان.

وتمنيت أنْ أكون أقمتُ وتتبَّعْتُها نفسي ، ونزلنا حلوان، فجلستُ على العقبة أنتظر ثَقَلي وعِنانُ دابَّتي في يدي ، وأنا مستند إلى نخلة على العقبة وإلى جانبها نخلة أخرى ، فتذكرت الجارية واشتقْتُها ، وقلت»:[1]

أسعداني يا نخلتي حُلواني ... وابكيا لي من رَيْبِ هذا الزمانِ
واعلما أنَّ ريبَهُ لم يزلْ يَفْـ ... ـرُقُ بينَ الأُلاَّفِ والجيرانِ
ولَعَمْري لو ذُقْتُما ألمَ الفُرْـ ... ـقَةِ أبكاكما الذي أبكاني
أسعِداني وأيقِنا أنَّ نَحْساً ... سوفَ يلقاكُما فتفْتَرِقانِ
كم رمتْني صروفُ هذي الليالي ... بفراقِ الأحبابِ والخلاَّنِ
غير أني لم تلقَ نفسي كما لا ... قَيْتُ من فُرقةِ ابنةِ الدُهْقانِ
جارةٍ لي بالرَّيِّ تُذْهِبُ هَمِّي ... ويُسَلِّي دُنُوُّها أحزاني
فجعتني الأيامُ أغبطَ ما كُنْـ ... ـتُ بصَدْعٍ للبَيْنِ غيرَ مُدانِ
ويرغْمي أنْ أصبحتْ لا تراها الـ ... ـعينُ منِّي وأصبحتْ لا تراني
إنْ تكُنْ ودَّعَتْ فقد تركَتْ بي ... لَهَباً في الضميرِ ليس بوانِ
كحريقِ الضِّرامِ في قَصَبِ الغا ... بِ زَفَتْهُ رِيحانِ تختلفانِ
فعليكِ السلامُ منِّي ما سَا ... غَ سلاماً عقلي وفاضَ لساني

وبقيت نخلتا حلوان في ذاكرة التاريخ ، وبقيت أبيات مطيع بن إياس تحمي هاتين النخلتين كلما أُريدَ قطعهما، ومن ذلك ما روي أن المنصور اجتاز بنخلتي حلوان وكانت إحداهما على الطريق ،وكانت تُضَيِّقُه وتزدحم الأثقال عليه، فأمر بقطعها ، فأُنْشِد قول مطيع:[2]

واعلما إنْ بقيتما أنَّ نَحْساً ... سوف يلقاكما فتفترقانِ

(1) الأغاني 13/ 355 ــ 357،وانظر معجم البلدان 2/ 292 حلوان،ومعجم الشعراء ص 480.

(2) الأغاني 13/ 359، معجم البلدان: حلوان.

فقال: لا والله ، لا كنتُ ذلك النحس الذي يفرق بينهما ، فانصرف وتركهما.

وقيل إن المهدي قال: أكثرَ الشعراءُ في ذكر نخلتي حُلوان ، ولهَمَمْتُ بقطعهما ، فبلغ قولي المنصور فكتب إليَّ: بلغني أنك هممت بقطع نخلتي حلوان ، ولا فائدة لك في قطعهما، ولا ضرر عليك في بقائهما ، وأنا أعيذك بالله أن تكون النحس الذي يلقاهما فيفرق بينهما، يريد بيت مطيع:

واعلما إن بقيتما أنَّ نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

وتستمر قصة النخلتين في حياة المهدي، فقد خرج وبلغ عقبة حُلوان ، فاستطاب المكان وتغدى، ودعا بحَسْنةَ المغنية فقال لها: أما تَرَين طيبَ هذا الموضع ؟ غنيني بحياتي حتى أشرب ها هنا أقداحاً ، فأخذت مِحَكَّة كانت في يده ، وأوقعت على مِخَدَّة وغنته: [1]

أيا نخلتي وادي بُوَانةَ حبَّذا إذا نامَ حُرَّاسُ النخيلِ جَنَاكما [2]

وحُسْناكما زادا على كلِّ بهجةٍ وزادَ على طِيْبِ الغِناءِ غِناكما

فقال المهدي: أحسنتِ ، ولقد هممتُ بقطعِ هاتين النخلتين - يعني نخلتي حلوان- فمنعني منهما هذا الصوت، وقالت له حسنة: أعيذك الله يا أمير المؤمنين أن تكون النَّحسَ المفَرِّقَ بينهما ، فقال لها: وما ذاك ؟ فأنشدته أبيات مطيع بن إياس ، فلما بلغت قوله:

أسعداني وأيقنا أنَّ نَحْساً سوف يلقاكما فتفترقانِ

قال: أحسنتِ والله فيما قلتِ ، إذ نبَّهْتِني على هذا ، والله لا أقطعهما أبداً ، ولأوكِلَنَّ بهما من يحفظهما ما حييتُ، ثم أمرَ بأنْ يُفعَلَ ذلك ، فلم يزل في حياته على ما رسمه إلى أن مات.[3]

---

(1) الأغاني 13/ 358، معجم البلدان:حلوان ، والبيت مع ثان لوضاح اليمن في ديوانه ص88، جمع محمد خير البقاعي، ط دار صادر 1996.

(2) بوانة: من مياه بني عقيل، وقيل هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر.

(3) الأغاني 13/ 358 - 359، معجم البلدان: حلوان 2/ 392 ـــ 393.

ويبدو أن واحدة من نخلتي حلوان قد قُتِلت فقُطِع من رأسها واستُخْرِج قلبُها، وذلك حين خرج الرشيد إلى طوس[1] هاج به الدم بحُلوان ، فأشار عليه الطبيب أن يأكل جُمَّاراً[2]، فأحضر دهقان حلوان وطلب منه جُمَّاراً ، فأعلمه أن بلده ليس بها نخل، ولكن على العقبة نخلتان ، فمُرْ بقطع إحداهما، فقُطِعتْ، فأُتي الرشيد بجُمَّارتها ، فأكل منها وراح[3] فلما انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة ،والأخرى قائمة ، وإذا على القائمة مكتوب: [4]

أسعداني يا نخلتي حُلوانِ وابكيا لي من ريبِ هذا الزمانِ
أسعداني وأيقنا أنَّ نحساً سوفَ يلقاكما فتفترقانِ

فاغتمَّ الرشيد، وقال: يعزُّ عليَّ أن أكون نَحَسْتُكما ، ولو كنتُ سمعتُ بهذا الشعر ما قطعتُ هذه النخلة ولو قتلني الدم.[5] وصارت النخلتان رمزَ الحنين والألفة ،وكثر من يردد الأبيات التي شاعت في النخلتين ويتغنى بها، وصارت النخلتان حديث الشعراء، يعارضون أبيات مطيع بن إياس في نخلتي حلوان، من ذلك أن حمَّاد عجرد مرَّ بقصر شيرين[6] فاستظلَّ من الحرِّ بين سِدْرتين[7]، كانتا بإزاء القصر، وسمع إنساناً يغنِّي:

أسعداني يا نخلتي حلوانِ وأرثيا لي من ريب هذا الزمانِ

---

(1) طوس: مدينة بخراسان فُتحت في أيام عثمان بن عفان، وبها قبر علي بن موسى الرضا ، وقبر هارون الرشيد.معجم البلدان: طوس 4/ 49.

(2) الجمار: شحم النخل.

(3) راح: نشط وارتاح.

(4)الأغاني 3/ 358 .

(5) معجم البلدان: حلوان 2/ 293.

(6) قصر شيرين:موضع قريب من قرميسين بين همذان وحُلوان في طريق بغداد إلى همذان،وفيه أبنية عظيمة شاهقة. معجم البلدان 4/ 358.

(7) السدر: شجرة النبق، واحدته سدرة.

جعلَ اللهُ سِدرتَيْ قصرِ شيريـ ـنَ فداءً لنخلتي حلوانِ
جئتُ مُسْتَسْعِداً فلم يُسْعِداني ومُطيعٌ بكتْ له النخلتانِ

فقال حماد عجرد:[1]

جعل الله سِدْرَتي قصرِ شيريـ ـنَ فداءً لنخلتي حلوانِ
جئتُ مُسْتَسعِداً فلم يُسعِدَانِ ومطيعٌ بَكَتْ له النخلتانِ

وشاعر آخر يذكر نخلتي حُلوان ويتأسى بالشاعر مطيع بن إياس فيقول:[2]

أيها العاذلان لا تعذلاني ودعاني من الملام دعاني
وابكيا لي فإني مستحقٌّ منكما بالبكاء أن تسعداني
إنني منكما بذلك أولى من مطيعٍ بنخلتي حلوانِ
فهما تجهلان ما كان يشكو من هواهُ وأنتما تعلمانِ

ويلتمس أحمد بن إبراهيم الكاتب العبرة في الفراق من النخلتين فيقول:[3]

فكذاك الزمانُ ليس وإنْ ألـ ـفَ يبقى عليهِ مؤتلفانِ
سلبَتْ كفُّهُ الغَريَّ أخاهُ ثمَّ ثَنَّى بنَخْلَتي حُلوانِ[4]
فكأنَّ الغَريَّ قد كان فرداً وكأنْ لم تجاوِرِ النخلتانِ

وفي حُلوان مصر نخيل عامرة موقرة بالتمر، وحلوان كما يصفها ياقوت: «قرية من قرى مصر بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل، وكان قد وقع بمصر طاعون سنة 70 هـ، ووليها عبد العزيز بن مروان، فخرج هارباً من

(1) الأغاني 14/ 358 ـ 359، 13/ 360، معجم البلدان: حلوان 2/ 293.
(2) الأغاني 13/ 360، معجم البلدان 2/ 293.
(3) الأغاني 13/ 360، معجم البلدان 2/ 293.
(4) في معجم البلدان: العزيز، والغريُّ: واحد الغريين، وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب. معجم البلدان 4/ 196.

مصر ، فلما وصل حلوان هذه استحسن موضعها ، فبنى بها دوراً وقصوراً واستوطنها ، وزرع بها بساتين وغرس كروماً ونخلاً، فلذلك يقول عبيد الله بن قيس الرقيات يصف تمر هذه النخيل: [1]

سقياً لحُلوانَ ذي الكروم وما ... صنِّفَ من تينهِ ومن عنَبِهْ
نخلٌ مواخيرُ بالفِناءِ من الـ ... ـبرنيِّ يهتز ثَمَّ في سَرَبِهْ [2]
أسودُ سُكَّانُه الحمامُ فما ... تنفكُّ غِربانُهُ على رُطَبِهْ

وكانت بَيْسان إحدى مدن الأردن بالغور الشامي، وهي بين حوران وفلسطين توصف بكثرة النخل[3]، ذكر نخلها المثمر،وعين موضعها أبو دواد الإيادي في سياق تشبيه الظعائن بالنخل: [4]

وتراهُنَّ في الهوادجِ كالغِزْ ... لانِ ما إنْ يناهُنَّ السَّهامُ
نخلاتٌ من نَخْلِ بَيْسانَ أينَعْـ ... ـنَ جميعاً ونَبْتُهُنَّ تُؤامُ
وتدَلَّتْ على مناهِلِ بُرْدٍ ... وفُلَيْجٌ من دونها وسَنام

وبعد فإن مهيجات الحنين والأشواق كثيرة في ما حول الشعراء من طبيعة ساكنة أو متحركة، وللنخلة أثر شديد في إثارة أشجان الغريب وتذكر الأوطان والحنين إليها.

---

(1) معجم البلدان:حلوان 2/ 294، ديوان ابن الرقيات ص 13، تحقيق محمد يوسف نجم، ط دار صادر، بيروت د.ت.

(2) في الديوان:البرني غُلبٌ يهتز في سَرَبه. البرني ضرب من التمر أصفر مدور، واحدته برنية.

(3) وموضع بأرض اليمامة ، وبيسان أيضاً من قرى مرو الشاهجان ،وبين البصرة وواسط كورة واسعة كثيرة النخل والقرى يقال لها ميسان بالميم. ياقوت: بيسان 1/ 527.

(4) ياقوت: بيسان 1/ 527 ـــ 528 ، الأصمعيات ص 186.

الحنين إلى نجد في الشعر العربي

تحتل نجد مكانة كبيرة في الشعر العربي في مختلف العصور، فقد تغنى بها الشعراء وحنوا إليها، وذكروا مرابعها ، سواء من عاش بنجد أو من كان بعيداً عنها ، فقد ظلت نجد ملهمة للشعراء يتغنون بها وصارت رمزاً للشوق والحنين إلى الأرض والوطن. وقد اشتهر من الشعراء الذين تغنوا بنجد من القدماء، الصمة بن عبد الله القشيري ، ويزيد بن الطثرية، وقد أثر هذان في شعر من جاء بعدهما وخاصة الأبيوردي ثم الطغرائي[1]، ونذكر ما جاء من شعر قاله الشعراء في الحنين إلى نجد مما تيسر لنا الوقوف عليه:

الصمة القشيري

ذكر الصمة القشيري المتوفى في حدود سنة 95 هـ ، نجداً وحن إليها وتغزل بحسانها في شعر رقيق جميل، أجاد فيه وأبدع فيه ، نختار منه هذه الإضمامة الرائعة [2] قال:[3]

خليليَّ إن قابلتما الهضبَ أو بدا ... لكم سندُ الودكاءِ أنْ تبكيا جَهْدا
سلا عبدَ الاعلى حيث أوقَى عشيةً ... خُزازى ومدَّ الطرفَ هل آنسَ النجدا
فما من قِلىً للنجدِ أصبحتُ هاهنا ... إلى جبلِ الأوشالِ مُسْتَخبياً بَرْدا
ولكنَّ حاجاتِ الفتى قُذُفٌ بهِ ... إذا لم يجدْ من أنْ يُطالبَها بُدَّا
دعونيَ من نجدٍ فإنَّ سِنِيْنَهُ ... لَعِبْنَ بنا شِيْباً وشَيَّبْنَنا مُرْدا

---

(1)ينظر: نجد في الشعر العربي: محمد الحمدان ، ضمن بحوث مؤتمر الأدباء السعوديين الأول 5/ 1833.

(2)الصمة بن عبد الله القشيري حياته وشعره ، جمع وتحقيق خالد الجبر ، منشورات جامعة البتراء2003، واعتمدنا في هذه المختارات على مجموع شعره المذكور، ونشير إليه باسم: الديوان ، وكان الشيخ حمد الجاسر قد جمع شعر الصمة القشيري ونشره في مجلة العرب الجزء الأول السنة الأولى 1966، والسنة الثانية 1967، وقد أفاد صاحب الديوان منه، كما أفاد غيره ممن نشر ديوان الصمة ،وينظر:شعراء بني قشير في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي ـــ عبد العزيز محمد الفيصل2/ 179، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1978م .

(3) ديوان الصمة القشيري ص77 – 80.

لحا اللهُ نجداً كيف يتركُ ذا النَّدى ... بخيلاً وحُرَّ القومِ تحسَبُهُ عبْدا
على أنَّ نجداً قد كسانيَ حُلَّةً ... إذا ما رآني جاهلٌ ظنني عبدا
سواداً وأخلاقاً من الصوفِ بعدما ... أُرَاني بنَجْدٍ ناعماً لابساً بُرْدا
ألا أيها البرقُ الذي بات يرتقي ... ويجلو دُجَى الظلماءِ أذْكرني نجدا
وهيَّجني من أذْرِعَاتَ وما أرَى ... بنَجْدٍ على ذي حاجةٍ طَرِبٍ بُعْدا
سَقَى اللهُ نجداً من رَبيْعٍ وصَيِّفٍ ... وماذا تُرَجِّي من ربيعٍ سقى نجدا
ونجْداً إذا جادتْ به رِهَمُ الحَيَا ... رأيتَ به المَكْنَانَ والنَّفَلَ الجعدا[1]
ألم ترَ أنَّ الليلَ يقصُرُ طولُهُ ... بنجدٍ ويزدادُ النطافُ به بردا[2]
بلَى إنَّهُ قد كان للعيشِ قُرَّةً ... وللبِيْضِ والفِتيانِ منزلةً حمدا
خليليَّ قوما أشرِفا القصْرَ فانظرا ... بأعيانِكُم هلْ تُؤنِسانِ لنا نجدا
وإنِّي لأخشى إنْ عَلونا عُلُوَّهُ ... فنُشْرِفَ أنْ يزدادَ ــ ويحكما ــ بُعْدا
نظَرْتُ وأصحابي بذَرْوَةَ نظرةً ... فلو لم تَفِضْ عيناىَ أبصَرتا نجدا
إذا مَرَّ رَكْبٌ مُصْعِدينَ فَلَيْتَني ... مع الرائحينَ المُصْعدينَ لهم عَبْدا
أيا رفْقَةً من آلِ بُضْرَى تحَمَّلوا ... رسالَتنا لُقِّيتِ من رُفْقةٍ رُشْدا
إذا ما وصلتُم سالمينَ فبَلِّغوا ... تحيَّةَ من قد ظَنَّ أنْ لا يرى نجدا
وقولوا لهم: ليس الضَّلالُ أجارنا ... ولكنَّنا جُزْنا لنلقاكُمُ عَمْدا
وإنَّا تركنا الحارثيَّ مُكَبَّلاً ... بكَبْلِ الهوى من ذكرِكم مُضْمِراً وَجْدا[3]

قال في الحنين إلى نجد وشوقه إليها:[4]

---

1) الرهم: جمع رهمة، المطر الخفيف الدائم الخفيف القطر. المكنان: ضرب من النبات زهرته صفراء. النفل: ضرب من النبات دقيق.

2) النطاف: قطر الماء.

3) يريد بالحارثي نفسه، والحارثية في شعره حبيبته ربَّا.

4) الديوان ص 83.

أحِنُّ إلى نجدٍ وإني ليائسٌ ... طِوالَ الليالي من رجوعٍ إلى نجدِ
فإنَّكَ لا ليلى ولا نجدَ فاعترِفْ ... بهَجْرٍ إلى يوم القيامةِ والوعْدِ

وقال الصمة يذكر نجداً وقد فارق أهله ولحق بالجند: (1)

ألا ليتَ شعري هل ابيتَنَّ ليلةً ... بسُعْدٍ ولما تخْلُ من أهلها سُعْدُ (2)
وهل أقبلَنَّ النَّجْدَ أعناقَ أينُقٍ ... وقد سالَ مَسْياً ثُمَّ صبَّحها النجْدُ
وهل أخبِطَنَّ القومَ والريحُ طَلَّةٌ ... فروعَ ألاءٍ حفَّهُ عَقِدٌ جَعْدُ
وكنتُ أرى نجداً ورَيَّا من الهوى ... فما من هوايَ اليومَ ريَّا ولا نجدُ
فدَعْنيَ من ريَّا ونجدٍ كليهما ... ولكِّنني غادٍ إذا ما غدا الجُنْدُ
أقولُ لعيَّاشٍ صَحِبْنا وجابِرٍ ... وقد حالَ دوني مَضْبُ عارِمةَ الفَرْدِ
قِفا فانظرا نحو الحِمى اليومَ نظرةً ... فإنَّ غداةَ اليومِ من عهدِهِ العَهْدُ
فلما رأينا قُلَّةَ النِّيرِ أعرَضَتْ ... لنا وجِبالَ الحَزْنِ غَيَّبَها البُعْدُ
وأعرَضَ رُكْنٌ من سِواجٍ كأنَّهُ ... لعينيكَ في آلِ الضُّحَى فَرَسٌ وَرْدُ
أصابَ جَهولَ القومِ تتْييمُ ما به ... فحنَّ ولم يملِكْهُ ذو القوَّةِ الجَلْدُ (3)

وقال الصمة القشيري في شوقه إلى نجد وأهلها: (4)

أقولُ لصاحبي والعِيسُ تَهْوِي ... بنا بينَ المُنيفَةِ والضِّمارِ
تمتَّعْ من شميمِ عَرارِ نجدٍ ... فما بعدَ العشيَّةِ من عَرارِ (5)
وبينَ قِفارها فَقِفِ المطايا ... فإنَّ العِيسَ تُحْبَسُ بالقِفارِ

---

(1) الديوان ص 86 ــ 88 .

(2) سعد قرية في ديار قشير.

(3) التتييم: ذهاب العقل.

(4) الديوان ص94 ــ 95 .

(5) العرار: نبات طيب الرائحة ، وهو النرجس البري.

ألا يـا حبَّذا نفحاتُ نجـدٍ ورَيَّـا روْضِـهِ بعـدَ القِطارِ
وأهلُـكَ إذْ يَحُـلُّ الحـيُّ نَجْـداً وأنـتَ عـلى زمانِـكَ غـيرُ زارِ
شُـهورٌ ينقَـضينَ ومـا عَلِمْنـا بأنْـصاف هُـنَّ ولا سِرارِ
تقـاصَرَ لـيلُهُنَّ فخَيْـرُ ليـلٍ وأطيبُ مـاً يكـونُ مـن النهـارِ
أيِسْتُ مـن الحيـاةِ وطـالَ حُـزْني فقلبي موجَـعٌ والـدمعُ جَـارِ

وقال متحنناً إلى نجد بعد أن ذهب مع الجند الفاتح، ويتغزل غزلاً جميلاً فيه شوق وحوار ومعاتبة، والقصيدة طويلة من جياد قصائد الغزل:[1]

أُكَرِّرُ طـرفي نحـوَ نجـدٍ وإنَّني إليـهِ وإنْ لم يُـدْرِكِ الطَّـرْفُ أنظُـرُ
حنينـاً إلى أرضٍ كـأنَّ تُرابَهـا إذا مُطِـرتْ عُـودٌ ومِـسْكٌ وعَنْـبَرُ
بـلادٌ كـأنَّ الأُقْحُـوانَ برَوْضَـةٍ ونَـوْرُ الأقـاحي وشْيُ بُـرْدٍ مُحَبَّرُ
أحِـنُّ إلى أرضِ الحِجـازِ وحـاجتي خيامٌ بنجدٍ دونَهـا الطـرْفُ يقْـصُرُ
ومـا نظري من نحو نجـدٍ بنـافعي أجَـلْ لا ولكنِّـي إلى ذاكَ أنظُـرُ
أفي كـلِّ يـومٍ نظـرةٌ ثـم عَـبْرَةٌ لعينيكَ مجرى مائهـا يتَحَـدَّرُ
متـى يـستريحُ القلـبُ إمَّـا مجـاوِرٌ بحَرْبٍ وإمَّـا نازِحٌ يتذَكَّـرُ

ومن قصيدة طويلة أولها:[2]

خليليَّ عوجـا مـنكما اليـومَ أو دَعـا نُحَـيِّ رُسـوماً بالقُبَيْبَـةِ بلقَعـا

وبعد أن يقف على الديار ويتغزل ويبكي شوقاً إلى حبيبته العامرية، يذكر نجداً وأيامه فيها وشوقه إليها:

قِفَا ودِّعَا نجداً ومَنْ حَلَّ بـالحِمى وقَـلَّ لنَجْـدٍ عنـدنا أنْ يُوَدَّعـا

---

(1) الديوان ص 102.

(2) الديوان ص 106، 110.

بنَفْسيَ تلك الأرضُ ما أطيبَ الرُّبا ... وما أحسنَ المُصْطافَ والمُتَرَبَّعا
وأذْكُرُ أيّامَ الحِمَى ثم أنثني ... على كَبِدي من خَشْيَةٍ أنْ تصَدَّعا
فليسَتْ عشِيَّاتُ الحِمَى برواجِعٍ ... عليكَ ولكنْ خَلِّ عينيكَ تدمعا
معي كلُّ غِرٍّ قد عصى عاذِلاتِهِ ... بوَصْلِ الغواني مُذْ لدُنْ أنْ تَرَعْرَعا
إذا راح يمشي في الرداءينِ أسرَعَتْ ... إليهِ العيونُ الناظراتُ التطلُّعا
وسِربٍ بَدَتْ لي فيه بِيضٌ نَواهِدٌ ... إذا سُمْتُهُنَّ الوصلَ أمسَيْنَ قُطَّعا
مشَيْنَ اطِّرادَ السيلِ هَوْناً كأنّما ... تراهُنَّ بالأقدامِ إذْ مِسْنَ ظُلَّعا
فقلتُ سقى اللهُ الحِمى دِيَمَ الحَيا ... وقُلتُ: عليكُنَّ السلامُ فلا أرى
فقُلْنَ: أراكَ اللهُ إنْ كنتَ كاذباً ... بنانَكَ من يُمْنى ذراعيكَ أقْطَعا
ولما رأيتُ النَّيرَ أعرَضَ دوننا ... وجالتْ بناتُ الشَّوقِ يَحْنِنَّ نُزَّعا
تلفَّتُّ نحوَ الحيِّ حتّى وجدْتُني ... وَجِعْتُ من الإصغاءِ لِيْتاً وأخدَعا
فإنْ كنتمُ ترجونَ أنْ يذهبَ الهوى ... يقيناً ونَرْوَى بالشَّبابِ فنَنْقَعا
فَرُدُّوا هَبوبَ الريحِ أوغَيِّروا الجَوى ... إذا حَلَّ ألواذَ الحَشَا فتمَنَّعا[1]
أما وجلالِ اللهِ لو تذْكُرِيْنَني ... كذِكْريكِ ما كَفْكَفْت للعينِ مدمعا
فقالت: بلَى واللهِ ذِكْراً لو انَّهُ ... يُصَبُّ على صُمِّ الصَّفا لتَصَدَّعا
فما وَجْدُ عُلويٍّ الهَوى حَنَّ واجْتَوى ... بوادي الشَّرى والغورِ ماءً ومَرْتَعا[2]
رأى وهو في رأسِ الشَّرَى مُتَمَنِّعاً ... مصادِرَ نجدٍ والفضاءَ فرجَّعا
تشَوَّقَ لما عضَّهُ القيدُ واجتوى ... مراتِعَهُ من بينَ قُفٍّ وأجْرَعا[3]
ورام بعينيهِ جِبَالاً منيفةً ... وما لا يرى فيه أخو القيد مطمعا

---

(1) ألواذ الحشا: مكامن الحشا

(2) الشرى جبل بنجد في ديار طيء، وجبل بتهامة موصوف بكثرة السباع. معجم البلدان: الشرى.

(3) القف: ما ارتفع من الأرض وغلظ. ياقوت: قف. الأجرع: الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة. اللسان: جرع

إذا رام منهـا مطلعـاً ردَّ شـأوَهُ ... أمينُ القُوى عضَّ اليـدينِ فأوجعـا
بأكْـبَرَ مـن وَجْـدٍ بـرَيَّـا وجدتُـهُ ... غداةَ دعـا داعي الفراقِ فأسـمعا
ولا بَكْـرَةٌ بِكْـرٌ رأتْ مـن حِوارِهـا ... مُجَـرَّاً حـديثاً مُسْتَبِيْناً ومَـصْرعا
إذا رجَّعَـتْ في آخـرِ الليـلِ حَنَّـةً ... لِذِكْرِ حديثٍ أبكـت البُـزْلَ أجمعـا
لقد خِفْتُ أن لا تقنعَ النفسُ بعـدَها ... بشيءٍ من الدنيا وإنْ كـان مَقْـنَعا
وأعْذُلُ فيها الـنَّفْسَ إذْ حيـلَ دونَهـا ... وتأبى إليها النَّفْسُ إلاَّ تَطَلُّـعا
سـلامٌ عـلى الـدنيا فـما هـي راحـةٌ ... إذا لم يكـن شـملي وشَـمْلُكمُ معـا
ولا مَرْحَبَاً بالرَّبْـعِ لـستُمْ حُلولَـهُ ... ولـو كان مُخْضَلَّ الجوانـبِ مُمْرِعـا
فماءٌ بـلا مرعـى ومرعـى بغـيرِ مـا ... وحيثُ أرى مـاءً ومرعى فمَـسْبَعا
لعَمْري لقد نـادى مُنـادي فِراقِنـا ... بتَشْتِيْتِنَا في كـل وادٍ فأسْـمعا
بكُلِّ بـلادٍ أم بكُـلِّ مَظِنَّـةٍ ... أخو أمَلٍ مِنَّـا يُحـاوِلُ مَطْمعـا
كأنَّـا خُلِقْنـا للنَّـوى وكـأنَّما ... حَرامٌ على الأيـامِ أنْ نَتَجَمَّعـا

ويقول في الحنين إلى الحجـاز ونجـد مشاركاً الناقـة في عواطفهـا وحنينهـا إلى الـصحب والأرض والديار: (1)

وحَنَّـتْ قَلـوصي آخِـرَ الليـلِ حَنَّـةً ... فيـا رَوْعَـةً مـا راعَ قلبـي حنينُهـا
حَنَـتْ في تنائيهـا وشُـبَّ لعَيْنِهـا ... سَـنا بـارِقٍ وَهْنـاً فجُـنَّ جُنونُهـا
فقلـتُ لهـا: صَـبْراً فكُـلُّ قرينـةٍ ... مفارِقُهـا لابُـدَّ يومـاً قرينُهـا
فـما بَرِحَـتْ حتَّـى ارعوينـا لـصَوتِها ... وحتـى انبرى مِنَّـا مُعـينٌ يُعينُهـا
تحِـنُّ إلى أهْـلِ الحِجـازِ صَـبابَةً ... وقد بُـتَّ مـن أهـلِ الحجـازِ قرينُهـا
فيـا رَبِّ أطْلِـقْ قيـدَها وجَريرَهـا ... فقـد راعَ أهـلَ المـسجدينِ حنينُهـا
فقلـتُ لهـا: حِنِّـي رُوَيْـداً فـإنَّني ... وإيَّـاكِ نُبْـدي عَولـةً سـنُبِينُهـا

(1) الديوان ص 135 ـ 136.

خليليَّ هل بالشامِ عينٌ حزينةٌ ... تُبَكِّي على نجدٍ لعلي أُعينُها
وهل بائعٌ نفساً بنَفْسٍ أو الأسى ... إليها فأجلاها بذاكَ حنينُها
وأسلَمها الباكونَ إلا حمامةً ... مُطَوَّقةً قد بانَ عنها قرينُها
تُجاوِبُها أُخرى على خَيْزُرانةٍ ... يكادُ يُدَنِّيها من الأرضِ لينُها
نظرْتُ بعَيْنَيْ مُؤْنِسَيْنِ فلم أكَدْ ... أرى من سُهَيْلٍ نظرَةً أستَبِينُها
فكَذَّبْتُ نفسي ثم راجعْتُ نظرةً ... فهَيَّجَ لي شوقاً لنَجْدٍ يقينُها

يزيد بن الطثرية

وقال يزيد بن الطثرية (ت 126 هـ) يذكر نجداً وقد هيَّجت الحمامة أشجانه فصار يحاورها ويشكو همَّه وأشواقَه ويذكر حبَّه لحبيبته التي أحب الناس لأجلها: [1]

ألا يا صَبا نجدٍ متى هجْتِ من نجدِ ... لقد زادني مَسْراكِ وجْداً على وجْدِ
أإنْ هتفَتْ ورقاءُ في رونقِ الضُّحى ... على فَنَنٍ غضِّ النباتِ من الرَّنْدِ [2]
بكيتَ كما يبكي الحزينُ صبابةً ... وذُبْتَ من الحزنِ المبرِّحِ والجَهْدِ
وقد زعموا أنَّ المُحِبَّ إذا دنا ... يمَلُّ وأنَّ النأيَ يشفي من الوجدِ
بكُلٍّ تداوينا فلم يُشْفَ ما بنا ... على أنَّ قُرْبَ الدار خيرٌ من البعدِ
هوايَ بهذا الغَوْرِ غَورِ تهامةٍ ... وليسَ بهذا الجَلْسِ من مستوى نجدِ
فوالله ربِّ البيتِ لا تجدينني ... تطَلَّبْتُ قَطْعَ الحَبْلِ منكِ على عَمْدِ
ولا أشتَري أمراً يكونُ قطيعةً ... لِما بيننا حتى أُغَيَّبَ في لحدي
فمن حُبِّها أحبَبْتُ من ليس عندهُ ... يدٌ بيدٍ تُجزى ولا مِنَّةٌ عندي
ألا ربَّما أهدى لي الشوقُ والجوى ... على النأي منها ذُكْرَةً قلَّما تُجدي

---

(1) شعر يزيد بن الطثرية ص 68ـ72، جمع حاتم الضامن، بغداد 1973، شعراء قشير 2/ 129، الأغاني 5/ 246.

(2) رونق الضحى: إشراقه. الرَّند: شجر طيب الرائحة من شجر البادية.

الأبيوردي

وممن ولع بنجد والتغني بربوعها والشوق إلى حماها وأهلها الأبيوردي أبو المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق القرشي الأموي يتصل نسبه بمعاوية الأصغر بن محمد بن أبي العباس ،المتوفى سنة 557هـ ،كان شاعراً ظريفاً مشهوراً ، وراوية نسَّابة ، قسم ديوانه شعره إلى أقسام: منها العراقيات ، ومنها النجديات، ومنها الوجديات ، وله تصانيف كثيرة منها تاريخ أبيورد ونسا، وكتاب المختلف والمؤتلف، وطبقات كل فن ، وله في اللغة مصنفات كثيرة ، وتوفي بأصبهان مسموماً سنة سبع وخمسين وخمسمائة[1]، ولا يُدرى هل زار الأبيوردي نجداً وأقام فيها، أم ذكر مرابعها على الوصف والسماع ؟ وقيل إنه زار نجداً ومكث فيها، وتعلق بامرأة نجدية وصار يذكرها في شعره وأحب لأجلها نجداً وأهلَها، ويحفل ديوانه بالحنين إلى الوطن والشوق إلى الأهل والديار، والتغني بنجد والتغزل بصباياها، وشعره عامر بالشوق والوجد والحنين ، يقول وهو في غربته في العيد يتشوق إلى وطنه:[2]

النـاسُ بالعيـدِ مسرورونَ غيرَ فتـىً ... يَشُفُّهُ في إسارِ الغُرْبةِ الحَزَنُ

وبينَ جنبيهِ هَمٌّ لا يبوحُ بهِ ... ففرْحَةُ المرءِ حيثُ الأهلُ والوطنُ

ولا اغترابَ علينا فالبلادُ لنا ... فتوحُها وبنا يُسْتَرْحَبُ العَطَنُ[3]

إذْ لم تكن قبلَنا بالمجدِ حاليةٌ ... ولا لها منظرٌ من بعدنا حسَنُ

والأرضُ تُزْهى بنا أطرافُها فمتى ... نَمِلْ إلى الشامِ يحْسُدْها بنا اليمنُ

---

(1) وفيات الأعيان 4/ 444 ــ449 ، ط إحسان عباس.

(2) ديوان الأبيوردي النجديات 2/ 83 ــ 84 تحقيق عمر الأسعد ، ط 2 مؤسسة الرسالة، بيروت 1987 ، وانظر محمد بن عبد الرحمن الربيع ، الرياض 1983.

(3)العطن: رحابة الصدر، يقال: فلان واسع العطن،إذا كان رحب الذراع.أساس البلاغة: عط.

وتلكَ دارٌ وَرِثْناها مُعاويةً ... لكنَّ كوُفَنَ ألقانا بها الزمنُ[1]

أصبو إليها وأشواقي تُبَرِّحُ بي ... وتمنعُ العينَ أنْ يعتادَها الوسَنُ

فليتَ شعري وليتٌ غيرُ نافعةٍ ... هل يبدوَنَّ لعيني مُنْجِدٌ حَضَنُ[2]

وهل أُنيخُ ببابِ القصرِ ناجيةً ... مُناخُها فيه من صَوبِ الحيا قَمِنُ

هنالكَ الهضباتُ الحُمْرُ لو هتَفَتْ ... بالمَيْتِ راجعَ فيها روحَهُ البدَنُ

وقال أبو المظفر الأبيوردي لما استولى الفرنج على بيت المقدس في سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة يأسف على ما حل بالبلاد ويحن للوطن السليب:[3]

مزجنا دِماءً بالدموعِ السَّواجِمِ ... فلم يبقَ مِنَّا عَرْصَةٌ للمراحمِ

وشَرُّ سِلاحِ المرءِ دمعٌ يُفيضُهُ ... إذا الحربُ شُبَّتْ نارُها بالصَّوارمِ

فإيهاً بني الإسلامِ إنَّ وراءَكم ... وقائعَ يُلْحِقْنَ الذُّرا بالمناسمِ

أتَهْويمةً في ظِلِّ أمنٍ وغِبْطةٍ ... وعَيْشٍ كَنُوَّارِ الخميلةِ ناعمِ

وكيفَ تنامُ العينُ مِلْءَ جفونِها ... على هَفَواتٍ أيقظَتْ كلَّ نائمِ

وإخوانُكم بالشامِ يُضْحي مقيلُهمْ ... ظُهورَ المذاكي أو بُطونَ القشاعِمِ

تسُومُهمُ الرُّومُ الهَوانَ وأنتمُ ... تجُرُّرونَ ذَيْلَ الخَفْضِ فِعْلَ المُسالِمِ

وكم من دماءٍ قد أُبيحَتْ ومن دُمًى ... تُواري حياءً حُسْنَها بالمعاصِمِ

بحيثُ السُّيوفُ البِيْضُ مُحْمَرَّةُ الظُّبا ... وسُمْرُ العوالي داميات اللهاذِمِ

---

(1) ورثناها معاوية: أي من معاوية. كوفن: بليدة صغيرة في خراسان على ستة فراسخ من أبيورد التي ينسب إليها الشاعر الأبيوردي. معجم البلدان: كوفن.

(2) حضن: جبل شامخ بنجد. معجم البلدان: حضن ،مجمع الأمثال 2/ 299.

(3)الديوان 2/ 156 ــ 157.

وبينَ اختلاسِ الطَّعْنِ والضَّرْبِ وقْفَةٌ ... تظَلُّ لها الولدانُ شِيْبَ القَوادِمِ
وتلكَ حُروبٌ مَنْ يَغِبْ عن غِمارِها ... ليَسْلَمَ يَفْرَعْ بعدَها سِنَّ نادمِ
سَلَلْنَ بأيدي المشركين قواضِباً ... سَتُغْمَدُ منهُم في الطُّلَى والجماجِمِ
يكادُ هُنَّ المُستَجِنُّ بطَيْبَةٍ ... يُنادي بأعلى الصوتِ:يا آلَ هاشمِ
أرى أُمَّتي لا يُشْرِعونَ إلى العدا ... رِماحَهُمُ والدِّيْنُ واهي الدَّعائمِ
ويَجْتَنِبونَ النارَ خَوفاً من الرَّدى ... ولا يَحْسَبونَ العارَ ضَرْبَةَ لازمِ
أترْضى صَناديدُ الأعاريبِ بالأذى ... ويُغْضي على ذُلٍّ كُماةُ الأعاجمِ
فليتَهُمُ إذْ لم يَذُودوا حَمِيَّةً ... عن الدِّيْنِ ضَنُّوا غَيْرَةً بالمَحَارِمِ
وإنْ زهدوا في الأجرِ إذْ حَمِسَ الوغى ... فهَلاَّ أَتَوْهُ رَغْبَةً في الغَنائمِ
لئنْ أذْعَنَتْ تلكَ الخياشيمُ للبُرَى ... فلا عَطَسُوا إلا بأجْدَعَ راغِمِ
دعوناكُمُ والحَرْبُ تَرْنو مُلِحَّةً ... إلينا بألحاظِ النُّسورِ القَشَاعِمِ
تُراقِبُ فينا غارةً عَرَبِيَّةً ... تُطيْلُ عليها الروعَ عَضَّ الأباهمِ
فإنْ أنتمُ لم تغْضَبوا بعدَ هذهِ ... رَمَيْنا إلى أعدائنا بالجرائمِ

وقال في الحنين إلى نجد، وهي أول النجديات: (1)

خليليَّ إنَّ الحُبَّ ما تَعْرِفانَهُ ... فلا تُنكِرا أنَّ الحنينَ من الوَجْدِ
أحِنُّ وللأنضاءِ بالغَوْرِ حَنَّةٌ ... إذا ذكَرَتْ أوطانَها بِرُبَا نجدِ
وتَصْبو إلى رَنْدِ الحِمى وعَرارِهِ ... ومن أينَ تدري ما العَرارُ من الرَّنْدِ(2)
ومما شجاني أنَّ ليلى تغَيَّظَتْ ... فقالتْ سِراراً والمَطِيُّ بنا تَخْدي(3)
هُذَيْمٌ وسَعْدٌ يَعْذِلانِ على الهوى ... فماذا لَقِيْنا من هُذَيمٍ ومن سَعْدِ(4)

(1) الديوان 2/ 172.

(2) العرار والرند: نبتان طيبا الرائحة من نبات نجد.

(3) تخدي: تسرع.

(4) فماذا ليقينا: أي فأي أمر عظيم لقينا منهما.

وقال في الحنين والشوق ويبكي على فراق الأهل والأحباب: [1]

ولوعةٍ بِتُّ أُخفيها وأُظهِرُها ... بمَنْزِلِ الحيِّ بينَ الضال والسَّلَمِ [2]

والدمعُ يغْلِبُني طوراً وأغْلِبُهُ ... ومَنْ يُطيقُ غِلابَ المَدْمَعِ السَّجِمِ

حتَّى تبيَّنَ صَحْبي ما اتُّهِمْتُ بهِ ... فقُلْتُ للطَّرْفِ هذا موضِعُ التُّهَمِ

ظَلَلْتَ تُذْري دُموعاً ما يُنَهْنِهُها ... عَذْلُ الصَّديقِ فسِرِّي غيرُ مُكْتَتَمِ

هَبْني أُغَيِّضُها ما لم تُشَبْ بدمٍ ... فكيفَ أسترُها مَمْزوجةً بِدَمِ

وهكذا كنتَ تبكي يومَ ذي بَقَرٍ ... وليلةَ الجِزْعِ والمثوى على إضَمِ [3]

فأنتَ أمنعُ لي مِمَّا أُحاوِلُهُ ... من الوشاةِ فدعْني والهوى ونَمِ

ويْحَ العَذولِ أما يُبقي على دَنِفٍ ... طوى الحيازيمَ من وَجْدٍ على ألَمِ [4]

يمشي بعِرْضي إلى ظَمْياءَ يثْلِمُهُ ... وقد درى أنَّ من ألحاظِها سَقَمي

إنْ أعرَضَتْ ونأتْ أوأقبلَتْ ودَنَتْ ... فهي المُنَى والهَوى النَّجْديُّ من شِيَمي [5]

ورُبَّ لَيْلٍ طَليحِ النَّجْمِ قَصَّرَهُ ... بها الشِفاءانِ من لَثْمٍ ومُلْتَزَمِ [6]

تقبيلةٌ كانتهازِ الصَّقْرِ فُرْصَتَهُ ... بها التقى في عِناقٍ خدُّها وفمي

ولم يكن بعدها إلا التُّقَى وطَرٌ ... وهل خَطَتْ بي إلى ما شانني قَدَمي ؟

ثم افترقْنا فأغْتَنّا مبَاسِمُها ... عن البروقِ وأجفاني عن الدِّيَمِ

والثَّغْرُ منها كعِقْدٍ وهو مُنْتَظِمٌ ... والدَّمْعُ مِنِّي كعِقْدٍ غيرِ مُنْتَظِمِ [7]

والليلُ يَنْفي ضياءَ الصُّبْحِ ظُلْمَتُهُ ... كعَابِسٍ ما بهِ أُنْسٌ لِمُبْتَسِمِ [8]

---

(1) الديوان 2/ 197 ـ 198.

(2) الضال والسلم: شجرتان من أشجار البادية.

(3) ذو بقر: واد بين أخيلة الحمى، حمى الربذة ، إضم: موضع فيه ماء بين مكة واليمامة. ياقوت: بقر، إضم.

(4) الحيازيم: عظام الصدر، يقول: أما يرحم مريضاً أضمر في صدره ألم الوجد، يريد به نفسه.

(5) الهوى النجدي: يوصف صاحبه بالوفاء

(6) طليح النجم: ضعيف النجم. الملتزم: المعانقة.

(7) أي أن أسنانها عند التبسم كالدر المنظوم، ودمعي عند البكاء كالدر المنثور.

(8) يريد: أن الليل والصبح افترقا ،والليل عابس والصبح مبتسم ، كما افترقنا نحن وأنا باك وهي مبتسمة.

إنْ شاعَ عن أُزرِها من عِفَّتي خَبَرٌ فإنَّ شاهِدَها فيما حَكَتْ كَرَمي

ويقول في قصيدة يتغزل بحبيبته ويذكر نجداً وحنينه إليها: [1]

هي الجَرْعاءُ صادِيةٌ رُباها فَزُرْها يا هُدَيمُ أمَا تراها

وخَلِّ بها دموعَكَ واكِفاتٍ وَكِيفَ السُّحْبِ واهيةً كُلاها

وبعد غزل بنساء شبيهات الظباء يقول في وصف حبيبته النجدية:

لها بَيْتٌ رفيعُ السَّمْكِ ضَخْمٌ بهِ تُزْهى إذا انتسبتْ أباها

أظُنُّ الخمْرَ رِيقَتَها وظَنّي تُحَقِّقُهُ إذا قَبَّلْتُ فاها

متى ابتَسَمتْ تكَشَّفَ عن أقاحٍ تُقَرِّطُهُنَّ سارِيَةٌ نَداها [2]

أُحِبُّ لحُبِّها تَلَعاتِ نَجْدٍ وما شَغَفي بها لولا هواها

أمَا والرَّاقِصاتِ تُقِلُّ رَكْباً كأنَّهُمُ الصُّقورُ على مطاها [3]

لَتَرْتَمِيَنَّ بي والليلُ داجٍ إليها العيسُ مائِلَةً طُلاها

فإنَّ بها أوانِسَ ناضَلَتْني بألحاظٍ تغيظُ بها مَهاها [4]

ومُرْتَبعاً به الغُدْرانُ تَخْدي إليها النَّاجِياتُ على وَجاها

وتَلْصِقُ صِحَّةً بالدَّاءِ منها إذا اعتَنَقَتْ كَلاكِلُها ثَراها [5]

---

(1) الديوان2/ 201 - 203.

(2) عن أقاح: أي أسنان بيض كزهر الأقحوان.

(3)الرافصات: الإبل المسرعات على ظهورها ركبان كأنهم الصقور في الخفة.

(4) ناضلتني: رمتني بسهام عينيها ، مهاها: أي مها التلعات.

(5) كلاكل الإبل: صدورها.

ويتغزل بامرأة من بنات الحمى في نجد ويذكر الشيب الذي وخط ذوائبه: [1]

ومُرْتَبَعٍ من مَسْقَطِ الرَّمْلِ بالحِمَى ... يُحاصِرُهُ وادٍ أغَنُّ خَصِيبُ [2]

تَحِلُّ بِهِ ظمياءُ وهي حبيبةٌ ... إليَّ ومَغْناها إليَّ حَبِيبُ

إذا سَحَبَتْ أذيالَها في عِراصِهِ ... وجَدْتُ ثرى تلكَ الرُّباعِ يَطيبُ

ويَحْلو بفِيَّ الشَّعْرُ ما أُطْرِبَتْ به ... وما كانَ يَحْلَوْلي لَدَيَّ نسيبُ

ولَمَّا رأتْ وخْطَ القتيرِ بلِمَّتي ... تَوَلَّتْ كما راعَ الغَزالةَ ذِيْبُ [3]

وكُنَّا كغُصْنَي بانَةٍ طابَ عِرْقُها ... فطَالا ولكنْ ذابِلٌ ورَطِيْبُ [4]

فما بالُها ترمي إليَّ بنَظْرةٍ ... تُغازِلُها البَغْضاءُ وهي تُرِيْبُ

كأنِّي ابتَدَعْتُ الشَّيْبَ أو ليسَ في الوَرى ... ذَوائِبُ في أطرافِهِنَّ مَشِيْبُ

ولا غَرْوَ أنْ أُكْسَى القِلَى من كَوَاعِبٍ ... رِداءُ شَبابي عندَهُنَّ سَلِيبُ [5]

ومن غزله في النجديات وفيها محاورة رقيقة شائقة فيها حنين وشوق ووصف لمحاسن الحبيبة: [6]

نظرتُ ولِلأُدمِ النوافِخِ في البُرَى ... بشَرْقِيِّ نجدٍ يا هُذَيمُ حنينُ [7]

إلى خَفِراتٍ من نُمَيْرٍ كأنَّها ... ظِباءٌ كَحِيلاتُ المدامعِ عِيْنُ

---

(1) الديوان 2/ 209- 210.

(2) واد أغن: كثير النبات. خصيب: كثير النعم.

(3) القتير: الشيب، أي كما أخاف الذئب الغزالة.

(4) يقول: أنا ذابل من شدائد العشق وهي كالغصن الرطيب الناضر.

(5) رداء الشباب: ما للشباب من البهجة وسواد الشعر وغيرهما.

(6) الديوان 2/ 213 - 214.

(7) الأدم: الإبل البيض، البرى: جمع برة، وهي حلقة من صفر تكون في أنف البعير.

إذا ما تنازَعْنَ الحديثَ اشتفى بهِ ... من الوَجْدِ متبولُ الفُؤادِ حزينُ[1]

كأنَّ الذي اسْتُودِعْتُهُ منهُ لؤلؤٌ ... يلوحُ على أيدي التِّجارِ ثمينُ

وقد سَمِعَتْ بي فاغْتَرَرْتُها بشاشَةٌ ... ومِثْلي بها عندَ الكِرامِ قَمينُ

وسَدَّ خِصاصَ الخِدْرِ طَرْفٌ ومَسْمَعٌ ... ونَحْرٌ وخَدٌّ واضِحٌ وجَبينُ

وقالتْ سُلَيْمى مرحباً بكَ ما لنا ... نرى أثَرَ البلوى عليكَ يَبِينُ

فقال هُذَيْمٌ وهو خِلِّي وناصِحٌ ... لها وعلى أسرارِهِنَّ أمينُ

ألم تعلمي أنَّ الصَّبابَةَ أجْحَفَتْ ... بهِ وأخوكِ العامريُّ سمينُ

فقالتْ لهُ: مَنْ أنتَ تبغي انتِسابَهُ ... فقال: هِجانٌ لم يِلِدْهُ هجينُ[2]

أبوهُ عُلَيْميٌّ النِّجَارِ وأُمُّهُ ... أبوها زُهَيْريٌّ نَماهُ عَرينُ[3]

فقالت: يمانٍ أبعَدَ اللهُ دارَهُ ... لهُ من نِزارٍ صاحِبٌ وخَدينُ

تَنَحَّ فما للحَيِّ كَلْبٍ بأرْضِنا ... قَرارٌ يقيها النَّائباتِ مكينُ

فَرُحْنا وبالكَلْبي غَيْظٌ يُجِنُّهُ ... ولي من هواها زَنَّةٌ وأنينُ[4]

كأنِّي وإياهُ بسائِقَةِ النَّقا ... أخو سَقَمٍ يشكو الجِراحَ طعينُ

وقال الأبيوردي متغزلاً وذاكراً ديار نجد ومن يحب من أهلها، ويقسم بالبيت الحرام في سياق الغزل:[5]

أليلَتَنا بالحَزْنِ عودي فإنَّني ... أُطَامِنُ أحشائي على لوعةِ الحُزْنِ

وأُذْري بهِ دمعاً يُرَوِّي غليلَهُ ... فلم يتحَمَّل بعدَهُ مِنَّةَ المُزْنِ

وأُقْسِمُ بالبيتِ الرَّحيبِ فِناؤهُ ... وبالحَجَرِ الملثومِ والحَجَرِ الرُّكْنِ

---

(1) متبول الفؤاد: أسقمه الحب وذهب بعقله.

(2) الهجان: الكريم، وامرأة هجان: كريمة ليست من الإماء، والهجين: غير الأصيل، الذي ولدته أمة.

(3) عليمي: منسوب إلى عُليم، حي من كلب، وكلب حي من اليمن.

(4) الزنَّة: التُّهَمَة.

(5) الديوان 2/ 219-220.

لأنتِ إلى نفسي أحبُّ من الغِنى ... وذِكْرُكِ أحلى في فؤادي من الأمنِ
فكم غادةٍ جلَّى ظلامَكِ وَجْهُها ... وبدْرُ الدُّجى من حاسديها على الحُسْنِ
خَلَوْتُ بها وحدي وثالِثُنا التُّقى ... ورابِعُنا ماضي الغِرارَينِ في الجَفْنِ
يذودُ الكَرَى عنَّا حديثٌ كعِقْدِها ... فلما افترقْنا صار كالقُرْطِ لِلأُذْنِ
وآخرُ عهدي بالمليحةِ أنَّني ... رَمَقْتُ بذاتِ الرِّمْثِ نارَ بني حِصْنِ
فَحَيَّيْتُ أهلَ الضَّوْءِ وهي تَشُبُّها ... على قِصَدِ الخَطِّيِّ بالمَنْدَلِ اللَّدْنِ
فقالوا مَنِ السَّاري وقد بَلَّهُ النَّدى ... فقُلْتُ ابنُ أرضٍ ضَلَّ في ليلةِ الدَّجْنِ
لهُ حاجةٌ بالغَوْرِ والدارُ بالحِمَى ... ونجدٌ هواهُ وهي تعرِفُ ما أعني

وقال يتغزل في نجدية مترفة ويذكر وجده بها وما يعانيه من الشوق ويذكر مشاركة الحيوان في حنينه وعواطفه:[1]

وآلِفَةٍ للخِدْرِ ظاهِرَةِ التُّقى ... لأُسْرَتِها في عامرٍ ما تَمَنَّتِ
نَحِلُّ بنجْدٍ منزِلاً حَلَّتِ العُلا ... بهِ فاسْتَقَرَّتْ عندَهُ واطمأنَّتِ
تذَكَّرْتُها والرَّكْبُ مُغْفٍ وساهِرٌ ... وهاجَ مطاياهُمْ حنيني فحَنَّتِ
وهَبَّ صِحابي واجِمِينَ وكُلُّهُمْ ... يقولُ ألا لله نفسٌ تعَنَّتِ
إذا حدَرَ الصُّبْحُ اللِّثامَ تأوَّهَتْ ... وإنْ نشَرَ الليلُ الجَناحَ أرَنَّتِ
ولَسْنا نراها تسْتَفيقُ من الهوى ... لها الخيرُ ماذا أضمَرَتْ وأجَنَّتِ
تهيْمُ إذا ريحُ الصَّبا نَسَمَتْ لها ... بنَجْدٍ أو الأيكيَّةُ الوُرْقُ غَنَّتِ
وتصبو إلى ليلى وقد شَطَّتِ النَّوى ... ومن أجلِها حَنَّتْ ورَنَّتْ وأنَّتِ
من البِيْضِ لا تزدادُ إلا تجَنِّياً ... علينا ولولا بُخْلُها ما تجَنَّتِ
تَضِنُّ بما نبغي لظَنٍّ تُسِيْئُهُ ... ألا ساءَ ما ظَنَّتْ بنا حينَ ظَنَّتِ

(1) الديوان 2/ 224ـ225.

وقال يتشوق إلى نجد ويحن إليها ويبكي شوقاً ووجداً: [1]

أَلامُ على نجدٍ وأبكي صَبابةً ... رويْدَكَ يا دمعي ويا عاذلي رِفْقا
فلي بالحِمَى من لا أُطيقُ فِراقَهُ ... بهِ يسْعَدُ الواشي ولكنَّني أشقى
وأكْرِمُ من جيرانِهِ كلَّ طارِىءٍ ... يَوَدُّ وَداداً أنَّهُ من دَمي يُسْقى
إذا لم يَدَعْ مِنِّي نَواهُ وحُبُّهُ ... سِوى رَمَقٍ يا أهْلَ نجدٍ فكم أبقى
ولولا الهوى ما رَقَّ للدَّهْرِ جانبي ... ولا رَضِيَتْ منكم قُرَيْشٌ بما ألقى

وقال في الشوق والحنين إلى نجد وأهلها: [2]

يانجدُ ما لأحِبَّتي شَطُّوا ... لم يَحْمِ أرْضَك مثلُهمْ قَطُّ
ظَعَنُوا فما لكَ لا تُفارِقُهُمْ ... يا قلبُ إنْ رَحَلوا وإنْ حَطُّوا
وكأنَّ عِيسَهُمُ على حَدَقٍ ... تُدْمي الجُفونَ دمُوعُها تَخْطو
أَلِفَتْ جِوارَ الرَّكْبِ غانيَةٌ ... يأبى جِوارَ عُقودِها القُرْطُ
والعَيْنُ مِمَّا الهِنْدُ تطْبَعُهُ ... والقَدُّ مِمَّا يُنْبِتُ الخَطُّ
رَبَعِيَّةُ الآباءِ إنْ نُسِبَتْ ... فلَها أراقِمُ وائلٍ رَهْطُ [3]
يا سَلْمُ شَفَّ الجِسْمَ وعْدُكِ لي ... برِضىً يَشِفُّ وراءَهُ سُخْطُ
ومَلاثِ مِرْطِكِ إنَّهُ قَسَمٌ ... بَرٌّ يُخَصُّ بمِثْلِهِ المِرْطُ [4]
إنِّي لأُحْيِي الليلَ مُكْتَئِباً ... حتى يُرَى وفُرُعُهُ شُمْطُ [5]
في منزِلٍ أوْدَعْتِ عَرْصَتَهُ ... مِسْكاً يَمُجُّ فَتِيْتَهُ المِشْطُ

---

(1) الديوان 2/ 227.

(2) الديوان 2/ 231ـــ232.

(3) أصل الأراقم: الحيات الرقش، والمراد هنا الشجعان.

(4) المرط: كساء تتّزر به المرأة. لاثته: لفته وتلفعت به. ويريد بملاث المرط: الكفل.

(5) الفرع: شعر الرأس. شمط: بيض، أي ابيضّ شعر رأسه.

وقال الأبيوردي في الحنين إلى نجد وديارها وأهلها:[1]

أرضَ العُـذَيْبِ أمـا تنفَـكُّ بارِقَـةٌ ... تَـسْمو بطَـرْفي إلى الرَّيـانِ أوحَـضَنِ
أصـبو إلى أرضِ نجـدٍ وهـي نازحـةٌ ... والقَلْبُ مُـشْتَمِلٌ منِّي عـلى الحَـزَنِ
وأسـألُ الرَّكْـبَ عنهـا والـدموعُ دمٌ ... بناظِـرٍ لم يَخِـطْ جَفْنـاً عـلى وَسَـنِ
وإنْ سَرى البَرْقُ من تِلْقائِهـا غَرِضَـتْ ... عِيْسي بِذي سَلَمٍ من مَـبْرَكٍ خَـشِنِ[2]
والرِّيْحُ إنْ نَسَمَتْ عُلويَّـةً نَـضَحَتْ ... بالدَّمْعِ حَـنَّـةَ عُلْـوِيٍّ إلى الـوطَنِ[3]
فهَل سبيلٌ إلى نجـدٍ وسـاكِنِهِ ... يَهُـزُّ مَنْ أَلِفَ المِـصْرَيْنِ لِلظَّعَـنِ[4]
ليسَ العِراقُ لـهُ بعـدَ الحِمـى وطَنـاً ... يميسُ عافيهِ بينَ الحَوضِ والعَطَـنِ[5]
وتَـسْتَرِيْحُ المطايـا مـن تَوَقُّـصِها ... إذا فَلَتْ لِمَـمَ الحَـوْذَانِ بالثَّـفَنِ[6]
فليـتَ شِـعْري وكـم غَـرَّ المُنـى أُمَمـاً ... من فَرْعِ عدنانَ والأذْواءَ من يَمَـنِ[7]
هـل أهْـبِطَنَّ بـلاداً أهْلُهـا عَـرَبٌ ... لم يشْرَبوا غيرَ صَوْبِ العارِضِ الهَتِنِ[8]
عـلى مُطَهَّمَـةٍ جُـــرْدٍ جحافِلُهـا ... بِيْضٌ تلوحُ عليها رَغْـوَةُ اللَّـبَنِ[9]
إذا رَمَـوْا مَـنْ يُعـادِيْهِمْ بهـا رَجَعَـتْ ... بالنَّهْبِ داميةَ اللبَّاتِ والثُّنَنِ[10]
فـلا دُروعَ لهـم إلا جُلـودُهُم ... ولا عليهم سوى الأحسابِ من جُـنَنِ
إنْ يجْمَـعِ اللهُ شَـمْلي يـا هُـذَيْمُ بِهِـمْ ... فلَسْتُ ما عِشْتُ بالزَّاري على الزَّمَنِ

---

(1) الديوان 2/ 235 ـــ 237.

(2) غرضت: ملّت وسئمت.

(3) العلوية: نسبة إلى عالية نجد، أي صار حنينه سبباً لانسكاب دمعه.

(4) يريد بالمصرين: الكوفة والبصرة، الظعن: الارتحال.

(5) العطن: موضع الإناخة.

(6) توقص وثب وثباً قصيراً. فلت: قطعت. الحوذان: نبت. الثفن: اخفاف البعير، وكل ما غلظ من جسمه ومباركه.

(7) الأذواء: ملوك اليمن.

(8) العارض الهتن: السحاب الماطر.

(9) المطهم: الجواد التام الحسن. جرد: جمع أجرد أي سبّاق. الجحافل: جمع جحفلة، والجحفلة للفرس كالشفة للإنسان.

(10) الثنن: جمع ثُنَّة وهي الشعرات التي في مؤخر رجل الفرس.

ويذكر حنينه وشوقه إلى حبيبته وهو في مِنى وقد لبّى الحاج وطلبوا المغفرة فيسأل الله سبحانه أن يجمعه بمن يحب: [1]

شَجَاني بأعلامِ المُحَصَّبِ من مِنىً ... خَفِيُّ حَنينٍ رجَّعَتْهُ الأباعِرُ [2]
وقد رفَعَ الشُّعْثُ المُلَبُّونَ أيدياً ... بحاجاتهم واللهُ مُعْطٍ وغافِرُ
فيارَبِّ إنَّ المالكيَّةَ حاجتي ... وأنتَ على أنْ تجمعَ الشَّمْلَ قادِرُ
ولم أرَها إلا بنَعْمانَ مَرَّةً ... وقد عطَّرَتْ منها ثراهُ الضَّفائرُ
فلا الحُبُّ يُجْديني ولا الشَّوقُ يَنْقَضي ... ولا دارُها تَدْنو ولا القَلبُ صَابِرُ

ويذكر مرابع نجد ويحن إلى الديار والغيد الحسان: [3]

وسَرْحَة بِرُبا نَجْدٍ مُهَدَّلَةٍ ... أغصانُها في غديرٍ ظَلَّ يُرْويها
إذا الصَّبا نَسَمتْ والمُزْنُ يَمْضِبُها ... مشَى النسيمُ على أيْنٍ يُناجِيها [4]
تَقِيْلُ في ظِلِّها بَيْضاءُ آنِسَةٌ ... تكادُ تنْشُرُها لِيْناً وتَطْويها
سُوْدٌ ذوائِبُها بِيْضٌ تَرائبُها ... حُمْرٌ مجاسِدُها صُفْرٌ تراقيها
عارَضْتُها فاتَّقَتْ طَرْفي بجارَتِها ... كالشَّمْسِ عارَضَها غَيْمٌ يُواريها
ونِمْتُ مُلْقىً على سِقْطِ اللِّوى لَمِمي ... ونَفْحَةُ المِسْكِ تَسْري في نواحِيْها
ثم انتَبَهْتُ ولاحَ الفَجْرُ في ظُلَمٍ ... غدَا يَفُضُّ سَناهُ من حواشِيْها
وَبَلَّ دِرْعي ومُهْري صَوْبُ غادِيَةٍ ... فالبَرْقُ يُضْحِكُها والرَّعْدُ يُبْكيها
والعَيْنُ من حُبِّ أعْرابيَّةٍ عَرَضَتْ ... تَعُوْمُ في عَبَراتٍ كُنْتُ أُذْرِيْها
فلَيْتَها لي ـــ والآمالُ أكثَرُها ... يُعَذِّبُ النَّفْسَ ـــ بالدُّنْيا وما فيها

---

(1) الديوان 2/ 284.

(2) المحصَّب: موضع رمي الجمار بمنى

(3) الديوان 2/ 286 ـــ 288.

(4) المزن يمضبها: أي يرويها. الأين: الإعياء

وقال في الشوق إلى نجد وأهلها:[1]

قِفَا بنَجْدٍ نُسَلِّمْ ... على ديارِ سُعادِ
فلي دُموعٌ تُرَوَّى ... بها الطُّلولُ الصَّوادي
والنَّاجياتُ إليها ... يَخِدْنَ مِيلَ الهَوادي[2]
لها من الشَّوْقِ هادٍ ... ومن زفيريَ حادِ
وكم بها من ظِباءٍ ... حَلَّت سَرارَةَ وادي[3]
تَسْبي الأُسودَ بِنُجْلٍ ... كالباتِراتِ الحِدادِ
كأنَّها من فُتورٍ ... مَملُوءَةٌ من رُقادِ
عارَضْتُها إذْ تَوَلَّتْ ... بها الخُدوجُ الغَوادي
أبغي الفُؤادَ لَدَيْها ... فَمَا وَجَدْتُ فُؤادي

وقال في الحنين إلى نجد وساكنيه:[4]

إنْ أخْلَفَ الوَعْدَ حَيٌّ يظعَنونَ غداً ... وَفَى لِيَ الطَّرْفُ من دَمْعي بما وَعَدا
فلا تَرى لُؤْلُؤاً من مَبْسِمٍ نَسَقاً ... حتى ترى لؤلؤاً من مَدْمَعٍ بَدَدَا
يا سَعْدُ إنَّ فِراقاً كنْتَ تَحْذَرُهُ ... دنا لِيَنْزِعَ من أحشائكَ الكَبِدا
هَلُمَّ نَبْكِ على نَجْدٍ وساكِنِهِ ... فلنْ تَرى بعدَ نجدٍ عِيْشَةً رَغَدا
ودَعْ هُذَيْماً فقد طافَ السُّلُوُّ بِهِ ... وعن قريبٍ تراهُ يلتوي كَمَدا
ويا هُذَيْمُ ألا تبكي على وطَنٍ ... يُذيبُ من أدْمُعي ذِكْراهُ ما جَمَدا
هَلاَّ اقْتَدَيْتَ بِسَعْدٍ في صَبَابَتِهِ ... غَدَاةَ مَدَّ لتوديعِ الحبيبِ يَدا
أتَنْجِدانِ فُؤاداً شَيِّقاً عَلِقَتْ ... به الصَّبابَةُ إنْ أتْهَمْتُها نَجَدا

---

(1) الديوان 2/ 288.

(2) يخدن: الوخد ضرب من السير سريع.

(3) سرارة الوادي: خير المواضع فيه.

(4) الديوان 2/ 291 ــ 292.

أم تَنْقُضانِ عُهوداً كُنْتُ أُبرِمُها ... إنْ تَنْقُضاها فلا لُقِّيتُما رَشَدَا
متى تغيبا ولم يَمْنَعْكُما كَرَمٌ ... أنْ تُخْبِرا بأحاديثِ الهَوى أحَدا
فلا رأتْ عَلَمَيْ نَجْدٍ عُيونُكُما ... ولا رعى بالحِمى نِضْواكُما أبَدا

وقال يحن ويتشوق إلى ديار الحبيبة:[1]

خليليَّ هذا رَبْعُ ليلى بذي الغَضَى ... سَقَى اللهُ ليلى والغَضَى وسقاكُما
وقد كنتُما لي مُسْعِدَيْنِ على البُكا ... فما لكُما لا تُسْعِدانِ أخاكُما
أظَلُّ وحيْداً لا أرى مَنْ أُحِبُّهُ ... وهل بالحِمى لي من خليلٍ سِواكُما
ولو غابَ عَنِّي واحِدٌ منكُما وَهَتْ ... قُوَى الصَّبْرِ لا أوْهَى الزَّمانُ قُواكُما
فكيفَ أذودُ الهَمَّ عَنِّي تَجَلُّداً ... وقد غِبْتُما عن أرضِ نجْدٍ كِلاكُما

والنجديات في ديوان الأبيوردي كثيرة ، وفيها غزل ووجد ووصف وفخر وأغراض أخرى،ويعد الأبيوردي أكثر الشعراء الذين ذكروا نجداً ومواضعها وحنَّ إلى أهلها وتغزل بنسائها ، وفيما اخترناه من شعره في نجد بيان لشدة تعلقه وحبه وحنينه لهذه البيئة التي أحبها الشعراء منذ الجاهلية وحتى العصور الحاضرة ، وما أحب الشعراء نجداً إلا لأنها ترمز للأصالة العربية والفروسية والنقاء اللغوي بالإضافة إلى جمال الطبيعة وجمال أهلها وطيبتهم ونقاء أصولهم وأعراقهم.

(1) الديوان 2 / 292.

حجازيات الشريف الرضي

ولم يكن حب نجد والحجاز مقصوراً على الأبيوردي ، وإن كان أكثرهم شعراً في هذا الفن، بل كان هناك شعراء آخرون شاركوا في الحنين والشوق إلى نجد والحجاز، من ذلك الشريف الرضي (ت 406 هـ) الذي اشتهر بالحجازيات ، وهي قصائد ومقطعات في الغزل فيها حنين وشوق إلى الحجاز ونجد وأهله، وكان الشريف الرضي سابقاً في هذا الضرب من الشعر واحتذى حذوه الأبيوردي، وقد قيل إن الأبيوردي تلميذ المتنبي في الفخر ، وتلميذ الشريف الرضي في الغزل.

ومن شعر الرضي(ت 406 هـ)في الحنين إلى نجد وأهلها والغزل بحبيبته هناك ، هذه الأشواق:[1]

خذي نفسي يا ريح من جانب الحمى ... فلاقى بها ليلاً نسيمٌ ربا نجدِ
فإنَّ بذاك الحي إلْفاً عهِدتُهُ ... وبالرغمِ مني أن يطولَ به عهدي
ولولا تداوي القلب من ألم الجوى ... بذكر تلاقينا قضيتُ من الوجدِ

ويحن إلى نجد ويشتاق إلى مواطنه ويتمنى أن يلتقي الأحبة والصحاب هناك:[2]

يا قلبُ ما أنت من نجدٍ وساكنِه ... خَلَّفتَ نجداً وراءَ المدلِج الساري
راحت نوازعُ من قلبي تتبّعهُ ... على بقايا لُباناتٍ وأوطارِ
يا راكباني تعالا واقضيا وطَري ... وخبِّرانيَ عن نجدٍ بأخبارِ
هل روَّضتْ قاعةُ الوَعْساءِ أم مطرت ... جميلةُ الطَّلْحِ ذاتِ البانِ والغارِ

---

(1) ديوان الشريف الرضي 1/ 389 ط صارد، بيروت .

(2)الديوان 1/ 517 .

أم هـل أبيـتُ ودارٌ عنـدَ كاظِمـةٍ داري وسُـمَّارُ ذاك الحـيِّ سُـمَّاري

ومن أشواقه وحسراته على نجد وأهله قوله: [1]

آهـاً عـلى نفحـاتِ نجـدٍ إنهـا رُسُـلُ الهَـوى وأدِلَّـةُ الأشـواقِ

ويرى أن أشواقه وأوجاعه التي بالعراق لا شفاء لها ، فلربما وجد طبيبها في نجد: [2]

عَمْـتُ دوائـي بـالعراقِ فربَّمـا وجَـدْتمْ بنَجْـدٍ لي طبيبـاً مـداويا

(1)الديوان 1/ 389.

(2)الديوان 1/ 517.

نجد في شعر الطغرائي

وممن ذكر نجداً وحنَّ إليها كما حَنَّ معاصره الأبيوردي، الطغرائي (ت 513 هـ) يقول متغنياً بنجد ومواضعها وأهلها ويتغزل بحسانها ويصف مغانيها، وهي من جياد شعره:[1]

أيا حاديَ الأضعان غَرِّد فقد بدا ... لنا حَضَنٌ واستقبلتنا صَبا نجدِ
وبشَّرنا وَعْدٌ من المُزْنِ صادقٌ ... بواصٍ من الحَوذانِ والنَّفَلِ الجَعْدِ
وطارح رذاياها وقد مَلَّتِ السُّرى ... أغاريدَ يُغْرينَ الطلائحَ بالوَخْدِ
فإنَّ بذاكَ الجَوِّ فاتنةَ اللُّمَى ... أسيلةَ مجرى الدمعِ واضحةَ الخدِّ
إذا ما المدارَى خُضْنَ سُودَ لِمامِها ... خلَطْنَ فُتاتَ المِسْكِ بالعَنْبَرِ الوَرْدِ
لقد طالَ عهدي بالحِمى وحلولِهِ ... ولولا شقائي لم يطُلْ بهمُ عهدي
أسائلُ عنهُ من لقيتُ وعنهمُ ... متى جادَهُ غيثٌ وما فعلوا بعدي
هل اخضَرَّ واديهم فعاشوا بغِبْطةٍ ... أم استبدَلوا الصَّمَّانَ بالأجْرَعِ الفَرْدِ
وهل جَذوةُ النارِ التي يوقِدونها ... لها حيثُ شبُّوها دليلٌ على كَبدي
وهل نُغْبَةُ الماءِ التي يردونها ... على الحائمِ الحيرانِ ممنوعةُ الوِرْدِ
أقولُ لأصحابي غَداةَ تزافَروا ... رُوَيْدَكمُ إنَّ الهوى داؤه يُعدي
إذا ما قدَحْتُمْ نارَ وَجْدٍ فإنَّما ... شرارتُها فيكم وجَمْرَتُها عندي

ويقول متشوقاً إلى نجد ويذكر حنينه لها وقد بعد عنها وحُرم منها:[2]

أقولُ لهُ وأنضاءُ المِهارِ ... طلائحُ قد وَنَيْنَ من السَّفارِ
تعَزَّ أخا العُرَيْبِ فما بنجدٍ ... لنا أخرى الليالي من قَرارِ

(1) ديوانه ص 138ـ139.

(2) الديوان ص 168.

أنطمـعُ في شـميمِ عَـرارِ نجـدٍ ... وهل "بعدَ العشيةِ من عَرارِ"[1]
سـتطلبُ مـنهمُ داراً بـدارٍ ... فـتَرضَى دونهـم جـاراً بجـارِ
ومـا فـارقتُهم طوعـاً ولكـنْ ... قـضاءٌ مـا ملكـتُ لـه اختيـاري
هُمُـومٌ قـد مُنِيـتُ بهـا طِـوالٌ ... لأيـامٍ مـضينَ بـهِ قِـصارِ

ومن قصيدة غزلية رقيقة يعرِّج فيها على ذكر نجد ،ويحن إليها ويصف طبيعتها ومحاسن أرضها،وبطولة رجالها وكرمهم، وجمال صبيتها:[2]

يا حبَّذا نجـدٌ وأعـراقُ الثَّـرى ... لَـذْنٌ وأنفـاسُ النسيمِ رِقَـاقُ
فهـواؤهُ خَـصِرُ النسيمِ وتُـربُهُ ... حـالي الأديـمِ ومـاؤهُ رَقْـراقُ
وسـاكنيهِ إنِ استقَـرَّ بنـا النَّـوى ... تُـشْفَى النفـوسُ وتُمْـسَكُ الأرمـاقُ
والحـيُّ بالجَرْعـاء بـينَ بُيـوتِهم ... أُسْـدٌ وعِـيْنٌ جـآذِرٍ وعِتـاقُ
والبـيضُ أمثـالَ الخُـدودِ صـقيلةٌ ... والسُّمْرُ أشباهَ القُـدودِ رِشـاقُ
والجـودُ والإقـدامُ في فِتيـانهمْ ... والبُخْـلُ في الفتيـاتِ والإشـفاقُ
والرمـيُ في الأحْـداقِ دأبُ رُمـاتهم ... والراميـاتُ سِـهامُها الأحـداقُ

ويُذَكِّره البرقُ نجداً ومَـنْ بنجـد فيـشتاق إلى الحبيبـة، وتلومـه العاذلـة فيحاورهـا وتحاوره، ويبث أشواقه ويتحدث عن ذكرياته في نجد ومن حَلَّ نجداً:[3]

أرِقْـتُ لـبَرْقٍ لاحَ عَنِّـي وميـضُه ... وإنسانُ عيني في صَرَى الـدمعِ سابحُ
ومـا لاحَ لي إلا وبـينَ جَـوانحي ... جَوىً مثلُ سِرِّ الزَّنْـدِ أوراهُ قـادِحُ

وبعد أن يذكر آلامه وأشواقه يقول:

(1) يضمن بيت الصمة القشيري السابق ، شعراء قشير 2/ 179.

(2)الديوان 261.

(3) الديوان ص 108 - 110.

وعاذلةٍ هبَّتْ تـرومُ نـصيحتي ... وأعـوزُ شيءٍ مـا يـرومُ النواصِـحُ
تقـولُ: ألا يـصحو فـؤادُكَ بعـدما ... تـردَّتْ بـأفوافِ المـشيبِ المـسابحُ
فقلـتُ دعينـي والهـوى فجـوانحِي ... إليـهِ عـلى طـولِ العَنَـاءِ جَوانـحُ
ولا تـذكري نجـداً وطيـبَ هوائـهِ ... وقـد ضـاعَ وَهْنـاً رنْـدُهُ المتفـاوحُ
فبِـي طَـرَبٌ لـو أنَّ بـالعيسِ مثلَـهُ ... أطـارَ الـبُرى أنـضاؤهُنَّ الطلايـحُ
وبي شَـجَنٌ لـو كنـتُ مِمَّـنْ يُذيعُـهُ ... قليلاً لـسالتْ بالـشُّجونِ الأبـاطِحُ
وفي الجـيرةِ الأدنَـيْنِ هِيْـفٌ خـصورُها ... ثقيلاتُ مـا تحـتَ الخُـصورِ رواجِـحُ
بـرزْنَ بألحـاظِ العيـونِ نواشِـباً ... وهُـنَّ لأطـرافِ المـروطِ روامـحُ
جَلـونَ شُـفوفاً عـن شُـنوفٍ ونَقَّبَـتْ ... براقعَهـا تلـك العيـونُ اللـوامحُ
فلـم يملِـكِ العـينَ الطمـوحَ مجـاهِرٌ ... بفِـسْقٍ ولا الـنفسَ النقيـةَ صـالحُ
ولا غَـروَ أن يرتـاحَ للـصَّيدِ قـانصٌ ... إذا عَـنَّ ظبـيٌ بالـصَّريمةِ جـانحُ

ويذكر ديار الحبيبة في نجد وقد ذكَّره بها البرق الذي يجتاز على إضَـمٍ ويبلـغ نجـداً فيحن إلى الحبيب ويذكر محاسنه: (1)

يـا صـاحبيَّ أعينـاني عـلى سَـكَنٍ ... إذا شكوتُ إليـه زادني مرَضـا
ظَبْـيٌ غَريـرٌ إذا حاولـتُ غـرَّتَـهُ ... أرسلتُ طرفيَ سـهماً وانثنى غَرَضـا
مـا لي وللـبرقِ مُجْتَـازاً عـلى إضَـمٍ ... يَسْري ويمري جفـوني كُلَّـما وَمَـضا
برقٌ يلـوحُ بنَجْـدٍ والحِمـى وطنـي ... يهفو بلُـبِّي وقلبي كُـلَّما عَرَضـا
مَنْ مبلغُ الحيِّ شطَّتْ دارُهـم ورضـوا ... بالجارِ جاراً ومـا أرضى بهـم عِوَضـا
ما طابَ عـنكم فـؤادٌ طـابَ قـبلَكمُ ... عن الرَّضـاعِ تقَضَّى والـشَّبابُ مـضَى

ويتذكر أيامه في نجد حين شدَّ الرحال ووصل أرض الأحبة ،وتنسم أنسام البادية وما فيها من أريج نباتها وعليل هوائها ، ويفوح العطر حين ترعد السماء وينـزل القطـر ،

(1) ديوانه ص 213-214.

فحبذا العيش هناك، فتلك جنته بين أحبابه الذين يحن إليهم أبداً ، وهذه قطعة من قصيدة من طوال وجياد قصائده: [1]

ألا حبَّذا شدُّ الركائبِ ضَحْوَةً ... وللظِلِّ في أخفافِهِنَّ مَقِيلُ
ومُذْقَةُ ظِلٍّ بينَ غُصْنَيْ أراكةٍ ... وقد كاد ميزانُ النهارِ يميلُ
ومن شِيْحِ نجدٍ نفحةٌ سَحَرِيَّةٌ ... تساهَمَ فيها شَمْأَلٌ وقَبُولُ
ومُرْ تَجزِ بالرَّعدِ يرضِعُ درَّهُ ... نباتَ رياضٍ مسَّهُنَّ ذُبُولُ
وعاجَةِ عودي ولم تدرِ أنَّهُ ... صليبٌ يَرِدُّ الناب وهو كليلُ
تُخَوِّفُني رَيْبَ الزمانِ وأنَّهُ ... شروبٌ لأشلاءِ الكِرامِ أكولُ
وتأمرني بالمال أوكي عيابَهُ ... وهيهاتَ منِّي أن يقالَ بخيلُ

وهكذا فإن لنجد في شعر الطغرائي نصيب وافر ، وكان خيرُ شعره غناءً بنجد وأهلها ومرابعها وغيدها الحسان.

نجد في كتاب المنازل والديار

وجاء ذكر نجد متفرقاً غير مجموع، في ثنايا كتاب أسامة بن منقذ (ت 584 هـ) نذكر ما جاء من ذلك في شعر الشعراء:

قال أبو زياد الطائي: [2]

أحَقّاً عبادَ الله أنْ لستُ ناسِياً ... بلادي ولا قَوْمي ولاساكِناً نجدا؟!
ولا ناظراً نحوَ الحِمَى اليومَ نظرةً ... أسَلِّي بها قلبي ولا مُحْدِثاً عَهْدا
بلادٌ بها نِيطَتْ عليَّ تمائمي ... وكان بها عَصْرُ الصِّبَى نَضِراً رَغْدا
بلادٌ بها قومي وأرضٌ أُحِبُّها ... وإنْ لم أجِدْ من طولِ هِجْرَتِها بُدّا

(1) ديوانه ص 280.

(2) المنازل والديار ص 246.

وقال صدقَة بن نافع الغَنَوي:[1]

ألا ليتَ شِعري هل أُسَيِّرَنَّ ناقتي ... ببيضاءِ نجدٍ حيثُ كان مَسِيرُها
بلادٍ بها أنضيتُ راحِلةَ الصِّبَى ... ولاقَتْ لنا أيّامُها وشُهُورُها
فقَدْنا بها الهَمَّ المُضِلَّ وشُرْبَهُ ... ودارَ علينا بالنَّعيمِ سُرورُها

أنشد المبرد، قال أنشدتني القريظية:[2]

سقى اللهُ نجداً من ربيعٍ وصَيِّفٍ ... وماذا تُرَجِّي من ربيعٍ سَقَى نجدا
على أنَّهُ قد كان للعَيْشِ مرَّةً ... وللبِيْضِ والفِتْيانِ منزلةً حَمْدا

وقال أبو نباتة الكلابي:[3]

أرَيْتَكَ إنْ نجداً ألَظَّ بأهلِهِ ... وحَرَّتِهِ العُليا الغيوثُ الرَّواجِسُ[4]
وعادَ نباتُ الأرضِ رَطْباً كأنَّهُ ... إذا اطَّردتْ فيه الرِّياحُ الطَّيالِسُ
أمُطَّلِعٌ تلك الديارَ فناظرٌ ... إلى أهلها أم أنتَ من ذاك آيسُ

وقال أبو تمام:[5]

شَهِدتُ لقد أقوتْ مغانيكمُ بعدي ... ومَحَّتْ كما محَّتْ وشائعُ من بُرْدِ[6]
فأنجدْتُمُ من بعد إتهامِ دارِكمْ ... فيا دَمْعُ أنجِدْني على ساكِني نجدِ
لَعَمْري لقد أبلَيْتُمُ جِدَّةَ البُكا ... بِلايَ وجَدَّدْتُم عليَّ بِلَى الوَجْدِ

---

(1) المنازل والديار ص 247.

(2) المنازل والديار ص 46.

(3) المنازل والديار ص 82.

(4) ألظ به: أقام به ولزمه وألح عليه، الرواجس الشديدة الصوت والرعد.

(5) المنازل والديار ص 101، ديوانه 2/ 109.

(6) شهدت: حلفت، محت: أخلقت، الوشائع: خيوط الثوب.

وقال قعنب بن أم صاحب:[1]

قد كنتُ أقصرْتُ عن نجدٍ فهيَّجني ... على تذَكُّرِها الخَفَّانُ والحَضَنُ[2]

لمَّا وردتُ بِلاداً لَسْتُ أعرِفُها ... وشاقَني ذِكْرُ أُخرى هاجَ لي حَزَنُ

فقلتُ قد حانَ من أرضٍ وُلِدتُ بها ... أوبٌ وقد حانَ من صَرْفِ النَّوى قَرَنُ[3]

عَلَّ النَّوَى بكِ يوماً أنْ تَربعَ فقد ... تَدْنُو الغريبةُ حتَّى يَدْنُوَ الوطنُ[4]

وقال رجل من تميم:[5]

حَنَّتْ قَلوصي في عَدَانٍ إلى نجدِ ... ولم يُنْسِها أوطانَها قِدَمُ العَهْدِ[6]

إذا شِئْتُ لاقيتُ القَلُوص ولا أرى ... لقومِيَ أشْبَاهاً فيألَفُهمْ وُدِّي

وهكذا كان لنجد في ذاكرة الشعر العربي مكانةٌ مرموقة، فنجد رمز الحنين إلى الوطن والأصل والنقاء، ونجد رمز الحياة البريئة الطاهرة العفيفة الخصبة ، ورمز الجمال والحب والعفة، حفظ الله نجداً وساكنيها ومن يحنُّ إليها. وليس هذا كل ما قيل في نجد فهناك شعر كثير في دواوين الشعراء ، نكتفي بما مر من شعر بديع رائع.

---

(1) المنازل والديار ص 210.

(2) خفان: موضع قرب الكوفة ، حضن: جبل بأعلى نجد.

(3) القرن: الجمع والاقتران

(4) تربع: ترجع.

(5) المنازل والديار ص 226.

(6) عدان: موضع في ديار بني تميم.

الحنين إلى العراق، وبغداد خاصة

العراق أصل الحضارة ومنبع العلوم وأول بلد عرف العلم والكتابة،وأول من سن القوانين، وكان إشعاع نوره أن ملأ الأرض وعمَّ خيره بقاع الدنيا، وبعد قرون من أمجاد العراقيين الأوائل عُرفت بغداد درة العواصم وأجمل مدن الدنيا، وأكثرها خيراً وعطاء، وكانت مدينة المنصور وبقيت على مرور الزمان أم الدنيا ومصدر الإشعاع للخير والعلم، منها شعت أنوار الحضارة، وفيها عرف الفن وزها الشعر، وكانت منارة الدنيا ومقصد العلماء ومهوى الأفئدة، ورغم ما نزل بها من مصائب وكوارث، وما أصابها من اجتياح وعدوان من الهمج الغزاة، فإنها سرعان ما تنهض وتعاود ازدهارها وأمجادها، فيشع نورها وتزدهر حضارتها وعلومها من جديد ليشمل ما حولها من دول وأمم. بارك الله في بغداد أم الخير والأمجاد التي يحن إليها كل من زارها أو سكنها أو تنعم بخيرها و نهل من علمها، وما من أحد من العلماء والأدباء زارها أو أقام فيها قليلاً أو كثيراً إلا أحبها وأحب أهلها،وأحب كل خير فيها، فقد زارها كثرة من علماء العرب وأدبائها وشعرائها فأحبوها وحنُّوا إليها، ولا يُقرُّ لها ويحن إليها إلا الكرام الأصلاء الأوفياء ذوو الأصول الكريمة، ودع عنك الطَّغام اللئام من وحوش الأرض الذين يتربصون بها، ويوجهون إليها سهام الغدر والخيانة والكيد اللئيم.

ولنقرأ الصفحات الخيِّرة من الشعر الذي قاله فيها المحبون والمعجبون من أهلها ومن زائريها، وشعر الحنين إلى بغداد وأهلها كثير وكثير وسنكتفي بالمختار منه «وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق»[1]

(1) الميداني: مجمع الأمثال 1/ 196.

من القدماء

الأبيوردي

ومن أشهر الشعراء الذين كثر حنينهم إلى العراق، وإلى بغداد خاصة الشاعر الأبيوردي، أبو المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق (ت 507 هـ)، كتب من أصفهان إلى صديقه في بغداد مدينة السلام، من قصيدة طويلة، نظر إلى السماء ورأى البرق يضيء فهيَّج أشجانه وحنينه،نقتطف منها قوله: [1]

أضاء بُريقٌ بالعُذَيْبِ كليلُ ... فثِنْيُ نِجادي للدموعِ مسيلُ

تناعسَ في حِضْنِ الغمامِ كأنَّهُ ... حسامٌ رَميضُ الشَّفْرَتينِ صقيلُ [2]

يُنيرُ سَناهُ منزلَ الحَيِّ باللِّوى ... ويُسْديهِ مِرْزامُ العَشِيِّ هَطولُ [3]

تألَّقَ نجدياً فحنَّتْ نويقَةٌ ... يُجاذِبُها فضْلَ المِراحِ جديلُ

وبي ما بها من لوعةٍ وصَبابةٍ ... ولكنَّ صَبْرَ العَبْشَمِيِّ جميلُ

وما لِيَ إلا البرقُ يسري أوالصَّبا ... إلى حيثُ يسْتَنُّ الفُراتُ سبيلُ

ويذكر حنينه لبغداد وأهلها وما يعانيه من شوق، و ينفِّس بالبكاء عن لوعة أشجانه:

فقلْ لأخلاَّئي ببغدادَ هل بكم ... سُلُوٌّ ؟ فعندي رَنَّةٌ وعويلُ

تُرَنُّحُني ذِكراكُمُ فكأنَّما ... تميلُ بيَ الصَّهْباءُ حينَ أميلُ

لئنْ قَصُرتْ أيامُ أُنسي بقُرْبِكمْ ... فليلي على نأيِ المَزارِ طويلُ

وحولِيَ قومٌ يعلمُ اللهُ أنَّني ... بهم — وهم يكثرونَ — قليلُ

إذا فتَّشَ التجريبُ عنهم تشابهتْ ... سجايا كأطراف الرماح شُكولُ

---

(1) ديوان الأبيوردي 1/ 567 — 571.

(2) رميض: حاد .

(3) المرزام: الغمام المرعد.

وقال يذكر حنينه إلى العراق، ووجده ببغداد وهو في طريقه إليها: [1]

عَرَضَتْ ناشِئَةُ المُزْنِ لنا ... فاستَهَلَّتْ من أُصَيْحابي دُموعُ
هَزَّهمْ بالمَرْجِ ذكرى بابلٍ ... أنَّها مرمىً على العيسِ شَسُوعُ[2]
فتجاذَبْنا على أكوارِها ... ذِكَراً تنقَدُّ منهُنَّ الضُّلوعُ
وسَرى الطَّيْفُ فلم تَشْعُرْ بهِ ... مُقَلٌ لم يَسْرِ فيهنَّ الهُجوعُ
يستعيرُ الماءَ من أجفانها ... عارِضٌ داني الرَّبابَيْنِ هَمُوعُ
ومن النارِ التي تُضْمِرُها ... أضْلُعي يقْتَبِسُ البَرْقُ اللَّمُوعُ
لا سُقيْتُنَّ الحَيَا من إبلٍ ... تَذْرَعُ الأرضَ بصَحْبي وتَبوعُ[3]
فارقتْ بغدادَ والقلبُ بها ... كَلِفٌ، لا فارقَتْهنَّ النُّسوعُ[4]
وبنا شوقٌ إليها وبها ... مِثْلُهُ لا أجدبَتْ منها الرُّبوعُ
وغَدَتْ تمري بها أخلافَها ... سُحُبٌ تشْرَقُ منهُنَّ الضُّروعُ
ولَئِنْ غِبْنا فكَمْ من ضاعِنٍ ... ولهُ بعدَ تنائيهِ رُجوعُ
إنَّما نحنُ بُدُورٌ وكذا ... شِيْمَةُ البَدْرِ مغيبٌ وطُلوعُ

وقال يشكو الغربة ويحن إلى وطنه وقد هَيَّج العيدُ أشجانه: [5]

الناسُ بالعيدِ مسرورونَ غيرَ فتىً ... يَشُفُّهُ في إسارِ الغُرْبَةِ الحَزَنُ
وبينَ جَنْبَيْهِ هَمٌّ لا يبوحُ بهِ ... فَفَرْحَةُ المَرْءِ حيثُ الأهْلُ والوَطَنُ
ولا اغترابَ علينا فالبِلادُ لنا ... فتوحُها وبنا يُسْتَرْحَبُ العَطَنُ[6]

---

(1) الديوان 2/ 19 ــ 20.

(2) بابل: مدينة في العراق، حاضرتها الآن الحِلَّة، شسوع: بعيدة.

(3) باع البعير والفرس: إذا مدَّ باعه في سيره، وكذلك ذرع إذا مدَّ راعه.

(4) يدعو على الإبل بالتعب من السير لأنها غَيَّبَتْه عن بغداد، والنسوع: السيور العريضة التي تشد بها الرحال على الناقة.

(5) الديوان 2/ 83 ــ 84.

(6) يقال: فلان واسع العطن، إذا كان رحب الذراع، وأصل العطن: مبرك الإبل، ومربض الغنم.

إذْ لم تكـنْ قَبْلنـا بالمجْـدِ حاليـةً ... ولا لهـا منظـرٌ مـن بعْـدِنا حَـسَنُ
والأرضُ تُزْهَى بنـا أطرافُهـا فمتَـى ... نَمِـلْ إلى الـشامِ يحْـسُدْها بنـا الـيَمَنُ
وتلـكَ دارٌ ورثناهـا معاويَـةً ... لكنَّ كوُفَنَ ألقانا بهـا الـزمنُ[1]
أصـبو إليهـا وأشـواقي تُـبَرِّحُ بي ... وتمنَـعُ العَـيْنَ أنْ يعْتادَهـا الوَسَـنُ
فليـتَ شـعري وليـتٌ غـيرُ نافعـةٍ ... هل يبدُوَنَّ لعَيْنَيْ مُنْجِـدٍ حَـضَنُ[2]
وهلْ أُنيخُ ببـابِ القَـصْرِ ناجيَـةً ... مُناخُها فيهِ من صَوبِ الحَيَا قَمِنُ ؟
هنالكَ الهـضَباتُ الحُمْـرُ لـو هَتَفَـتْ ... بالـمَـيْتِ راجَعَ فيها روحَـهُ البَـدَنُ

وقال في الحنين إلى الوطن ويشكو البعد والغربة:[3]

يا ريـمُ مـالِيَ إلا بـالهوى شُـغُلُ ... فَمُنْيَةُ النَّفْسِ حيـثُ الأعْـيُنُ النُّجُـلُ
لولاكِ ما غَرِقَـتْ في الـدمعِ إذْ أرِقَـتْ ... مـدَامِعٌ لم يُغازِلْهـا الكَـرى هُطُـلُ
وبالفؤادِ أنـاةٌ حـينَ أجذِبُـهُ ... إلى السُّلُـوِّ ولكـنْ أدمُعـي عُجُـلُ
فمَـنْ لِـصَـبٍّ بكَـى شـوقاً إلى بلَـدٍ ... أقَمْتُ فيهِ وسُـدَّتْ دونَـهُ الـسُّبُلُ
إذا الـصَّبا نَـسَمَتْ فـاقْرأْ تحِيَّـتَهُ ... فما لـهُ غيرُ أنفـاسِ الـصَّبا رُسُـلُ

وقد جمع ياقوت الحموي أشعاراً كثيرة وأوصافاً في ذكر بغداد وأهلها وبنائها وأنهارها ومزارعها وقصورها، فأرفد المتعطشين إلى بغداد وساكنيها بأوصاف وأشعار، نغترف منها ما تيسر، من ذلك ما قاله الشعراء العباسيون في مدحها والحنين إليها، منهم عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفى (ت 239 هـ) الذي يقول:[4]

---

(1) ورثناها معاوية: أي من معاوية، والشاعر يعود نسبه إلى معاوية، وكوفن: بليدة صغيرة بخراسان على ستة فراسخ من أبيورد التي نسب إليها الشاعر الأبيوردي. معجم البلدان: كوفن.

(2) حضن: جبل شامخ بنجد. معجم البلدان: حضن.

(3) الديوان 2/ 118.

(4) ياقوت: معجم البلدان (بغداد) 1/ 460 ــ 461.

أعاينتَ في طولٍ من الأرضِ والعَرْضِ ... كبغدادَ من دارٍ بها مسكنُ الخَفْضِ ؟
صفا العيشُ في "بغدادَ" واخضَرَّ عودُهُ ... وعيشُ سِواها غيرُ خَفْضٍ ولا غَضِّ
تطولُ بها الأعمارُ إنَّ غِذاءَها ... مَريءٌ وبعضُ الأرضِ أمرأُ من بعضِ
قضى ربُّها أن لا يموتَ خليفةٌ ... بها، إنَّهُ ما شاءَ في خَلْقِهِ يقضي
تنامُ بها عينُ الغريبِ ولا ترى ... غريباً بأرضِ الشامِ يطمعُ في الغَمْضِ
فإنْ جُزِيَتْ بغدادُ عنهم بقَرْضِها ... فما أسلَفَتْ إلا الجميلَ من القَرْضِ
وإنْ رُمِيَتْ بالهَجْرِ منهم وبالقِلَى ... فما أصبحتْ أهلاً لهَجْرٍ ولا بُغْضِ

وقال عمارة بن عقيل أيضاً يصف بغداد: [1]

ما مثلُ بغدادَ في الدنيا ولا الدينِ ... على تقلُّبها في كل ما حينِ
ما بين قُطْرُبُّل فالكرخِ نَرجِسَةٌ ... تَنْدَى ومَنْبِتُ خِيريٌّ ونسرينِ
تحيا النُّفوسُ بِرَيَّاها إذا نَفَحتْ ... وحُرِسَتْ بينَ أوراقِ الرَّياحينِ
تَسْتَنُّ "دِجلَةُ" فيما بينها فترى ... دُهْمَ السَّفينِ تعَالى كالبَراذينِ
مناظرٌ ذاتُ أبوابٍ مُفَتَّحةٍ ... أنيقةٍ بزخارِيفٍ وتَزْيينِ
فيها القُصورُ التي تَهوي بأجنِحَةٍ ... بالزائرين إلى القومِ المزورينِ
من كلِّ حَرَّاقَةٍ يعلو فَقَارَتَها ... قَصْرٌ من السَّاجِ عالٍ ذو أساطينِ

وقال ابن زريق الكاتب الكوفي: [2]

سافرتُ أبغي لبغدادٍ وساكنها ... مِثْلاً قد اخترتُ شيئاً دونَهُ الياسُ
هيهاتَ بغدادٌ الدنيا بأجمعها ... عندي وسكانُ بغدادٍ همُ الناسُ

وقال آخر: [3]

---

(1) ياقوت 1/ 462.

(2) ياقوت 1/ 461.

(3) ياقوت 1/ 461 ــ 462.

أبغـدادُ يـا دارَ الملـوكِ ومُجْتَنَـى صنوفِ المُنَى يـا مُسْتَقَرَّ المنابِرِ
ويا جَنَّـةَ الدنيـا ويـا مُجْتَـنَى الغِنَى ومنبَسِطَ الآمـالِ عنـد المتـاجِرِ

وقال طاهر بن المظفَّر بن طاهر الخازن يصف بغداد:[1]

سـقى اللهُ صَـوْبَ الغاديـاتِ محلَّـةً ببغدادَ بينَ الخُلْدِ والكَرْخِ والجِسْرِ
هي البلـدةُ الحسناءُ حُفَّـتْ لأهلِهـا بأشياءَ لا يُجْمَعْنَ مُـذْ كُـنَّ في مِصْرِ
هواءٌ رقيـقٌ في اعتـدالٍ وصحَّـةٍ وماءٌ لـهُ طَعْمٌ ألَـذُّ من الخَمْـرِ
ودِجْلَتُها شَطَّـانِ قـد نُظِمـا لنـا بتاجٍ إلى تـاجٍ وقـصْرٍ إلى قَـصْرِ
ثراهـا كمِـسْكٍ والميـاهُ كفِـضَّـةٍ وحَصْباؤهـا مثْلُ اليواقيتِ والـدُّرِّ

وقال أبو نواس الحسن بن هاني (ت 198):[2]

وقائلٍ هل تُريـدُ الحَجَّ قلـتُ لـهُ نعـم إذا فَنِيَـتْ لـذَّاتُ بغـدادِ
أما وقُطْربُـلٌّ منها بحيثُ أرى فقُبَّـةُ الفِـرْكِ مـن أكنـافِ كِلْـوادِ[3]
فالـصالحيَّةُ فـالكَرْخُ التـي جمعـتْ شُـذَّاذَ بغـدادَ مـا هُـمْ لي بـشُذَّاذِ
فكيفَ بالحَجِّ لي مـا دُمْـتُ مُنْغَمِـساً في بيـتِ قَـوَّادةٍ أو بيـتِ نَبَّـاذِ[4]
وهَبْكَ من قَـصْفِ بغـدادٍ تُخَلِّـصُني كيفَ التخَلُّصُ لي مـن طيرنابـاذِ ؟[5]

وقال مطيع بن إياس الكناني (ت 166 هـ)، يذكر مجلس ترف وطرب في بغداد:[6]

---

(1)ياقوت 1/ 463.

(2)ديوانه ص 167 ط الغزالي.

(3) الفرك: قرية قرب كلواذ. وكلواذ: أرض أو قرية قرب بغداد.

(4) النبَّاذ: الذي يعصر النبيذ ويبيعه.

(5) قصف بغداد: لهوها ومتعها. طيرناباذ: موضع بين القادسية والكوفة ، والمواضع المذكورة كلها مشهورة بالكروم والحانات.

(6) الأغاني 13/ 326.

ويـــومٍ ببغـــدادَ نَعِمْنـــا صـــباحَهُ ... على وجهِ حوراءِ المدامعِ تُطْرِبُ
ببيـــتٍ تـــرى فيـــه الزجـــاجَ كأنَّـــهُ ... نجومُ الدُّجى بين الندامى تَقَلَّبُ
يُـــصَرِّفُ ســـاقينا ويقطِّـــبُ تـــارةً ... فيا طيبَها مقطوبةً حينَ يقطِّبُ[1]
علينـــا ســـحيقُ الزَّعْفـــرانِ وفوقَنـــا ... أكاليـــلُ فيهـــا الياســـمينُ المُذَهَّـــبُ
فما زلتُ أُســقَى بـينَ صَـنْجٍ ومِزْهَـرٍ ... من الرَّاحِ حتى كادتِ الشمسُ تغْرُبُ

وقال علي بن جَبَلة المعروف بالعَكَوَّك (ت 213هـ) وقد ارتحل من بغداد:[2]

لهفـــي عـــلى بغـــدادَ مـــن بلـــدةٍ ... كانـــت مـــن الأســـقامِ لي جُنَّـــهْ
كأنَّـــني عنـــد فِـــراقي لهـــا ... آدمُ لـــمَّا فـــارقَ الجَنَّـــهْ

وفي بعض نساء بغداد وترفهن ونزههن، قيل:[3]

آهاً على بغدادِها وعِراقها ... وظبائها والـــــسِّرِّ في أحـــــداقِها
ومجالهـــا عنـــد الفـــراتِ بأوجُـــهٍ ... تبـــدو أهِلَّـــتُها عـــلى أطواقِهـــا
متبخـــتراتٍ في النعـــيمِ كأنَّمـــا ... خُلِقَ الهـــوى العُـــذْريُّ مـــن أخلاقِهـــا
نفـــسي الفِـــداءُ لهـــا فـــأيُّ محاســـنٍ ... في الدَّهْرِ تشرُقُ مـن سـنا إشراقِهـا

وباب الطَّاق محلة من محال بغداد، وصفها القزويني في آثار البلاد وأخبار العباد، بقوله وذكر قصة عبد الله بن طاهر وشعره: «كان بها سوق الطير، فاعتقدوا أن مَنْ تعسَّرَ عليه شيء من الأمور فاشترى طيراً من باب الطاق وأرسله، سهل عليه ذلك الأمر، وكان عبد الله بن طاهر (عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ت 230 هـ) قد طال مقامه ببغداد،

---

(1)يقطب: أي يمزج.

(2) الآلوسي: بغداد في الشعر العربي ص 24 ،و لم يرد البيتان في ديوان علي بن جبلة تحقيق حسين عطوان ، ط3 دار المعارف مصر 1982 .

(3) الآلوسي: بغداد ص 32.

ولم يحصل له إذن الخليفة، فاجتاز يوماً بباب الطاق فرأى قُمرية تنوح، فأمر بشرائها وإطلاقها، فامتنع صاحبها أن يبيعها إلا بخمس مئة درهم، فاشتراها وأطلقها، وقال: [1]

ناحت مُطَوَّقةٌ بباب الطَّاقِ ... فجَرَتْ سوابِقُ دمعيَ المُهْراقِ
كانت تغَرِّدُ بالأراكِ وربَّما ... كانت تغَرِّدُ في فروعِ السَّاقِ
فرمى الفِراقُ بها العراقَ فأصبحتْ ... بعد الأراكِ تنوحُ في الأسواقِ
فُجِعَتْ بأفراخٍ فأسبَلَ دمعُها ... إنَّ الدموعَ تبوحُ بالمشتاقِ
تَعِسَ الفِراقُ وبُتَّ حَبْلُ وتينِهِ ... وسقاهُ من سُمِّ الأساوِد ساقِ
ماذا أرادَ بقصدِهِ قُمْريَّةً ... لم تدرِ ما بغدادُ في الآفاقِ
بي مثلُ ما بكِ يا حمامةُ فاسألي ... مَنْ فَكَّ أسْرَكِ أنْ يحُلَّ وِثَاقِ

وصحب إسحاق بن إبراهيم الموصلي (ت 235 هـ) الخليفة الواثق، فقال في الحنين والشوق إلى بغداد: [2]

أتبكي على بغداد وهي قريبةٌ ... فكيفَ إذا ما ازدَدْتَ منها غداً بُعْدا
لَعَمْرُكَ ما فارَقْتُ بغدادَ عن قِلَى ... لوَ انَّا وجدنا عن فِراقٍ لها بُدَّا
إذا ذكَرتْ بغدادَ نفسي تقطَّعَتْ ... من الشوقِ أو كادتْ تموتُ بها وَجْدا
كفى حَزَنَاً أن رُحْتُ لم أستَطِعْ لها ... وَداعاً ولم أُحْدِثْ بساكنِها عَهْدا

ومن القصائد الذائعة في بغداد والرصافة وجسرها وما فيها من غزل شائق ووصف رائع رائق قصيدة علي بن الجهم (ت 249 هـ)، وقد جمعها خليل مردم محقق الديوان من مصادر شتى وبلغت ثلاثة وأربعين بيتاً، نكتفي بمقدمتها: [3]

---

(1) الآلوسي ص 33 ،و الأبيات منسوبة إلى بعض الأدباء في الزهرة I/ 331 مع خلاف يسير في الرواية رترتيب الأ ١ ٠ .

(2) الأغاني 5/ 368.

(3) ديوان علي بن الجهم ص 220ـــ 223، تحقيق خليل مردم ، ط2 دار الآفاق الجديدة، بيروت 1980م.

عيونُ المَهَا بين الرُّصافةِ والجِسْرِ ... جَلَبْنَ الهَوى من حيثُ أدري ولا أدري
أعَدْنَ لِيَ الشَّوْقَ القديمَ ولم أكُنْ ... سَلَوْتُ ولكنْ زِدْنَ جَمْراً على جَمْرِ
سَلِمْنَ وأسْلَمْنَ القُلوبَ كأنَّما ... تُشَكُّ بأطرافِ المُثَقَّفةِ السُّمْرِ
وقُلْنَ لنا نحنُ الأهِلَّةُ إنَّما ... نُضيءُ لمن يَسْري بليلٍ ولا تَقْري
فلا بَذْلَ إلاَّ ما تَزَوَّدَ ناظرٌ ... ولا وَصْلَ إلا بالخَيالِ الذي يَسْري
أزَحْنَ رسيسَ القلبِ عن مُسْتَقَرِّهِ ... وأثْبَتْنَ ما بينَ الجَوانحِ والصَّدْرِ
فلو قَبْلَ أن يبْدو المشيبُ بَدَأنني ... بيَأسٍ مُبِيْنٍ أو جَنَحْنَ إلى الغَدْرِ
ولكنهُ أودى الشبابُ وإنَّما ... تُصادُ المَها بينَ الشَّبيبةِ والوَفْرِ

إلى آخر القصيدة.

وقال ابن الرومي (علي بن العباس ت 283هـ) يذكر بغداد وخيرها، وكان في بعض أسفاره:[1]

بلدٌ صَحِبْتُ به الشبيبةَ والصِّبا ... ولَبِسْتُ فيهِ العَيْشَ وهو جديدُ
فإذا تمثَّلَ في الضَّميرِ رأيتُهُ ... وعليهِ أفنانُ الشَّبابِ تميدُ

وقال محمد بن داود الأصبهاني (ت 297 هـ)يحن إلى الكرخ في بغداد:[2]

يهيمُ بذكرِ الكَرْخِ قلبي صَبابَةً ... وما هو إلا حُبُّ من حَلَّ بالكَرْخِ
ولستُ أُبالي بالرَّدى بعدَ فَقْدِهِمْ ... وهل يجزعُ المذبوحُ من ألمِ السَّلْخِ ؟

وأضاف إليهما عبيد الله بن عبيد الله الحافظ بيتين آخرين وهما:

أقولُ وقد فارقْتُ بغدادَ مُكْرَهاً ... سلامٌ على أهلِ القطيعةِ والكَرْخِ

(1) ديوان ابن الرومي 1/ 496 ط دار الكتب العلمية، بيروت 1994م.

(2)ياقوت كرخ بغداد 4/ 448 ، والأبيات مع خلاف في الزهرة 1/ 406 ،وفيها: ولبعض أهل العصر، ومحمد بن داود هو نفسه صاحب كتاب الزهرة.

هـوايَ ورائـي والمـسيرُ خلافُـهُ فقلبـي إلى كَـرْخٍ ووجهـي إلى بَلْـخِ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزاعي (ت 300 هـ) يحن إلى بغـداد ويجـزع من فراقها، وقد عُيِّن والياً على اليمن: [1]

أيرحـلُ آلـفٌ ويُقـيمُ إلْـفُ وتحيـا لوعـةٌ ويمـوتُ قَـضْفُ ؟
عـلى بغـدادَ دارِ اللهـوِ مـنِّي سـلامٌ مـا سـجا للعـينِ طَـرْفُ
ومـا فارقْتُهـا لقـلىً ولكـنْ تنـاولني مـن الحَدَثـانِ صَرْفُ
ألا رَوْحٌ ألا فَـرَجٌ قريـبٌ ألا جـارٌ مـن الحَـدثانِ كَهْـفُ
لعـلَّ زماننـا سـيعودُ يومـاً فيرجـعُ آلِـفٌ ويُـسَرُّ إلْـفُ

فبلغ الوزير هذا الشعر فأعفاه.

وفي حبِّ بغداد والحنين إليها يقول علي بن محمد بـن خلـف النيرمـاني (ت 414 هـ) مفضلاً بغداد على كل مدن الدنيا: [2]

خليليَّ في بغـدادَ هـل أنـتما ليـا على العهدِ مثلي أم غـدا العهـدُ باليـا
وهل ذرفتْ يـومَ النَّـوَى مُقْلَتاكُمـا عليَّ كمـا أُمسي وأُصبحُ باكيـا
وهـل أنـا مـذكورٌ بخـيرٍ لـديكما إذا مـا جـرى ذكْرٌ لمن كـان نائيـا
فِدىً لـكِ يـا بغـدادُ كـلُّ مدينـةٍ من الأرضِ حتى خُطَّتي وديـاريـا
فقـد طُفْـتُ في شرقِ الـبلادِ وغَرْبِهـا وسيَّرْتُ خيلي بينهـا وركابيـا
فلم أرَ فيهـا مثـلَ بغـدادَ منـزلاً ولم أرَ فيها مثلَ دجلـةَ واديـا
ولا مثـلَ أهليهـا أرَقَّ شمائـلاً وأعْـذَبَ ألفاظـاً وأحلَى معانيـا
وكم قائـلٍ: لـو كـان وُدُّكَ صادقـاً لبغـدادَ لم ترحَـلْ، فقلـتُ جوابيـا:
يُقيمُ الرجـالُ المـوسَرونَ بأرضِـهمْ وترمي النَّـوى بـالمُقْترينَ المراميـا

(1) ياقوت 1/ 463.

(2) ياقوت 1/ 464، فوات الوفيات 2/ 75 .

وأما القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي المالكي (ت 422 هـ)، فقد نبا به المقام ببغداد، فرحل إلى مصر، فخرج البغداديون يودعونه، وجعلوا يتوجعون لفراقه، فقال: والله لو وجدت عندكم في كل يوم مُدَّاً من الباقِلِّي ما فارقتكم،وأنشد في رحلته هذه أبياتاً فيها حنين إلى بغداد وحسرة على فراقها: [1]

سلامٌ على بغدادَ من كلِّ منزلٍ ... وحقَّ لها مِنِّي السلامُ المضَاعَفُ
فوالله ما فارقتُها عن قِلَىً لها ... وإنِّي بشَطَّيْ جانبَيْها لَعارِفُ
ولكنَّها ضاقَتْ عليَّ برُحْبِها ... ولم تكنِ الأرزاقُ فيها تُساعفُ
وكانت كَخِلٍّ كنتُ أهوى دُنُوَّهُ ... وأخلاقُهُ تنأى به وتُخالِفُ

وشاعر آخر يذكر طيب هوائها وشوقه إليها : [2]

طيبُ الهواءِ ببغدادٍ يشَوِّقُني ... قُرْباً إليها وإنْ عاقَتْ مقاديرُ
وكيفَ أرحَلُ عنها اليومَ إذْ جمعَتْ ... طيبَ الهواءَيْنِ: ممدودٌ ومقصورُ [3]

وزار أبو العلاء المعري (ت 449 هـ) بغداد بعد أن اكتهل وجاوز شرخ الشباب، وسعد بمجالس علمها، وأثرى مجالسه بآرائه وعلمه وشعره، وقال يتَشَوَّق إلى العراق وإلى بغداد من قصيدة: [4]

كلِفْنا بالعِراقِ ونحنُ شَرْخٌ ... فلم نُلْمِمْ به إلا كُهولا
ورَدْنا ماءَ دجْلَةَ خيرَ ماءٍ ... وزُرْنا أشْرَفَ الشَّجرِ النَّخيلا
وزُلْنا بالغَليلِ وما اشتفَيْنا ... وغايةُ كلِّ شيْءٍ أنْ يزولا [5]

---

(1) ياقوت 1/ 462.

(2)ياقوت 1/ 463.

(3)أراد بالممدود: الهواء ، وبالمقصور: الهوى وهو الحب.

(4)سقط الزند ص 270 ــ 272، شرح أحمد شمس الدين، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1990م.

(5) زلنا بالغليل: أي فارقنا العطش.

وقال أثناء إقامته بالعراق يذكر شوقه إلى المعرَّة، وسروره في إقامته ببغداد: [1]

طَـرِبْنَ لـضوء البـارقِ المتعـالي ... ببغـدادَ وَهْنـاً مـا لهـنَّ ومـالي
سَـمَتْ نحـوه الأبـصارُ حتـى كأنَّمـا ... بنارَيْـهِ مـن هَنَّـا وثَـمَّ صـوالي [2]

ويقول فيها:

أإخوانَـنـا بـينَ الفُـراتِ وجِلَّـقٍ ... يـدَ الله لا خـبَّرْتُكم بمُحـالِ
أنَبَّـئتكمْ أنّي عـلى العَهْـدِ سـالمٌ ... ووجْهـي لَـمَّا يُبْتَـذَل بـسؤالِ
وأنّي تَيَمَّمْـتُ العـراقَ لغـيرِ مـا ... تَيَمَّمَـهُ غَـيلانُ عنـدَ بِـلالِ [3]
فأصبحتُ محمـوداً بفـضليَ وحـدَهُ ... عـلى بُعْـدِ أنـصاري وقِلَّـةِ مـالي

ولما ودع أبو العلاء بغداد وأهلها قال من قصيدة: [4]

أوَدِّعُكـم يـا أهـلَ بغـدادَ والحَـشا ... عـلى زَفَـراتٍ مـا يَنِـيْنَ مـن اللـذْعِ
وداعَ ضَـنًى لم يـسْتَقِلَّ وإنَّـما ... تحامَـلَ مـن بعـدِ العِشارِ عـلى ظَلْـعِ
إذا أطَّ نِـسْعٌ قلـتُ واللـومُ كـاربي ... أجِـدَّكُمُ لم تفهمـوا طَـرَبَ النِّـسْعِ
فبِئسَ البـديلُ الـشأمُ منكم وأهلُـهُ ... عـلى أنَّهـم قـومي وبينَهُمُ رَبْعـي
ألا زَوِّدوني شَرْبَـةً ولـو انَّنـي ... قَـدَرْتُ إذَنْ أفنيـتُ دِجْلَـةَ بـالجَرْعِ
وأنّـى لنـا مـن مـاءِ دجلـةَ نُغْبَـةٌ ... على الخِمْسِ من بُعْدِ المفاوِزِ والرَّبْـعِ [5]
وما الفُصَحاءُ الـصِّيْدُ والبَـذْوُ دارُهـا ... بأفصَحَ قولاً من إمائكُمُ الـوُكْـعِ [6]

---

(1) سقط الزند ص 237 و242.

(2) طربن: أي الإبل، الوهن: القطعة من الليل، هنّا: ههنا، صوالي: مصطلية، يريد: سمت الأبصار نحو البارق من جهتي الشام والعراق، وأحدقت به كما يحدق المصطلون بالنار.

(3) غيلان: هو ذوالرمة، وبلال: هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وقد مدحه ذو الرمة طالباً نيله.

(4) سقط الزند ص 263 ــ 264.

(5) النغبة: الجرعة من الماء، الخمس والربع: من إضماء الإبل وورودها في اليوم الخامس أو الرابع.

(6) الوكع: جمع وكعاء، وهي التي مالت بإبهامها على ما يليها، والإماء يوصفن بالجهل وقلة العقل.

أدرْتُم مقالاً في الجِدالِ بألسُنٍ ... خُلِقْنَ فجانَبْنَ المَضَرَّةَ للنَّفعِ
سأُعْرِضُ إنْ ناجيتُ من غيركم فتى ... وأجعلُ زَوّاً من بنانيَ في سَمْعي[1]

وقال أبو بكر الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت 463هـ) يُحَيِّي بغداد ويحن إليها ويأسف على فراقها:[2]

على بغدادَ معدِنِ كلِّ طيبٍ ... ومَغْنَى نُزْهَةِ المُتَنَزِّهينا
سلامٌ كلَّما جرحتْ بلَحْظٍ ... عيونُ المُشْتهينَ المُشْتَهينا
وما حُبُّ الديارِ بنا ولكنْ ... أمَرُّ العيشِ فُرْقَةُ مَنْ هَوِينا

وشاعر آخر يتشوق إلى بغداد ويجعل فراقها موتاً له:[3]

ولَمَّا تجاوزتُ المدائنَ سائراً ... وأيقنْتُ يا بغدادَ أنّي على بُعْدِ
علمتُ بأنَّ اللهَ بالِغُ أمرِهِ ... وأنَّ قضاءَ الله ينفُذُ في العَبْدِ
وقلتُ وقلبي فيهِ ما فيهِ من جَوَىً ... ودمْعيَ جارٍ كالجُمانِ على خَدِّي
تُرى اللهُ يا بغدادَ يجمعُ بيننا ... فألقى الذي خلَّفْتُ فيكِ من العَهْدِ ؟

ومن القصائد الرائعة التي جمعت بين الحب والحنين إلى بغداد قصيدة ابن زريق الكاتب البغدادي ، وهي مشهورة ومتداولة نقتطف منها، قال في وداع حبيبته:[4]

لا تعذُليه فإنَّ العَذلَ يُولِعُهُ ... قد قُلتِ حَقّاً ولكنْ ليسَ يسمعُهُ
جاوزْتِ في لومِهِ حدّاً أضَرَّ بهِ ... من حيثُ قدَّرْتِ أنَّ اللومَ ينفَعُهُ
فاستعملي الرِّفْقَ في تأنيبِهِ بدلاً ... من عذْلِهِ فهوَ مُضْنى القلبِ موجَعُهُ

---

(1) الزو: الزوج، أي يجعل اصبعه في أذنيه لئلا يسمع كلام غيرهم.

(2) ياقوت 1/ 463.

(3) ياقوت 1/ 463ـــ 464.

(4) الكشكول لبهاء الدين العاملي 1/ 118-120، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، وط دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة ، بيروت د.ت. ص 104ـــ 105.

قد كانَ مُضْطَلِعاً بالخَطْبِ يحمِلُهُ ... فضَلَّعتْ من خُطوبِ الدَّهْرِ أضلعُهُ
يكفيهِ من لوعَةِ التفنيدِ أنَّ لهُ ... من النَّوى كلَّ يومٍ ما يُرَوِّعُهُ
ما آبَ من سَفَرٍ إلاَّ وأزعَجَهُ ... رأيٌ إلى سفَرٍ بالبَيْنِ يُجمِعُهُ
تأبى المطالبُ إلا أنْ تُجَشِّمَهُ ... للرزقِ كَدْحاً وكم مِمَّنْ يوَدِّعُهُ
كأنَّما هو من حِلٍّ ومرتَحَلٍ ... موكَّلٌ بفضاءِ اللهِ يذرَعُهُ

ويبين أن سبب رحيله هو الفقر والحاجة، فليرحل طلباً للغنى، على ما في ذلك الرحيل من فراق للوطن والبعد عن الحبيب:

إنَّ الزَّمانَ أراه في الرحيلِ غِنىً ... ولو إلى السَّدِّ أضحى وهو يُزمِعُهُ
وما مجاهدة الإنسانِ واصلةً ... رزقاً، ولا دَعَةُ الإنسانِ تقطَعُهُ
قد وَزَّعَ اللهُ بين الخَلْقِ رِزْقَهُمُ ... لم يخلُقِ اللهُ من خَلْقٍ يُضَيِّعُهُ
لكنَّهُم كَلِفوا حِرْصاً فلستَ ترى ... مسترزِقاً وسوى الغاياتِ تُقْنِعُهُ
والحِرْصُ في الرزقِ والأرزاقُ قد قُسِمَتْ ... بغيٌ ألا إنَّ بغْيَ المرءِ يصرعُهُ
والدهرُ يُعْطي الفتى من حيث يمنعُهُ ... إرْثاً ويمنَعُهُ من حيثُ يُطْمِعُهُ

وبعد أن ذكر حب الإنسان للمال غريزة، والرحلة في طلبه مغامرة لا تحمد عقباها، ينتقل إلى مشهد الفراق، فروحه متعلقة بحبيبته، والحبيبة هي الأهل والوطن، فما أشقَّ الفراق والحبيب يتوسل إليه باكياً متلوعاً أن لا يغادر، ولكن للضرورة أحكام:

أستودِعُ اللهَ في بغدادَ لي قَمَراً ... بالكرخِ في فلَكِ الأزوارِ مطلَعُهُ
ودَّعْتُهُ وبودي لو يوَدِّعُني ... صفْوُ الحياةِ وإنِّي لا أوَدِّعُهُ
كم قد تشَفَّعَ بي أنْ لا أُفارِقَهُ ... وللضرورةِ حالٌ لا تُشَفِّعُهُ
وكم تشبَّثَ بي خوفَ الفراقِ ضحىً ... وأدمُعي مستهِلاَّتٌ وأدمُعُهُ
لا أكْذِبُ اللهَ ثوبُ الصَّبْرِ مُنخَرِقٌ ... عَنِّي بفُرْقَتِهِ لكنْ أرَقِّعُهُ
إنِّي أُوَسِّعُ عُذْري في جِنايَتِهِ ... بالبَيْنِ عَنِّي وجُرْمي لا يُوَسِّعُهُ

رُزِقْتُ مُـلْكاً فلـم أُحْسِنْ سياسَتَهُ ... وكـلُّ مـن لا يـسوسُ المُلْـكَ يُخْلَعُـهُ
ومَنْ غـدا لابِـساً ثـوبَ النَّعيمِ بـلا ... شـكرٍ عليـه فـإنَّ اللهَ يَنْزَعُـهُ
اعتَضْتُ من وجْهِ خِلِّـي بعـدَ فُرْقَتِـهِ ... كأسـاً أُجَـرِّعُ منهـا مـا أُجَرَّعَـهُ
كم قائـلٍ لي ذُقْـتَ البَـيْنَ قلـتُ لـهُ ... الـذَّنْبُ والله ذَنْبـي لـستُ أدْفَعُـهُ
ألا أقَمْـتَ فكـانَ الرُّشْـدُ أجمعُـهُ ... لو أنَّـني يـومَ بـانَ الرُّشْـدُ أتْبَعُـهُ

ويصف حاله في الغربة وحنينه إلى حبيبته، فليس له إلا السهر واللوعة والبكاء، فهو في ليله قلق أرق لا يستطيع النوم، وليس في قلبه إلا الحزن والشوق والحنين ، وهيهات أن تفارقه صورة الحبيب وليس له الآن إلا الحسرة واللوعة والندم:

إنِّي لأقْطَـعُ أيَّـامي وأُنْفِدُهـا ... بحـسرةٍ منـهُ في قلبـي تُقَطِّعُـهُ
بمَـنْ إذا هَجَـع النُّـوَّامُ بِـتُّ لـهُ ... بلَوعَـةٍ منـهُ لـيلي لـستُ أهْجَعُـهُ
لا يطْمَـئِنُّ لجَنْبـي مـضْجَعٌ وكـذا ... لا يطْمَئِنُّ لـه مُـذْ بِنْـتُ مَـضْجَعُهُ
ما كُنْتُ أحْسَبُ أنَّ الدَّهْـرَ يفْجَعُني ... بـه ولا أنَّ بي الأيـامَ تفجَعُـهُ
حتى جـرى البَـيْنُ فيما بيننا بيَـدٍ ... عـسْراءَ تمنعُـني حظِّـي وتَمْنَعُـهُ
قد كنتُ من رَيبِ دَهْري جازِعاً فَرِقـاً ... فلم أُوَقَّ الذي قـد كنتُ أجْزَعُـهُ

وهو في غربته ومحنته يتحسر على ما بدر منه من فراق بغداد والبعد عن الحبيبة، ويحن إلى العودة واللقاء، ولكن هيهات، وإن كان يمني نفسه أن الحب باقٍ بين الحبيبين وما زالت حبيبته على العهد، ولا يملك إلا أن يدعو لها بالخير ويسقي الديم أرضها فقد تركها في في ذمة الله وحفظه،ولكنه يخشى أن يفرقهما الموت قبل اللقاء، وما يصنع بعدها بحكم الأقدار ؟!:

بالله يا منزلَ العيشِ الـذي درَسَـتْ ... آثـارُهُ وعَفَـتْ مُـذْ بِنْتُ أرْبُعُـهُ
هل الـزمـانُ مُعيدٌ فيكَ لذَّتَـنا ... أمْ الليـالي التـي أمْـضَتْهُ تُرْجِعُـهُ
في ذِمَّةِ اللهِ مَـنْ أصبَحْتَ منزلَـهُ ... وجـادَ غَيْـثٌ عـلى مَغْنـاكَ يُمْرِعُـهُ

مَنْ عندَهُ لِيَ عهدٌ لا يُضَيِّعُهُ ... كما له عَهْدُ صِدْقٍ لا أُضَيِّعُهُ

مَنْ يُصَدِّعُ قلبي ذِكْرُهُ وإذا ... جرى على قلبهِ ذِكري يُصَدِّعُهُ

لأصْبِرَنَّ لدهرٍ لا يُمَتِّعُني ... بهِ ولا بيَ في حالٍ يُمَتِّعُهُ

عِلْماً بأنَّ اصطباري مُعْقِبٌ فَرَجاً ... فاضيقُ الأمرِ إنْ فكَّرْتُ أوسعُهُ

عسى الليالي التي أضْنَتْ بفُرْقَتِنا ... جسمي ستجمَعُني يوماً وتجْمَعُهُ

وإنْ تَغُلْ أحداً منَّا مَنِيَّتُهُ ... فما الذي بقضاءِ اللهِ يصْنَعُهُ ؟!

في العصر العثماني

وحين نتقدم إلى العصر العثماني نجد الشعراء يتغنون ببغداد وجمالها ويحنون إلى مرابعها، ويستذكرون تراثها العريق الخالد على مرِّ الزمان، فهذا الشيخ عبد الرحمن زين الدين السويدي (ت 1200هـ) يحن إلى بغداد ويتشوق إلى مسقط رأسه، ومدرج شبابه وهو في دمشق: [1]

لولاكِ يا بلدة (الزوراءِ) لولاكِ ... ما أحرق القلبَ مني شجوُ شجواكِ
سقى أديمَ الثَّرى منكِ الحَيا وحَبَتْ ... سُحْبُ الكرائمِ في التكريمِ مَحْياكِ
واخْضَرَّ رَبْعُكِ من دونِ الربيعِ ولا ... زالتْ زهورُكِ في صيفٍ ومشْتاكِ
أقولُ للواكِفِ المُنْهَلِّ من مُقَلي ... أُكْفُفْ لتَنْجوَ من مجْراه جَرْعاكِ
شَتَّانَ ما بينَ "بغدادٍ" و"جِلَّقَ" مَعْ ... إقْعادِ حظِّي فحظِّي مدمعٌ باكي
هَيْهَاتَ هيهاتَ أنْ ينجابَ لي أمَلٌ ... بهِ أُعَلِّلُ آمالي لِلُقْياكِ
آهٍ وآهٍ ! فلا أُنهي التَّأوُّهَ ما ... دامَ التَّفَوُّهُ في بعدي لمرماكِ

أما العلاَّمة شهاب الدين أبو الثناء محمود الألوسي (ت 1270 هـ) فكان في اسلامبول، ويحن إلى وطنه بغداد ويشتاق إلى أهله وصبيته شوقاً مبرِّحاً، يقول: [2]

حداني إلى "الزوراء" شوقٌ مبرِّحٌ ... فليس الذي حُدِّثْتُ عن حالها سهلُ
إذا ما نَبَتْ دارُ السلامِ بأهلِها ... فلا جبلٌ يُؤوي الكرامَ ولا سَهْلُ
ديارٌ بها نِيْطَتْ عليَّ تمائمي ... قديماً ولي فيها نما الفرْعُ والأصلُ
ألا ليتَ شعري هل أراني بربعِها ... مقيماً ؟ وبالأحبابِ يجتمعُ الشَّمْلُ
وهل روضُها يَخْضَرُّ بعدَ ذبولِهِ ... ويَهْمي على أوراقِهِ الوَبْلُ والطَّلُّ

(1) محمود شكري الآلوسي: المسك الأذفر ط بغداد 1348 هـ، الآلوسي: بغداد ص 157.

(2) بغداد ص 165 ــ 166.

وهل أنا في يومِ العَرُوبةِ قاصدٌ ... لحضرةِ بازٍ شأنُهُ الفَضْلُ والوَصْلُ[1]
وهل كلَّ يومٍ ماسكٌ كَفَّ والدي ... أبي المصطفى ذي هِمَّةٍ إبداً تعلو[2]
وهل أدباء الجانبينِ يضُمُّهم ... وإيَّايَ طاقٌ نَقْلُهُ الأدبُ الجَزْلُ[3]
سلامٌ على تلكَ الديارِ وأهلِها ... فهم في فؤادي دائماً أينما حَلُّو
فوالله لا أسلو هواها وماءها ... إذا كان قلبي عندَها فمتى أسلو ؟
أحِبَّتَنا ! هل من وصولٍ إليكمُ ؟ ... فقد تَعِبَتْ بيني وبينكُمُ الرُّسْلُ
ألا هِمَّةٌ تُزجي ركائبَ عَزْمَتي ... إليكم إذا شِئتُمْ بها اتصلَ الحَبْلُ
وإني بناديكم على سوء فعلكم ... أرى أبداً عندي مرارَتُهُ تحلو

وقال أحمد الشاوي يحن إلى بغداد ومرابعها:[4]

تذكرتُ ما بينَ "الرُّصافةِ" والجسرِ ... عهودَ الصِّبا فاشتاقَ قلبيَ للذكرِ
وعاودني الشوقُ الذي كنتُ ناسياً ... لسُعْدى فزادَ القلبَ جمراً على جمرِ
خليليَّ هل عصرُ الشبيبةِ راجعٌ ... إلينا "بكَرْخَايا"؟ وناهيكَ من عصْرِ!
تركنا خيولَ الجَهْلِ فيهِ مُغيرَةً ... على اللَّهْوِ واللَّذاتِ من غيرِ ما سِتْرِ
لكلِّ فتىً يُعْطي الخلاعَةَ أهلَها ... بيومٍ بهِ للكأسِ ما شِئْتَ من كَرِّ
حنانَيْكَ لا تُكْثِرْ من اللَّوْمِ إنَّني ... كفَفْتُني من اللومِ الملامةُ لو تدري
إذا المرءُ لم تأبَ الدَّنِيَّاتِ نفسُهُ ... فقلْ لي: لماذا سُمِّيَ الحُرُّ بالحُرِّ ؟
وإنْ لم يكنْ بالشَّيْبِ للمرْءِ زاجرٌ ... عن اللَّهْوِ واللَّذاتِ لاخيرَ في المَرِّ[5]

---

(1) يوم العروبة: يوم الجمعة، الباز: لقب الشيخ عبد القادر الكيلاني، ويلقب أيضاً بالباز الأشهب.

(2) يريد بوالده: جده لأمه الشاعر الفقيه الشيخ حسين العُشّاري.

(3) اعتاد الأدباء والعلماء في العراق إلى عهد قريب، وخاصة ببغداد أن يجتمعوا في مجالس العلم والأدب في أحد بيوت الأدباء أسبوعياً، ويسمى هذا الاجتماع (القبول)، يتحاورون في أمور الأدب والكتب والسياسة ويتناشدون الأشعار وغيرها.

(4) الآلوس: بغداد ص 167.

(5) المرّ: أي المرّء.

ويعبر الشيخ عبد الحسين محيي الدين النجفي (من شعراء المائة الثالثة عشرة) عن شوقه وحنينه إلى بغداد وأهلها وأيام الفتوة والصبا، يقول: [1]

هي الدارُ بالزوراءِ هَلاً نزورُها ... فقد راقَ منها وَفْرُها ونَزُوْرُها
مُعَرَّسُ أيّامِ الصِّبا وعِراصُها ... وأوطارُ أيامِ التَّصابي ودُوْرُها
معاهِدُ لا أنسى لها عَهْدَ أُنْسِها ... وإنْ سَلَفَتْ أعوامُها وشُهورُها
يروقُكَ منها نافِراتُ ظِبائها ... وأحسنُ ما زانَ الظِّباءَ نُفُورُها
رِباعَ الظِّبَا "بالكرخِ" بورِكْتِ أرْبُعَاً ... سقاكُنَّ من صَوْبِ الغَوادي مَطِيْرُها
وزارَكَ مُعْتَلُّ النَّسيْمِ وحَبَّذا ... مرابِعُ مُعْتَلِّ النَّسيْمِ يَزورُها
مَغَانٍ عليها اليُمْنُ ألقَى رِواقَهُ ... ودامَ على مَرِّ اللَّيالي حُبُورُها
تُضِيءُ فإمَّا بازِغاتٌ شُمُوسُها ... لديها وإمَّا ساطِعاتٌ بُدُورُها
فيا صاحبي، عُجْ بي إليها فإنَّها ... إلى الخُلْدِ والغِيْدُ الكَواعِبُ حُورُها

ومن تبريز يحن ويشتاق إلى بغداد السيد راضي القزوين، فقد سئم بلاد العجم ولكنة أهلها: [2]

أحِبَّتَنا بزَوْراءِ العِراقِ ... لقد طالَ النَّوى، فمتى التلاقي؟
فما تبريزُ للفصحاءِ مأوى ... وأينَ التُّرْكُ من عَربِ العراقِ

(1) محمود شكري الآلوسي: أخبار بغداد ، الآلوسي: بغداد ص 169.

(2) الآلوسي ص 170.

ويتحسر عبد الغني الجميل (ت 1279هـ) على بغداد وما أصابها من الخراب والهوان على يد الأتراك العثمانيين،وكيف كانت في عصورها الزاهرة وكيف عادت في هذا الزمن الرديء: [1]

لهفي على بغداد من بلدةٍ ... قد عشَّشَ العِزُّ بها ثم طارْ
كانت عروساً مثلَ شمس الضحى ... لمستعيرٍ حَليُها لا يُعارْ
كانت بها للنفسِ ما تشتهي ... كجنَّةِ الخُلدِ ودارِ القرارْ
كانت لآسادِ الوغى منزلاً ... والخائفُ الجاني بها يُستَجارْ
كانوا يميطون الأذى أهلها ... عن كل آتٍ حيُّها مستطارْ
واليوم لا مأوى لذي فاقةٍ ... فيها ولا في أهلها مستجارْ
واليوم قد حلَّ بها من ترى ... فانفر وإلا بيديك الخيارْ
لم يرقبوا إلاً ولا ذمَّةً ... فينا ولا عذراً لذي اعتذار
حلَّ بها قومٌ وهم في عمىً ... ما ميَّزوا أشرارَها والخيارْ
وأصبح القردُ بها مقتدىً ... يلعبُ بالألبابِ لعبَ القمارْ

(1) أبو الثناء الآلوسي:غرائب الاغتراب ص 211ــ112، ط مطبعة الشابندر، بغداد 1327هـ يوسف عز الدين: الشعر العراقي ، أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ص 153- 154، ط الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1965م ، جمال الدين الآلوسي: بغداد ص 163- 165 .

في العصر الحديث

وفي العصر الحديث ـــ بعد العصر العثماني ـــ يتغنى الشعراء ببغداد وحب بغداد ومرابعها الجميلة وأصالتها وأنهارها وبساتينها،ومن أكثر الشعراء الذين حنوا إلى بغداد وتغنوا بجمالها عبد المحسن الكاظمي (ت 1935م) وكان مقيماً في مصر هرباً من جور الأتراك العثمانيين وملاحقتها له وكان عمره عشرين عاماً، وأقام في مصر وشارك في الحياة الأدبية وكانت له صلات ودٍّ ورعاية من كبار أدبائها وعلمائها من مثل:جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبدة، ومصطفى عبد الرازق،وغيرهم من كبار العلماء والأدباء، وتزوج بسيدة مصرية هي عائشة بنت محمود التونسي سنة 1915، وله منها ابنته الأديبة رباب، وتوفي في مصر سنة 1935 ودفن بمصر الجديدة، وتنبهت الحكومة العراقية إلى مكانته، فرأت أن تكرم الشاعر وتبني له ضريحاً لائقاً في مقبرة الإمام الشافعي في القاهرة، ونقلت رفاته في حفل يوم 1 مايو سنة 1947 [1].

ومن شعره الذي يذكر فيه حنينه وشوقه إلى العراق من قصيدة طويلة يذكر فيها رحلته من العراق وأسفاره حتى حلَّ بمصر واستقراره فيها،ومطلع القصيدة:[2]

جـــوىً أودى بقلبـــكَ أم وجيـــبُ ... غـداةَ حـدا بـك الحـادي الطـروبُ
بعـدتَ عـن الـديارِ وصرتَ تـدعو ... عـلى البُعـدِ الـديارَ ولا مجيـبُ
رحلـتَ وأنـتَ للعليـاءِ صـادٍ ... تحـومُ عـلى المـواردِ أو تلـوبُ

ويعاتب نفسه على غربته وهو يبكي، ويعبر عن حنينه إلى وطنه وديـاره ويتحـرق شوقاً إلى كل من في الوطن وما في الوطن:

---

(1) رفائيل بطي: عبد المحسن الكاظمي، ضمن ديوان الكاظمي ص 293 ـــ 301 ، وانظر: الأدب العصري في العراق العربي ،لرفائيل بطي، ط مصر 1923م.

(2) ديوان عبد المحسن الكاظمي ص 58 ـــ 68، الأعمال الشعرية الكاملة ، تحقيق حكمت الجادرجي ، ط دار الحكمة، لندن 2002م .

وفي مـــصرِ أراكَ وأنـــتَ لاهٍ ... وقلبُـكَ في العـراقِ جـوىً يـذوبُ
فكـم وإلى مَ تنحـبُ ثـم تبكـي ... ولا يُجـدي البُكـاءُ ولا النَّحيـبُ
وتـشربُ مـاءَ جفنِـكَ وهـو ملـحٌ ... ووِزدُكَ بـالحِمى عـذْبٌ شَروبُ
كـأنَّ الـدمعَ يَنطِـفُ وهـو قـانٍ ... عـصارةُ كَرْمـةٍ والجفـنُ كـوبُ
دعِ الأنفـاسَ تـصعدُ مُحرقـاتٍ ... وخَـلِّ الـدمعَ مـن علـقٍ يـصوبُ
لقـد بـانَ الخلـيطُ فـلا خلـيطٌ ... وقـد بَعُـدَ الحبيـبُ فـلا حبيـبُ

وفي آخر القصيدة يذكر العراق ومدنه، وبغداد وما فيها من أئمـة آل البيـت الـذين يُستغاث بهم:

وأصـبو للحِمـى بجميـعِ قلبـي ... كـذا فليَـصْبُ للـوطنِ الغريـبُ
سـقى "الأنبـارَ" كـلُّ أجـشَّ هـامٍ ... وجـادَ "الكـرخَ" مـاطِرُهُ الـصَّبيبُ
لترتـاح النقيـةُ يـومَ تُحـدى ... كـأنَّ صـفيرَ حاديهـا نقيـبُ
فخـذها واشـفقَنَّ لهـا عـساها ... تُـرى منجابـةً عنهـا الـذنوبُ
إذا هـي بـالجوادين اسـتجارتْ ... تفـتحُ دونَ بُغْيتِهـا الـدروبُ
إذا مـا خَيَّـبَ الـثَّقلانُ ظنـي ... فـلي بهـما ظنـونٌ لا تخيـبُ
وإنْ لم تـنجلي بهـما كـروبي ... إذن قُـلْ لي بمـن تُجلى الكُـروبُ ؟

وفي قصيدة ثانية يذكر حرب الانجليز والترك، ويطمئن عـلى بغـداد ومـا أصـابها، ويحن إلى مدنها وأهلها: (1)

عـسى "بغـداد" يوقظهـا بيـاني ... فتقـرأ فيـه أبكـارَ المعـاني
مـضى أمـسٌ فـلا يُـرجى لأمـسِ ... مـآبٌ أو يـؤوبَ القارظـانِ
فـلا العهـدُ الـذميمُ لـه بباقٍ ... ولا الـذكرُ الحميـدُ لنـا بفـانِ

(1) الديوان ص 108 ــ 112.

وقلبه مع بغداد يريد أن يطمئن لما أصابها، فمصيبتها مصيبته، ويفرح لانجلاء الغمة عنها من حكم جلاوزة الترك، وإن كان قد حلَّ مكانهم حكم بغيض آخر هو حكم الانجليز:

هل الزوراءُ تعلمُ ما عراها ... غداة دنا النفير وما عراني
أبوحُ بما أكِنُّ وكنتُ دهراً ... أحاذِرُ أنْ أبوحَ بما أُعاني
إذا ما قيلَ "بغدادٌ" كواها ... بلاعجه الحنين فقد كواني
أشاطِرُها الحنينَ ولا أبالي ... أأسعدني المداجي أم لحاني
ومن شاء الوقوفَ على اعتقادي ... فديني أوَّلٌ و "الكرخُ" ثاني
أحبُّ "الكرخَ" أسمعُ أو أراهُ ... وليتَ "الكرخَ" يسمعُ أو يراني
وأهوى في "الرصافة" ما جنَتْهُ ... وما أهوى سوى غرر المجاني
أتانيَ أنَّ "بغداد" أريحت ... فلا كذب البشيرُ بما أتاني
أريحتْ من ليالٍ كُنَّ ناراً ... فمن بكرٍ تشبُّ ومن عَوانِ

ويختم قصيدته الطويلة بالإقرار بحب بغداد التي لا بديل لها فهي في أعماق قلبه ويفنى فيها حباً:

أ "بغدادُ" ابشري وثقي بأنِّي ... بحبكِ سالكٌ سُبُلَ التفاني
ولو أُعطيتُ مُلكَ الأرضِ طُرَّاً ... بغيرِ هواكِ عيشي ما هناني
ولو أنِّي انتهيتُ بغير حقٍّ ... لكان الشيبُ أوَّلَ من نهاني
ولو أني أطعتُ يدي وعزمي ... لكان الدهرُ أطوعَ من بناني

وفي قصيدته (أنين وحنين) يعبر عن حبه للعراق داراً وأهلاً و هذا الحب قد ملك نفسه وفكره وظهر جلياً في شعره، يقول:[1]

(1) الديوان ص 113 ــ 114.

سكنٌ بالحمى بعيد مداهُ ... ليس قلبي بغيره مسكونا
من يُكَنِّي عن العراقِ بليلا ... هُ يراني بحبه مجنونا
إنَّ لي في العراقِ داراً واهلاً ... تنبو عنها الديارُ والأهلونا
إنْ أردتم شرحَ الهوى فاقرأوهُ ... في جبيني حواشياً ومتونا
إن يكن بات في الكِنانةِ جسمي ... ففؤادي في الكرخِ ظلَّ رهينا

ويذكر الخطوب التي نزلت بالعراق وجعلته في فوضى وتأخر، مقارنة عما كان للعراق من حضارة زاهية في العصور العباسية، وقد بنى تلك الحضارة المأمون وأمثاله، ويستطرد إلى ذكر تلك الأمجاد بحب واعتزاز:

أكذا تصبحُ الخطوبُ وتُمسي ... ويزولُ البناءُ والبانونا
أين باني بغداد أين مباني ... عزها أينَ أهلها الصالحونا
أينَ مأمونها المؤسسُ فيها ... دولةً من غراسها الأفضلونا
دولة تنبتُ الظباءَ أسوداً ... فيسامي بها الكناسُ العرينا
دولة تنتهي العلومُ إليها ... وتُباهي فيها الفنونُ الفنونا
ما قرأنا تاريخَ بغدادَ إلا ... وقرأنا دنيا تروقُ ودينا
أقصري الشكوى يا ربوعَ المعالي ... ربَّ شكوى سرَتْ فكانت أنينا
لم يخُنكِ الأمينُ يومَ تولاَّ ... كِ ولكنكِ ائتمنتِ الخؤونا
كان للعدلِ من ثراكِ نصيبٌ ... عبثَتْ فيهِ إثرةُ الحاكمينا
إيهِ بغدادُ لا تسؤكِ الليالي ... وسيعنو لمجدِكِ الحاسدونا
أنت في العِزِّ أوَّلٌ وأخيرٌ ... مفخرُ الأولينَ والآخرينا
سيقولُ الرواةُ عنكِ أخيراً ... ما رواهُ عن مجدِكِ الأولونا

ومن قصيدة طويلة أنشدها في الحفلة التي أقامها الشيخ عبد القادر باش أعيان العباسي سنة 1921 في فندق شبرد بالقاهرة لتكريم جعفر باشا العسكري وزير الدفاع في

حكومة العراق يومذاك، وبعد أن يتغنى بالأمجاد الغابرة يذكر بغداد ويحن إليها ويحيِّيها ويتمنى العودة إلى مغانيها وأهلها ويستعيد أيام صباه فيها، يقول [1]

أبغـدادُ لا فاتتكِ منـي تحيـةٌ ... يُفَسِّرُ منها مـا أرادَ المُفَسِّرُ
حنينـاً إلى تلـك البقـاعِ إلى التـي ... تطيـبُ إلى تلـك التـي هـي أطهـرُ
حنينـاً إلى الـزورا حنينـاً إلى الـصِّبا ... حنينـاً إلى العـودِ الـذي هـو أنـضرُ
حنينـاً إلى تلـك القـرى والى الـذي ... يُعَـشِّي بهاتيـكَ القـرى ويُبَكِّـرُ
حنينـاً إلى أرضٍ حييـتُ بتُرْبِهـا ... ويـا ليتنـي في ذلـك التُّرْبِ أُقْـبَرُ
هنـاك شـبابي قـد تقـضَّى وهاهُنـا ... مـشيبي وفي الحـالينِ أشـكو وأشـكرُ
لقـد زعمـوا أني نـسيتُ وأنَّنـي ... غـدوتُ بهـذي دونَ تلـك أُفكِّـرُ
وكيـف تـراني ناسـياً ذكـرَ مـوطِنٍ ... لـه مـوردٌ في كـلِّ سـمعٍ ومـصدَرُ
لـئنْ غَـيَّرتْ منـي الليـالي ملامحـاً ... فـإنَّ الخـلالَ الغُـرَّ لا تتغيَّرُ

أما الرصافي (معروف بن عبد الغني الرصافي البغدادي ت 1364هـ / 1945م)

فقد كان في غربته يحن إلى بغداد، ويشتاق إلى أمه فهو يناجيها ويناجي وطنه: [2]

لعمـرك أقـصاني الزمـانُ المفَـرِّقُ ... فهل أنا من بعد التـشاؤمِ مُغْـرِقُ [3]
خلـيليَّ هـل مَـنْ بالرُّصـافةِ عـالمٌ ... بـأني إلى مَـنْ بالرُّصـافةِ شَـيِّقُ
بـلادٌ إذا مـا هَبَّـت الـريحُ نحوهـا ... تمنَّيـتُ لـو أنِّي بهـا أتعَلَّـقُ
أبيـتُ عـلى شـوقٍ وقلبـيَ موثَـقٌ ... بهَمِّـي ودمعـي فـوقَ خَـدَّيَّ مُطلَـقُ
إذا مـا تـذكرتُ العجـوزَ بكيتُهـا ... بـدمعٍ بـهِ الأهـدابُ تطفـو وتغـرقُ
ومـا شَرَقـي بالـدمعِ يـا أُمُّ وحـدَهُ ... ولكـنْ بروحـي عنـد ذكـراكِ أشرقُ

---

(1) الديوان ص 203 .

(2) ديوان الرصافي ص 357 المجموعة الكاملة، ط دار مكتبة الحياة، بيروت د.ت .

(3) معرق: ذاهب إلى العراق.

ويفـو بقلبـي الـشوقُ حتـى كأنّـما ... تخطّفُه مـن بـين جنبَيَّ سـوذَقُ[1]
فيـا أُمَّ صـبراً إنَّ لابنـكِ همَّـةً ... إلى المجـد ترمـي أو إلى المجـدِ تـسبقُ
تـضايقَ عنهـا الـدهرُ مـستعظماً لهـا ... وأهلـوهُ عنهـا يـا أُميمـة أضـيقُ
أكلّـفُ منهـا الـدهرَ مـا لا يطيقُـهُ ... فلـيس بعـارٍ أنـني فيـه مخفـقُ
لقد صـغرت بغـدادُ عـن أن تـضمها ... وما وسعتها بعد بغـداد جِلّـقُ[2]

وكان قد فارق بغداد سنة 1922م بعد ما لقي من ضيم وهوان،وعاش في بـيروت وقرر أن يكون مقامُه هجرةً، ولكن روحه كانت متعلقة ببغـداد، فقـال يعاتـب ويناجي ويحن ويصف الحال: [3]

هـي المـواطنُ أدنيهـا وتُقْـصيني ... مثـل الحـوادثِ أبلوهـا وتبلينـي
قـد طـالَ شـكوايَ مـن دهـرٍ أكابـدُهُ ... أمـا أصـادِفُ حُـرّاً فيـه يـشكيني
كـأنني في بـلادي إن نزلـتُ بهـا ... نزلـتُ منهـا ببيـتٍ غـيرِ مـسكونِ
حتـى متـى أنـا في البلـدانِ مغـتَرِبٌ ... نوائـبُ الـدهْرِ بالأنيـابِ تُـذميني
أنـا ابـنُ دجلـةَ معروفـاً بهـا أدبي ... وإنْ يكُ المـاءُ منهـا لـيس يُرويني
قـد كنـتُ بُلبُلَهـا الغرِّيـدَ أنـشدها ... أشجى الأناشيدِ في أشـجى التلاحـينِ
حيـثُ الغـصونُ أقلّـتْني مكلّلـةً ... بالـورد مـا بين أزهـار البساتينِ

ويذكر ما لقي من مطاردة وعذاب من قبل الأجنبي الحـاكم فاضـطر إلى الهجـرة والاغتراب:

فبينـما كنـتُ فيهـا صـادحاً طَرِبـاً ... أستنشقُ الطِّيْبَ مـن نفـحِ الريـاحينِ
إذ حَلَّ فيهـا غـرابٌ كـان يوحِـشُني ... وكان تَنْعابُـهُ بالبَيْنِ يـؤذينـي

---

(1) السوذق: الصقر أو الشاهين.

(2) جلق: دمشق.

(3) الديوان ص 426 ــ 247

حتى غـدوتُ طريـداً للغـرابِ بهـا ... ومـا غـدوتُ طريـداً للـشواهينِ
فَطِرتُ غيرَ مبـالٍ عنـد ذاك بمـا ... تركتُ من نَرجسٍ فيهـا ونـسرينِ

ويبكي حظه على ما آل إليه أمره، فقد تغرَّب عن بلده لما لقيـه مـن عنـت وهـوان، وصار أمر بغداد بيـد الأعاجم والوصوليين، فـآثر الغربة وهو ينفث همَّـاً وحسرة:

ويلٌ لبغـدادَ ممـا سـوف تـذكره ... عنِّي وعنهـا الليـالي في الـدواوينِ
لقد سـقيتُ بفـيض الـدمعِ أربُعَهـا ... على جوانبِ ودٍّ لـيس يـسقيني
ما كنتُ أحـسَبُ أني مُـذْ بكيـتُ بهـا ... قومي بكيتُ على من سوف يبكيني
أفي المـروءةِ أنْ يعتـزَّ جاهلُهـا ... وأنْ أكونَ بها في قبـضةِ الهُـونِ
عاهـدتُ نفـسيَ والأيـامُ شـاهدةٌ ... ألاَّ أُقِـرَّ على جَـوْر السَّلاطينِ
ولا أصادقُ كذَّابـاً ولـو ملكـاً ... ولا أخـالـطُ إخـوانَ الشياطينِ
أما الحيـاةُ فـشيءٌ لا قـرارَ لـهُ ... يحيا بها المـرءُ موقوتـاً إلى حـينِ
سِـيَّانَ عنـدي أجـاء المـوتُ مخترمـاً ... من قبل عشرين أم من بعد تـسعينِ
ما بالسنين يقاسُ العمـرُ عنـديَ بـلْ ... بمـا لـه في المعالي من تحاسينِ
ما كنتُ أحـسبُ بغـداداً تحلِّـئُني ... عن مـاء دجلتها يوماً وتظميني
حتى تقلَّـدَ فيهـا الأمـرَ زِعنفـةٌ ... من الأنـاسِ بأخـلاقِ السراحينِ[1]

(1) تحلئني: تمنعني وتطردني. الزعنفة: من أراذل القوم. السراحين: الذئاب ، جمع سرحان .

الصافي النجفي

وكان من أكثر الشعراء العراقيين الذين عاشوا الغربة وعانوا لوعة الحنين الصافي النجفي عاش الصافي حياة بؤس وحرمان وتشرد، توفي والده وهو صغير في الحادية عشرة من عمرة، وشهد موت أمه وهي تعاني من آلام الكوليرا، ورأى مشاهد الحزن والبكاء على أمه من نساء الأهل والجيران، وكان هو نحيفاً ضعيفاً مريضاً، عاش في العراق فقيراً بائساً يقول الشعر الحزين الذي يصور البؤس والكدح والمرض، ثم رحل إلى دمشق يتسكع في المقاهي وينام في المساجد، يعاني الفقر والحرمان ، وقد عبر عن حاله وغربته بقوله:

أنا في الشام أحس غربة أوجهِ ماذا أقولُ إذا رجعت لداري
يتم الرجوع لموطنٍ منه اختفى ما فيه من دار ومن ديَّارِ

وذهب إلى بيروت وسجن سنة 1941، وعاش بعد ذلك متشرداً وقد أثقلته سنوات العمر، وكان في تشرده يتحدى ثقل السنين، يقول:

سني بروحي لا بعَدُّ سنينِ فلأسخرَنَ غداً من التسعينِ
عمري إلى السبعين يركض مسرعاً والروحُ ثابتة على العشرينِ

عاش الصافي النجفي ستاً وأربعين سنة في الغربة، ولكنه لم ينسَ وطنه وكان يتجرع آلام الغربة ويغمره الشوق والحنين إلى الوطن، يقول في غربته:

لقد تغربتُ حتى نسيتُ كلَّ قريبِ
فإن رجعتُ لأهلي رجعتُ مثلَ الغريبِ
سلكتُ كلَّ الدروبِ ألِفْتُ كلَّ الكروبِ
فغربة الدارِ داري والأهلُ صحبُ الدروبِ

ومع تصبُّره وتحمله آلام الغربة فهو حين يتذكر الأهل والوطن يحن ويبكي:

جُـرحُ التَّغَـرُّبِ في فـؤادي بـالغٌ ... ألقـي عليـه بلـسم النـسيان
فتفجـرَ النـسيانُ عنـه وأصـبحتْ ... للجُـرْحِ تهمـلُ بالـدِّما عينـانِ

ويحن إلى الأهل والوطن، وينفس عن أحزانه بمثل هذا الشعر:

توالـت عـليَّ النائبـاتُ مغـيرةً ... فلـم أرَ غـيرَ الهَـمِّ يـصدم بـالهمِّ
وكم من جروحٍ في فـؤادي تغلغلـتْ ... أروم البُكا منها فأخجـلُ مـن عزمـي
وأعمقُ جُرْحٍ فيـه جُـرْحُ تغَـرُّبٍ ... يحنُّ لـداري دائبـاً وبنـي أمـي
فيا ليتني حيناً نسيتُ تجلُّـدي ... ليُطْفِـيءَ دمعـي مـرة لهـبُ الغـمِّ
فكم زفرةٍ أخفيتُها عـن عزيمتـي ... فباتتْ جحيماً تحرق العظـمَ كـالفحمِ
وكم وجمةٍ بالعاصـفاتِ تبطَّنـتْ ... وكم بسمةٍ فيها دموعُ الحشا تهمـي
نسجتُ من العزمِ القـوي حـشاشتي ... وجدَّدْتُها إذ أخلقَتْها يـدُ السَّقْمِ

وهو في صيدا حين يتأمل نخيلها الوارفة يتـذكر نخـل الفـرات في الكوفـة، فتهـيج أشجانه ويذكر غربته فيحن إلى أهله وأحبابه ووطنه، وهي مـن قـصائده الجيـدة الرائعـة النابعة من قلب فيه حنين واشتياق إلى الوطن والأهل والأصحاب: (1)

يـا نخـلَ صـيداء لي هيَّجـتَ أشـجانا ... ذكـرتَ مـن وطنـي أهـلاً وجيرانـا
مـا لاحَ طلعُـكَ لي إلا وذكَّـرني ... ربيـع ريفـي بطلـعِ النخـلِ مزدانـا
هل الربيعُ معيدٌ عند رجعتـه ... ربيعَ عمري وعمرِ الـصحبِ ريَّانـا
وما أرى الطلـعَ إلا روحـيَ اختنقـتْ ... بعبرةٍ لا تُـريـدُ الـدمعَ عنوانـا
هيهات يفصحُ دمعٌ عـن كآبتهـا ... وعن فؤادٍ بـدمعِ العـينِ ملآنـا
وليس شـعري إلا البعض مـن حـممٍ ... تُنبيكَ أنَّ بهذا القلـبِ بـركانـا
كـم ذكَّرتْني بساتينُ النخيـلِ هنـا ... من نخلِ ريفي جناتٍ وبُسْتانا

(1) المجموعة الكاملة لأشعار أحمد الصافي النجفي غير المنشورة، قدم لها جلال خياط ص 424 - 425، ط وزارة الإعلام، بغداد 1977، الاغتراب والعبقرية ص 101.

وكم دعتني وأغرتني لأدخلها حتى ألاقي بها أهلاً وخُلاَّنا
يا نخلَ صيداءَ قد أشعلتَ نيرانا بقلبِ ناءٍ بعيدِ الدارِ ولهانا

وتذكره هذي النخيل بنخيل العراق وأيام الطفولة حيث أصحابه الصغار الذين مرَّت أزمان ولا يدري هل ما زالوا فوق الأرض، أم عادوا ذكرى من ذكريات القبور ؟! فهو يبكي ويحن لذكريات الماضي الجميل:

ذكَّرتَني نخلَ ريفٍ قد نشأتُ بهِ هل ذلك النخلُ باقٍ مثلَ ما كانا ؟
كم رقدةٍ لي بظلِّ النخلِ ناعمةٍ من نصف قرنٍ تراها مقلتي الآنا
تلكَ النُّسَيْماتُ في خدي تُداعِبُني وتعزفُ الريحُ بالأغصانِ ألحانا
يظَلُّ فيها خيالي سارحاً مرحاً فأغمضُ العينَ بالألحانِ نشوانا
هذا شعوري دون العشر من عُمُري هذا هو الشعر لا ما أنظمُ الآنا
ولستُ أنهضُ إلا حينَ يلذعني حَرُّ الظهيرةِ لم أعدوهُ سرعانا
تلك الملاعبُ هل يوماً أعودُ لها أرى بها من لِداتِ العمرِ إخوانا
نصطادُ أطفالَ أسماكٍ تُشابِهُنا مُعَكِّرينَ لذاكَ الصيدِ غدرانا
نشكُهُنَّ بأعوادٍ لنَشْوِيَها مؤججينَ من الأغصانِ نيرانا
مُلَهْوِجينَ لها عجلى لنأكلها مخلوطةً برمادِ الأرضِ أحيانا
أخشى إذا عُدْتُ لا ألقى لهم أثراً إذ أصبحوا تحتَ هذي الأرضِ سُكَّانا
وإنْ يكُنْ أحدٌ باقٍ سينكُرُني فالدهْرُ قد غَيَّرَ أشكالاً وألوانا
فلتبقَ ذِكْراهُمُ في القلبِ عائشةً تُبْدي لديَّ شيوخ الصحبِ ولدانا
فما الحياةُ سوى وهمٍ نعيشُ بهِ يحكي الحقيقةَ تزويراً وبُهْتانا

وغربة النجفي غربة عن الوطن، وغربة في فكره وطباعه، فهو يرى أنه وحيد بين الناس في مشاعره وأفكاره،غريب في هذا المجتمع و هذا العصر:[1]

(1) المجموعة الكاملة ص 87 .

أراني مـدى الأيـامِ تـزدادُ وحـدتي ... ويُبْعِـدُ صـحبي عقـلَيَ المتحـررُ
لقد عطَّلوا تفكيرهم فتجمعوا ... وأفـردني في النـاسِ أنّي أُفكِّـرُ
ومن قال شعري،كيفَ ينجو من الورى ... بأن يشعروا بعـضَ الـذي هـو يـشعرُ
قـضى ليَ تفكـيري الوحيـدُ بوحـدتي ... سأشـكرُ ربي في عطـاه وأصـبرُ

ويرى أنه غريب في هذا العالم لا يتواءمُ وإياه، فهو من نبتة ليست من هذه الأرض، وهو طير محلق بعيد عن كل هذه الديار: (1)

غريبٌ ولـو مـا بـينَ أهـلي وخُـلاَّني ... غريـبٌ لأني جئـتُ مـن عـالمٍ ثـانِ
دلـيلي ثـماري، وهـي لم تـكُ تنتمـي ... لبُـسْتانهم لكـن إلى غـيرِ بُـستانِ
أعـيشُ بهـم في الأرضِ ثـم أعـافُهم ... ملالاً فأعلو نحـو عـشِّي وأغـصاني
أنا الطيرُ، عيشُ الأرضِ والمشيُ متعِبٌ ... لروحي، فالتحليقُ في الجوِّ مـن شـاني
ولـو أنّني أبـصرتُ فـيهم محلِّقـاً ... يُرافقُني مـا عفـتُ أهـلي وأوطـاني

وفي قصيدته (على المفترق) يبين سيرة حياته وسبب تغربه وحيرته فيما يفعل،هل يتجه إلى العلم الديني والاجتهاد متبعاً خطوات العالم الفقيه جده لأمه، أم يتجه إلى السياسة حيث المحتل الأجنبي يربض على صدر الوطن؟ أم يكون شعره هو الشغل الشاغل، فأسهم في السياسة في ثورة العشرين ولما كثرت ملاحقات الأجنبي وعملاؤه هرب إلى إيران، وعاش هناك تجربة الغربة، وعاد إلى الوطن وعادت الأمراض تنهش جسمه النحيل، فنُصح أن يرحل إلى بلاد الشام فجوها دواء لصحته و عاش هناك طويلاً، ولكنه كان مستوحشاً تنهشه الغربة ويحدوه الحنين: (2)

(1) المجموعة الكاملة ص 123.

(2) المجموعة الكاملة ص 172 - 173.

بمفترق للطرق كانت ثلاثة ... وقفت وفيما بينها حار بي الفكرُ
فإما علوم و(اجتهاد) مشايخٍ ... كجدي لأمي وهو ذلك الحَبْرُ[1]
وأما اشتغالٌ بالسياسة منقذ ... بلاداً غزاها أمسِ مستعمرٌ قَذْرُ
أو الشعر شغلاً وهو مهنة عاجزٍ ... كسولٍ وتأباهُ مطامحي الكُثْرُ

ولكنه أسهم في السياسة وبعد فشل الثورة هرب إلى إيران وعاش الغربة هناك ثم عاد إلى الوطن وعاش مريضاً معوزاً:

وكان لي سهمٌ بإشعالِ ثورةٍ ... رمتْ بي إلى إيران إذ فاتني النصرُ
وعُدتُ إلى الأوطانِ من بعد غربةٍ ... بها التجرباتُ الكُثْرُ والحلوُ والمُرُّ
وقلت: ستجدي تجرباتي موطني ... وأسعد في أهلي ويبسمُ لي الدهرُ
فعادت لي الأمراضُ تنهش بُنْيتي ... وساعدَها الحرمانُ والعيشةُ الصَّفْرُ
فعدتُ طريحاً والمنى حولَ مفرشي ... مُطَرَّحة تبكي وأشعاريَ البِكْرُ

وعالجه طبيب نصحه بأن جو العراق لا يلائمه حيث الحر اللاهب، ونصحه بالرحيل إلى الشام، و لم يرَ بأساً في الرحيل، فكل بلاد العرب بلاده،قسمها الأجنبي، فرحل:

إلى أنْ أتاني من يد الله منقذٌ ... فقمتُ وفي الكفين من صحتي عُشْرُ
فوجهتُ سيري للشآمِ وكُلُّها ... بلادي وتقسيمُ البلاد هو الكُفرُ
وأمَّلْتُ أن أشفى بطيبِ هوائها ... ولُطْفِ أهاليها وهم فِتْيةٌ غُرُّ

وكان يؤمل فيها الشفاء ولكنه بقي عليلاً هزيلاً، ووجد في شعره ما يشغله وفيه شفاء نفسه وتنفيس عن همومه وغربته:

---

(1) جده هو محمد حسين الكاظمي مرجع الشيعة في وقته، صاحب كتاب: هداية الأنام في شرح شرائع الإسلام،توفي سنة 1308 هـ

فلم يكتمل فيها الشفاء ولم أنل ... بها ما توخّى العزمُ وانتظر العُمُرُ
فلم يكُ غير الشعرِ شغلي وسلوتي ... وقد زخرتْ منه دواويني الكُثُرُ
فما كسبت مني السياسةُ عاملاً ... ولا العلمُ لكن راح يكسبني الشعرُ

ويعود بعد غربة طويلة قاسية إلى بغداد ويحدوه إليها الحنين:[1]

ياعودة للدار ما أقساها ... أسمعُ بغدادَ ولا أراها

وقد سئم الغربة وأحبَّ العودة إلى بغداد، وهل مثل بغداد ما يماثلها، إنها الدنيا وهي وحدها البلاد:

قد كفاني تَغَرُّبٌ وابتعادُ ... عاتبتني بحُسْنِها بغدادُ
أين تبغي دنيا وتبغي بلاداً ... أنا وحدي الدنيا ووحدي البلادُ

وفي بلاده وبين أحبابه لفظ أنفاسه الأخيرة بعد عمر طويل شاق وغربة قاسية، فقد وهن جسمه وانطفأت عيناه، فودع الدنيا في 27/ 6 / 1977، رحل وبقي شعره الكثير يحكي قصة حياة وحنين وغربة وتجربة عذاب، يرحمه الله.

وهناك شعراء آخرون قالوا الشعر في الحنين إلى العراق أم إلى بغداد، ولكنهم مقلون، أو أنهم يقولون الشعر في المناسبات الوطنية أو الأدبية، من أولئك الشيخ **محمد رضا الشبيبي** (ت 1385 هـ / 1965م) الذي تغنى ببغداد وحبها والهيام بحبها، و ذكر مرابعها وبلدانها:[2]

---

(1) المجموعة الكاملة ص 717.

(2) الألوسي: بغداد ص 234 .

بـ "بغدادَ" أشتاقُ الشَّآمَ وهـل أنـا ... إلى الكرخِ من "بغدادَ" جَمُّ التَّشَوُّقِ
فما أنا في أرضِ "الشآمِ" بمُشْتِمٍ ... ولا أنا في أرضِ "العراقِ" بمُغْـرِقِ
هُمـا وطَـنٌ فَـرْدٌ وقـد فَرَّقُوهمـا ... "رمى الله بالتشتيتِ شَمْلَ المُفَـرِّقِ"
إذا قُمْتَ نُصْبَ القلبِ ياعهدَ "تَـدْمُرٍ" ... ذكرتُ ادِّكارَ الطَّيْفِ عهـدَ "الخَوَرْنَـقِ"
أرى اليومَ ماءَ في "الفُراتينِ" آسِناً ... متى عَبَّ منهُ عاطِشُ النَّفْسِ يَشْرَقُ
سيحدو غوادي الدَّمْعِ بالدَّمْعِ حُفَّـلاً ... سنا بـارقٍ من "بـابـلٍ" متألِّـقِ
رهَنْتُكِ يا "بغدادُ" قلبي ومَنْ تكُنْ ... رهينَتُـهُ قلبـاً بـ "بغـدادَ" يقْـلَـقِ
علا الشَّيْبُ آمـالي ولم يَعْـلُ عـارضي ... وبَيَّضَ قلبي قبلَ تَبْييضِ مَفْرِقـي

أما الجواهري فلـه رائعـات مـن قـصائده في التغنـي ببغـداد ومغانيهـا وأمجادهـا وشعبها، من ذلك قوله من قصيدة طويلة سنة 1927 حين فاض نهر دجلة وهدد بغداد بالغرق، نقتطف منها:(1)

بَـدَتْ خَـوْداً لهـا الأغـصانُ شَـعْرُ ... و "دجلةُ" ريقُهـا و الـسَّفْح ثَغْـرُ
على "بغـدادَ" مـا بَقِيَـتْ سـلامٌ ... يـضوعُ كـما ذكـا للـوَرْدِ نَـشْرُ
سَمَتْ تزهـو عـلى الـسَّفْحَيْنِ منهـا ... قُـصورٌ مِلْـؤهـا زَهْـوٌ وكِبْـرُ
يُظَلِّـلُ "دجلـةً" منهـا جَنـاحٌ ... كـما بـاهَـى بقادِمَتَـيْهِ نَـسْرُ
نزلْتُ فما رأيْتُ أبَـرَّ منهـا ... وضيفُ كريمةٍ بِـرٌّ يُبَـرُّ
قَرَتْـني الـرِّيْـحُ لم يفْسُـدْ مَهَـبٌّ ... لهـا والمـاءُ، لـم يَـسْدُدْ ممَـرُّ
سَكَرْتُ ومـا سُـقِيْتُ بغيـرِ مـاءٍ ... و "دجلـةُ" ماؤهـا عَـسَلٌ وخَمْـرُ
كريمـةُ سـادةٍ عَـرَّقْـنَ فيهـا ... عُروقٌ من بني "عـدنانَ" نُـضْرُ

(1) ديوان الجواهري ص 175- 176، الأعمال الشعرية الكاملة، ط 2 دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد 2001 م.

ويشيد بالأمجاد العربية في عصور بغداد الزاهية زمن العباسيين، ويقف على الجسر جسر بغداد ويتأمل في أمواج دجلة الهائجة الصاخبة تحت الجسر، فما أعظم دجلة وما أقواها وأعتاها:

كفى "العباسَ" ما أبقَتْ بنوهُ ... فما تربو على "بغدادَ" مِصْرُ
مَضَوْا غُرَّ الوجوهِ وخَلَّدَتْهم ... نقاباتٌ من الآثارِ غُرُّ
فمَنْ يَكُ ذِكْرُهُ حَسَناً جميلاً ... فحَسْبُ القَومِ في "بغدادَ" ذِكْرُ
فيا "بغدادُ" لا ينفَكُّ سِرٌّ ... لحُسْنِكِ يَنْجَلي فيَدِقُّ سِحْرُ
أكُنْتِ و"بابِلاً" بلداً سَواءً ... فللمَلِكَيْنِ باقٍ فيكِ سِحْرُ
سقى الجِسْرَ المطيرُ من الغوادي ... فمَلْقى اللهوِ واللذّاتِ جِسْرُ
هو البُرْجُ الَّذي كادتْ عليهِ ... نُجومُ الأُفْقِ ساجِدةً تَخِرُّ
رأيتُ بأُفْقِهِ شَمْساً وبَدْراً ... كأحسنِ ما تُرى شَمْسٌ وبَدْرُ
نهاراً كلُّهُ أُصُلٌ لِذاذٌ ... وليلاً كُلُّهُ سَحَرٌ وفَجْرُ
وقَفْتُ عليهِ وَقْفَةَ مُسْتَطيرٍ ... من الأحزانِ مِلْءُ حصاهُ ذُعْرُ
وللأمواجِ من حَنَقٍ نشيشٌ ... كما يغلي على النِّيرانِ قِدْرُ
و"دجلةُ" كالسجينِ بَغَى فِراراً ... وأزْبَدَ حيثُ أعوَزَهُ المَفَرُّ
وذاكَ الثَّابِتُ الأركانِ أمسى ... عليها ريشَةٌ لا تَسْتَقِرُّ
أحَقّاً أنَّ "أُمَّ الخيرِ" منها ... بعاصمةِ "الرشيدِ" أحاطَ شَرُّ؟
وباتَ الماءُ منها قِيْدَ شِبْرٍ ... لقد أسدى لها الإحسانَ شِبْرُ
و"دجلةُ" حُرَّةٌ ضَجَّتْ فجاشتْ ... وأبى الضَّيْمَ والإذلالَ حُرُّ
أضاعوا ماءَها هَدَراً وأخنَى ... على مُسْتَوْدَعِ البُرْكانِ قَصْرُ
وإنْ تَكُ "دجلةٌ" هدأتْ وقَرَّتْ ... فللغَضَبانِ "شِقْشِقَةٌ" تَقِرُّ

أما **عاتكة الخزرجي** (ت 2003 م) فقد كانت بعيدة عن بغداد، وطال بُعدُها، فحنَّت إلى بغداد وغلبها الشوق فصارت تنفث أشجانها من بعيد سنة 1984م:[1]

وسُئلْتُ حينَ الدَّمْعُ حا ... رَ وحَثَّ حادي البينِ ركْبَهْ
أتَرَيْنَ وادي الرافديْ ... نِ تِلالَهُ أترينَ كُثْبَهْ؟
أتَعِيْنَ وسوسَةَ النخيْ ... لِ ومجلسَ الأحبابِ قُرْبَهْ
وسَقاسِقَ العُصْفورِ إمَّا ... النُّوْرُ شَقَّ عليكَ دَرْبَهْ
وغُدُوَّ أسرابِ الطُّيو ... رِ ورَوْحَها في كلِّ رَحْبَهْ
أتلوحُ بغدادُ الهوى ... أنجيءُ أطيافُ الأحِبَّهْ
أتهُوْمُ الذِّكْرى أيْمَ ... لي الشَّوقُ للمُشْتاقِ كُتْبَهْ
أفتَذْكُرِيْنَ وهل نسي ... تِ؟ وكيفَ ينسى المرءُ حُبَّهْ
(بغداد) عَفْوَكِ قد جَرَحْ ... تِ القلبَ إذْ أثقَلْتِ عَتْبَهْ
حُبَّانِ: حُبُّ اللهِ والـ ... أوطانِ لِلأحرارِ حِسْبَهْ
بغدادُ يملَؤني هوا ... كِ وفُرقَةُ الأحبابِ كُرْبَهْ
ما غِبْتِ عن عينَيَّ يو ... ماً أو نسيْتُ لديكِ صُحْبَهْ
"بغدادُ" أنتِ سوادُ عيْ ... ني والفُؤادُ سَكَنْتِ لُبَّهْ
تبْقِينَ أنتِ الحُبَّ والـ ... وَحْيَ الأمينَ لَدى المُحِبَّهْ

وأنشد **خالد الشواف** قصيدة طويلة في مهرجان الشعر ببغداد، وطاف من خلالها ببغداد وحضارتها في العصر العباسي، ونوه بشعرائها وأدبائها، وتغنى بأنهارها ورباها ومواضعها وجمال مرآها، نقتطف منها ماتيسر:[2]

---

(1) الألوسي: بغداد ص 266 ــ 267.

(2) الألوسي ص 292 ــ 297.

عوجوا على عُدوةَ الوادي نُبَشِّرُهُ ... فمنبرُ الشِّعْرِ في "بغدادَ" منبرُه
قولوا لـ (عَبْقَرَ) هذا المهرجانُ لهُ ... فالشعر من عنصرٍ في المرج عنصرُهُ
أعيادُهُ اليومَ عادتْ بعدما طُوِيَتْ ... حيناً من الدهرِ أغفى فيهِ مِزْهَرُهُ
تلمَّسَ الوترَ الغافي فنبَّهَهُ ... وراحَ بالسَّلْسَلِ الصافي يُفَجِّرُه
حتى إذا عادَ ليلٌ رائقٌ أَلِقٌ ... يسامِرُ النَّجْمَ فيهِ مَنْ يُنَوِّرُهُ
نادى بـ "بغدادَ" هاكِ الشِّعْرَ فاحتفلي ... كما يموجُ بهِ في البيدِ عَبْقَرُهُ
فطاف بالنَّهْرِ حُلْمٌ من "رُصافَتِهِ" ... ومن عيونِ المَها والجِسْرُ يسهرُهُ
ومن مجالِسَ بالسُّمَّارِ حاليةٍ ... في "الكرخِ" والفجرُ يدعوها فتَنْهَرُهُ
وطافَ بالنَّهْرِ حُلْمٌ من هَوىً عَبِقٍ ... ضاعتْ بهِ قافياتُ الشعرِ تنشُرُهُ

وبعد أن يطوف مع شعراء بغداد في العصور الزاهية ومنجزات خلفائها وصانعي حضارتها، يعود إلى الشعراء وفود المهرجان، فيقول:

أهلاً وفودَ القوافي في "مُدَوَّرَةٍ" ... يُطْوى القريضُ فتُحْيِيهِ وتنشُرُهُ
لا يظمأُ الشعرُ في أرضٍ ويقصدُها ... إلاَّ ويُرْويهِ في "بغداد" كوثَرُهُ
فالشعرُ "دجلَتُنا" السَّلْسالُ موردُهُ ... والشعرُ "دجلَتُنا" المُخْتالُ مَصْدَرُهُ
يا إخوَةَ الشِّعْرِ هل تمَّتْ مناسِكُهُ ... وتَمَّ (كعبتُهُ) الأولى و(مَشْعَرُهُ)
وثَمَّةَ (الحَرَمُ) اللائي يُرادُ لها ... أنْ تُسْتَباحَ وبيتٌ كان يحفُرُهُ
اليومَ والقَدَرُ الأعلى يُهيبُ بهِ ... لوحدةٍ وجلالُ الصوتِ يغمُرُهُ
تفيضُ بالدَّعْوةِ المُثْلى مقاطِعُهُ ... وبالجِهادِ قوافيهِ وأبْحُرُه

وهناك من شعراء العربية الذين كانوا ضيوفاً على بغداد قالوا الشعر في بغداد وفي أمجادها، وتغنوا بجمالها ومحاسن أهلها وأشادوا بتاريخها وحضارتها نذكر بعضاً منهم:

فمن أولئك أمير الشعراء أحمد شوقي (ت 1351هـ / 1932م) الذي أشاد ببغداد ومكانتها وعلمائها في قصيدته (نهج البردة) التي يمدح بها الرسول ﷺ:[1]

دعْ عنكَ "روما" و"آثينا" وما حَوَتا ... كلُّ اليواقيتِ في "بغدادَ" والتُّؤَمِ
دارُ الشَّرائعِ "روما" كُلَّما ذُكِرَتْ ... "دارُ السلامِ" لها ألقَتْ يدَ السَّلَمِ
ما ضارَعَتْها بياناً عندَ مُلتأمٍ ... ولا حَكَتْها قضاءً عندَ مُختَصَمِ
ولا احتوتْ في طِرازٍ من قياصِرها ... على "رشيدٍ" و"مأمونٍ" و"مُعْتَصِمِ"
من الذينَ إذا سارتْ كتائِبُهم ... تصَرَّفوا بحدودِ الأرضِ والتُّخُمِ
ويجلسونَ على علمٍ ومعرِفَةٍ ... فلا يُدانوكَ في عقلٍ ولا فَهَمِ
يُطَأطِىءُ العلماءُ الهامَ إنْ نَبَسُوا ... من هيبةِ العلمِ لا من هيبَةِ الحكَمِ
ويُمْطِرونَ فما بالأرضِ من مَحَلٍ ... ولا بمن باتَ فوقَ الأرضِ من عَدَمِ

وينشد علي الجارم (علي بن صالح بن عبد الفتاح الجارم ت 1368هـ / 1949م) في حفل افتتاح المؤتمر الطبي العربي ببغداد سنة 1938م قصيدة من روائع الشعر يتغنى فيها ببغداد وأمجادها وفضائلها، وصارت القصيدة نشيداً يغنى و يترنم بها طلبة المدارس، وهي طويلة نقتطف منها: [2]

بغداد يا بلدَ الرشيدِ ... ومنارةَ المجدِ التليدِ
يا بسمةً لما تزَلْ ... زهراءَ في ثغرِ الخلودِ
يا موطنَ الحُبِّ المُقيـ ... ـمِ ومضْرِبَ المَثَلِ الشَّرُودِ
يا سَطْرَ مجدٍ للعرو ... بةِ خُطَّ في لوحِ الوجودِ
يا رايةَ الإسلامِ وال ... إسلامُ خَفَّاقُ البُنُودِ
يا مغْرِبَ الأملِ القديـ ... ـمِ ومشرقَ الأملِ الجديدِ

(1) الشوقيات ص 205 ــ 206 ط المكتبة التجارية بمصر د.ت.،صوررته دار الكتاب العربي، بيروت د.ت.

(2) الألوسي: بغداد ص 242 ــ 249.

يـا بنـتَ "دِجْلـةَ" قـد ظَمِئـ ـتُ لرشـفِ مبـسَمِكِ الـبَرودِ
يـا زهـرةَ الـصحراءِ رُدْ دِي بهْجَـةَ الـدُّنيا وزيـدي
"بغـدادُ" يـا دارَ النُّهـى والفـنُّ يـا بيـتَ القـصيدِ
نَبَـتَ القـريضُ عـلى ضِـفا فِـكِ بـينَ أفنـانِ الـورودِ

ويذكر دورَ بغداد في التاريخ، ويذكر ما كان فيها من علوم وفلسفات وشعر وشعراء:

الفلـسفاتُ عَرَفْتـها والعِلـمُ طِفْـلٌ في المهـودِ
والغـربُ ينظـرُ في خمـ ـدٍ نحـوَ قافلـةِ الخمـودِ
كـم مَوْئـلٍ للمـستجيـ ـرِ ومنهـلٍ للمـستفيدِ
والجـاحظُ المَـرِحُ اللَّعـ ـبُ يغـوصُ للـدُّرِّ الفريـدِ
بغـدادُ يـا وطَـنَ الأديـ ـبِ وأيكـةَ الـشعرِ الغَريـدِ
جَـدَّدتِ أحلامـي وكُنـ ـتُ صـحوتُ مـن عهـدٍ عهيـدِ
جمَـحَ الخيـالُ فمـا اطمـ ـأنَّ ولا اسـتقرَّ إلى الخلـودِ
بغـدادُ أشرقَ نجمُهـا وبـدا بهـا سعـدُ الـسُّعودِ
سـلكَتْ إلى المجـدِ القديـ ـمِ مَحَجَّـةَ النَّهـجِ الـسَّديدِ
وزَهَـتْ بـأقمارِ الهُـدى وسـطَتْ بأظفـارِ الأُسـودِ
بغـدادُ إنَّـا وفـدُ (مـصـ ـرَ) نفـيضُ بالـشوقِ الأكيـدِ
جئنـا نُحَيِّـي العلـمَ والـ ـآدابَ في العـددِ العديـدِ
مـرآكِ عيـدٌ للمُـنى فُـزْنا بـه في يـومِ عيـدِ[1]

(1) كان التاسع من شباط 1938م يوم عرفة، وقفة عيد الأضحى من ذي الحجة سنة 1356هـ.

وزار **نزار قباني** الشاعر العربي المبدع بغداد سنة 1962، فأنشد قصيدته في الحب والشوق إلى بغداد : (1)

مُدي بِساطَكِ واملَئي أكوابي ... وانسي العِتابَ فقد نسِيْتُ عِتابي
عيناكِ يا "بغداد" مُنْذُ طفولتي ... شَمْسانِ نائمتانِ في أهدابي
لا تُنكِري وجْهي فأنتِ حبيبَتي ... ووُرودُ مائدَتي وكأسُ شَرابي
"بغدادُ" جِئْتُكِ كالسَّفينَةِ مُتْعَباً ... أُخفي جِراحاتي وراءَ ثيابي
ورمَيْتُ رأسي فوقَ صَدْرِ أميرَتي ... وتلاقتِ الشَّفَتانِ بعدَ غِيابِ
أنا ذلك البَحَّارُ يُنْفِقُ عُمْرَهُ ... في البَحْثِ عن حُبٍّ وعن أحْبابِ
"بغدادُ" طِرْتُ على حريرِ عباءَةٍ ... وعلى ظفائرِ زَيْنَبٍ ورَبابِ
وهَبَطْتُ كالعُصفورِ يقصُدُ عُشَّهُ ... والفَجْرُ عُرْسُ مآذِنٍ وقِبابِ
حتى رأيْتُكِ قِطْعَةً من جَوْهَرٍ ... ترتاحُ بين النَّخْلِ والأعْشابِ
حيثُ التَفَتُّ أرى ملامِحَ موطني ... وأشُمُّ في هذا التُّرابِ تُرابي
لم أغْتَرِبْ أبداً فكُلُّ سَحابَةٍ ... بيضاءَ فيها كِبْرِياءُ سَحابي
إنَّ النجومَ السَّاكِناتِ هِضابَكم ... ذاتُ النُّجومِ السَّاكِناتِ هِضابي
"بغدادُ" عشْتُ الحُسْنَ في ألوانِهِ ... لكنَّ حُسْنَكِ لم يكُنْ بحسابي
ماذا سأكتُبُ عنكِ يا فيروزَتي ... وهواكِ لا يكفيهِ ألفُ كتابِ
يغتالُني شِعري فكُلُّ قصيدةٍ ... تَمْتَصُّني تمْتَصُّ زيتَ شبابي
الخِنْجَرُ الذَّهَبيُّ يشربُ من دَمي ... وينامُ في لَحْمي وفي أعصابي
"بغدادُ" يا هَزجَ الخلاخِلِ والحِلى ... يا مَخْزَنَ الأضواءِ والأطْيابِ
لا تظلُمي وتَرَ الرَّبابةِ في يدي ... فالشَّوقُ أكبَرُ من يدي ورَبابي
قبلَ اللقاءِ الحُلْوِ كنتِ حبيبتي ... وحبيبتي تَبْقَيْنَ بعدَ ذِهابي

---

(1) الألوسي: بغداد ص 285 ــ 287.

ويتغنى الشاعر سليم الزركلي بجمال بغداد وأصالتها وحضارتها في نفس عربي أصيل: [1]

أحقّاً ترى بغدادَ أم أنتَ حالمُ ... و "بغدادُ" يا قلبي الهوى والمعالمُ
معالمُ أمجادٍ ودُنْيا حضارةٍ ... أضاءَ بها دهرُ العُلا والمحارمُ
تغنّيتُ والبيداءُ تفصُلُ بيننا ... فهاتِ وأنتَ اليومَ جذلانُ ناعمُ
أدِرْها كُؤوساً بارك اللهُ نفحَها ... من الوُدِّ والأمشاجُ نشوى تَناغَمُ
أُناجيكِ يا أُمَّ المدائنِ،والرُّؤى ... تَهُشُّ لها أرواحُنا والمباسِمُ
رُؤى في طريقِ المجْدِ تُزْهى روائعاً ... وخيرُ جديدٍ ما بَنَتْهُ العَزائمُ
وأرجعُ للماضي فأسجُدُ خاشعاً ... وحُقَّ لماضيكِ الرُّقى والتَّمائمُ
زمانَ شدا بالشعرِ في كلِّ منبرٍ ... أخو (عَبْقرٍ) والشعرُ بالمجدِ هائمُ
وغنَّى هَزارُ الشِّعْرِ في كلِّ روضةٍ ... وطرَّبتِ الأفلاكَ فيها الحمائمُ
وطَوَّفَ في سوحِ الفتوحاتِ أعصرٌ ... تُساقُ إلى جَنَّاتهنَّ الغمائمُ
ودُنْياكِ يا (بغدادُ) والدَّهْرُ طَيِّعٌ ... تَشِدُّ وتبني والحظوظُ كرائمُ

وبعد أن يتحدث عما نزل بالأمة من مصائب وآلام وما يتمنى من آمال للصحوة والنهوض، يفصح عن حبه وحنينه إلى بغداد ويتغنى بجمال طبيعتها من نهر وأرض وخصب:

نشدتُكِ للودِّ القديمِ وللهوى ... وبين ضلوعي من هواكِ عوالمُ
أدغْدِغُها والفجرُ بعدُ ملثَّمٌ ... وأوقظها والذكرياتُ حوالمُ
و "دجلةُ" يسري والنخيلُ مُهَوِّمٌ ... وللسحرِ في أعطافِهنَّ نَواسمُ
وفوقَ خدودِ النَّهْرِ راقصُ شعلةٍ ... خواطِرُها تحتَ العُبابِ بواسِمُ
وقلبيَ في أشواقِهِ نِضْوُ صَبْوَتي ... وهل تستريحُ الطَّيْرُ وهي جواثِمُ ؟

(1) الألوسي: بغداد ص 306 ــ 309.

تحيّـةُ أعـراقٍ وعِطـرُ أواصِرٍ ... أُسَقِّـيْكِ يا " بغدادُ " والوجـدُ عارمُ
ففي " بردى " و" الغوطتينِ " مشاعرٌ ... تَـرِفُّ فـما تقـوى عليهـا السَّمائِمُ
تحِـنُّ لأيـامٍ خَلَـتْ مـن عهودِهـا ... وأنتِ نجاواهـا وأنـتِ الدَّعـائمُ
ولـيس سبيلَ الحُـبِّ هَجْـرٌ وفُرْقَـةٌ ... ولـيس شِـعارُ الأكـرمينَ سَـخائمُ
هَبـي للعُـلا دهْـراً يـضوعُ أريجُـهُ ... تطيـبُ بـهِ أجيالُنـا والعواصِـمُ
وخَـلِّ الجَـوى يحـرِقْ كُبُـودَ عَـواذِلٍ ... وتُـشْرِقُ بـالغَيْظِ الـدَّفينِ نـوائـمُ
ونحنُ على حالٍ مـن الـوُدِّ تـستقي ... نوافِحُـهُ أنجادُنـا والتَّـهائِمُ
فقد تَعْظُمُ الأشياءُ وهـي صـغائِرٌ ... وقـد تـصْغُرُ الأرزاءُ وهـي عظـائمُ
وما الحَزْمُ إلا أنْ نَـضُمَّ شَـتاتَنا ... فتَـسْعَدَ أوطـانٌ بنـا ومـشائمُ

ونختم هذه المختارات النبيلة من الحب والحنين إلى بغداد بأبيات في التغني بجمال بغداد وكرم أهلها، لم نقف على اسم قائلها:(1)

فـدى لـكِ يـا بغـداد كـل قبيلـة ... من الأرضِ (إلا ؟) خطَّتي وديارِيا
فقـد طفـت في شرق الـبلادِ وغَربِهـا ... وسـيَّرْتُ رحـلي بينهـا ورِكابيـا
فلـم أرَ فيهـا مثـلَ بغـداد منـزلاً ... ولم أرَ فيهـا مثـلَ دجلـةَ واديـا
ولا مثـلَ أهليهـا أرَقَّ شـمائلاً ... وأعـذَبَ ألفاظـاً وأحـلى معانيـا

وبعد فهل هذا كل ما قيل في الحنين إلى بغداد وحب بغداد ؟ أم أن هناك أشعاراً كثيرة وكثيرة جداً قيلت في بغداد وأهلها والحنين إلى العراق وطناً وشعباً وحضارة وأصالة، وقد اكتفينا من القلادة بما أحاط بالعنق.

---

(1)علي الطنطاوي: بغداد مشاهدات وذكريات ص 30، ط2 دار المنارة، جدة 1990م.

مصادر الكتاب ومراجعه

(أ)

* أخبار الشعراء المحدثين في كتاب الأوراق-الصولي:أبو بكر محمد بن يحيى (ت 335 هـ). عني بنشره ج هيورث دن. ط دار المسيرة . بيروت 1979م.
* إخبار العلماء بأخبار الحكماء-القفطي: جمال الدين علي بن يوسف الشيباني (ت 646 هـ) . ط ليبسك 1903 . وط مصر 1908م.
* أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار -الأزرقي: محمد بن عبد الله (ت 259 هـ). (مجلدان) . تحقيق رشدي ملحس.ط 2 دار الثقافة . مكة 1960م.
* الأدب العصري في العراق العربي- رفائيل بطي: رفائيل بن بطرس بن عيسى (ت 1375هـ /1956م) . ط مصر 1923م.
* أدب الغرباء-الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356 هـ). تحقيق صلاح الدين المنجد . ط دار الكتاب الجديد. بيروت 1972م.
* أدب الكتاب-الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى (ت 335 هـ). تحقيق محمد بهجة الأثري . ط القاهرة 1341هـ
* إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)-ياقوت الرومي الحموي (ت 626 هـ). (7 أجزاء) ط مرجليوث 1907-1925م . وتحقيق إحسان عباس. ط دار الغرب الإسلامي. بيروت 1993 م.
* الأسرار المرفوعة-علي القاري:علي بن سلطان محمد الهروي (ت 1014 هـ). ط مؤسسة الرسالة. بيروت.
* أشجع السلمي حياته وشعره = شعر أشجع السلمي.
* أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم-الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى (ت 335 هـ). وهو جزء من كتاب الأوراق. ط مصر 1936م.وبعناية هيورث دن . ط دار المسيرة. بيروت 1979م.
* أشعار اللصوص-عبد المعين الملوحي. جمع وتحقيق لشعر اللصوص. ط دار طلاس. دمشق 1988م.
* الإصابة في تمييز الصحابة-ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت 852 هـ).(4 مجلدات) تحقيق علي محمد البجاوي. ط القاهرة 1970م. و (9 مجلدات) ط دار الكتب العلمية. بيروت 1995م.
* الأصمعيات- الأصمعي: عبد الملك بن قريب (ت 216 هـ). تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . ط دار المعارف . مصر 1979م.
* الإعجاز والإيجاز-الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب (ت 403هـ). تحقيق أحمد صقر . ط 3 دار المعارف. القاهرة 1972 م.

* الأعلام-الزركلي: خير الدين محمود بن محمد (ت 1392 هـ / 1972م). الطبعة الخامسة . ط دار العلم للملايين. بيروت 1980م.
* الأغاني-الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356 هـ). (22-26 جزءاً) ط الساسي . مصر 1323هـ . و ط دار الكتب المصرية . وط دار الكتب العلمية . بيروت 1992م.
* الاغتراب سيرة ومصطلح-محمود رجب. ط 4 دار المعارف. القاهرة 1993م.
* الاغتراب في الإسلام-فتح الله خليف. مجلة عالم الفكر . المجلد العاشر العدد الأول 1979م
* الاغتراب في الشعر الأموي- فاطمة محمد السويدي. ط مكتبة مدبولي . القاهرة 1997م.
* الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر -أحمد النكلاوي. ط دار الثقافة العربية. القاهرة 1989م.
* الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر-نبيل اسكندر. ط دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية 1988م.
* الاغتراب والعبقرية-عادل الألوسي. ط دار الفكر. القاهرة 2003 م.
* أمالي القالي (كتاب الأمالي والنوادر)ـــ القالي: إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت 356 هـ). دار الكتب المصرية . القاهرة 1926م . وط سنة 1953م.
* أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) ـــ المرتضى: الشريف علي بن الحسين العلوي (ت 436 هـ). (4 أجزاء) ط مصر 1907م . وأعيد طبعه في مجلدين سنة 1954م.
* الإمتاع والمؤانسة-التوحيدي: أبو حيان علي بن محمد (ت 400 هـ). (ثلاثة أجزاء) ط مصر 1939م.
* إنباه الرواة على أنباه النحاة-القفطي:جمال الدين علي بن يوسف (ت 646 هـ) (3 أجزاء) ط دار الكتب المصرية 1369-1374 هـ

(ب)

* البصائر والذخائر-التوحيدي: أبو حيان علي بن محمد (ت 400 هـ). مصر 1953م. وتحقيق إبراهيم الكيلاني. ط مكتبة أطلس. دمشق 1964م.
* بغداد في الشعر العربي. من تاريخها وأخبارها الحضارية -الآلوسي:جمال الدين مطبوعات المجمع العلمي العراقي. بغداد 1987م.
* بغداد مشاهدات وذكريات ـــ علي الطنطاوي . ط2 دار المنارة . جدة 1990م.
* بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب-الآلوسي: محمود شكري (ت 1342هـ) (3 أجزاء) . تصحيح محمد بهجة الأثري. ط مصر1924م.

* بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب-الآلوسي: محمود شكري (ت 1342هـ) (3 أجزاء) . تصحيح محمد بهجة الأثري. ط مصر1924م.
* بهجة المجالس وأنس المُجالس وشحذ الذهن والهاجس-القرطبي: يوسف بن عبد البر (ت 463هـ). تحقيق محمد مرسي الخولي. ط الدار المصرية . القاهرة د.ت. و ط دار الكتب العلمية. بيروت 1982م.
* البيان والتبيين-الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ). (4 أجزاء) تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط مكتبة الخانجي. مصر 1964م.

(ت)

* تاج العروس في جواهر القاموس-الزبيدي:محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ) ط بيروت. 1966 م.
* تاريخ ابن الأثير = الكامل.
* تاريخ الأدب العربي- بروكلمان: كارل (ت 1868هـ / 1956م)
الترجمة العربية لمجموعة من المترجمين كل جزء مترجم من سنة 1961-1983
تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام-الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748 هـ). ط السعادة . مصر 67-1969 م.
* تاريخ بغداد -البغدادي: الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت 463 هـ). (14 مجلداً) ط مكتبة الخانجي . القاهرة 1349هـ / 1941م.
* تاريخ التراث العربي-سزكين: محمد فؤاد. الترجمة العربية . ط الرياض 1404 هـ / 1984م.
* تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)-الطبري: محمد بن جرير (ت 310 هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط دار المعارف. مصر 1967م.
* تاريخ العرب قبل الإسلام-جواد علي:جواد بن محمد علي (ت 1987م). (7 مجلدات) ط بغداد 50-1958 م.
* تحرير التحبير-العدواني:عبد العظيم بن عبد الواحدبن ظافر بن أبي الأصبع (ت 654 هـ). تحقيق حنفي محمد شرف. ط القاهرة 1383هـ
* التذكرة الحمدونية-ابن حمدون: محمد بن الحسن بن محمد بن علي(ت 562 هـ) تحقيق إحسان عباس وبكر عباس . ط دار صادر . بيروت 1996م.
* التصوف . الثورة الروحية في الإسلام-أبو العلا عفيفي. ط القاهرة 1963م.
* تهذيب تاريخ دمشق-ابن عساكر: ثقة الدين أبو القاسم علي بن عساكر (ت 571 هـ). ترتيب وتهذيب الشيخ عبد القادر بدران (ت 1346 هـ). (7 أجزاء) . مطبعة روضة الشام 1329هـ. وط دار إحياء التراث . بيروت 1987م.
* تهذيب اللغة-الأزهري: محمد بن أحمد (ت 370 هـ). ط القاهرة 1966م.

(ث)

* ثمار القلوب في المضاف والمنسوب -الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط دار نهضة مصر . القاهرة 1965 م.

(ج)

* جمع الأصول-الكمشخانوي: أحمد بن مصطفى (ت 1311هـ). ط الحلبي . القاهرة . د.ت.
* جمهرة أشعار العرب -القرشي: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (ت ق 4 هـ).
* تحقيق علي محمد البجاوي . ط القاهرة 1387 هـ / 1967م.
* جمهرة أنساب العرب-ابن حزم: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت 456 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون . ط دار المعارف . مصر 1971م.
* جمهرة اللغة-ابن دريد: محمد بن الحسن (ت 321 هـ). نشر كرنكو. ط حيدر آباد 1344هـ.

(ح)

* حاجب الفيل وما تبقى من شعره-حاجب الفيل بن ذبيان المازني (ت 120 هـ). جمع نوري القيسي. ط مجلة المورد. م 15. العدد الأول بغداد 1986م.
حلية المحاضرة -الحاتمي:أبو علي محمد بن الحسن (ت 388 هـ). تحقيق هلال ناجي. ط بيروت 1978م . وتحقيق جعفر الكناني. بغداد 1979.
* حماسة البحتري-البحتري: أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (ت 284 هـ). تحقيق لويس شيخو 1910م . و ط دار الكتب العلمية . بيروت 1998م.
* الحماسة البصرية-البصري: صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين (ت 659 هـ). (جزآن) تحقيق مختار الدين أحمد " حيدرآباد 1964م.
* الحماسة الشجرية-ابن الشجري: هبة الله بن علي بن حمزة العلوي (ت 542هـ) ط حيدر آباد 1345 هـ . و تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الخمصي . ط دمشق 1970م.
* حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء ـــ العبدلكاني: أبو محمد عبد الله بن محمد الزوزني (ت 431 هـ). تحقيق محمد جبار المعيبد . ط وزارة الثقافة . بغداد 1978م.
* الحماسة المغربية (مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب)-التادلي: أحمد بن عبد السلام (ت 609 هـ). تحقيق محمد رضوان الداية . ط دار الفكر . دمشق 1991م.

* الحنين إلى الأوطان-موسى بن عيسى الكسروي (ت ق 3 هـ). ينسب إلى الجاحظ.راجع رسائل الجاحظ.
* الحنين إلى الأوطان-ابن المرزبان:محمد بن سهل بن المرزبان البغدادي (ت330هـ) تحقيق جليل العطية . ط عالم الكتب . بيروت 1987م.
* الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي-محمد إبراهيم حوَّر. ط 2 دار القلم. الإمارات العربية المتحدة. 1989م.
* الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث-ماهر حسن فهمي. ط معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة 1970م.
* الحيوان للجاحظ = كتاب الحيوان.

(خ)

* خاص الخاص -الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429هـ). ط دار مكتبة الحياة . بيروت 1966م.
* خزانة الأدب-البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت 1093 هـ). (4 مجلدات) ط مصر 1299هـ . وتحقيق عبد السلام هارون (13 مجلداً) ط الخانجي . مصر 86-1989م.

(د)

* دراسات في سيكولوجية الاغتراب-عبد اللطيف محمد خليفة. ط دار غريب . القاهرة د.ت.
* الدر الفريد وبيت القصيد-محمد بن أيدمر (ت 710 هـ). (5 مجلدات) مخطوط . تصوير معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية . فرانكفورت 1988 - 1989م.
* دراسات في سيكولوجية الاغتراب-عبد اللطيف محمد خليفة. ط دار غريب . القاهرة 2003م.
* الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة-السيوطي:جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ). ط الحلبي . مصر د.ت.
* ديوان الأبيوردي-الأبيوردي:أبو المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق (ت 705هـ). (جزآن) تحقيق عمر الأسعد. ط2 مؤسسة الرسالة . بيروت 1987م.
* ديوان أحمد شوقي (الشوقيات)- أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي (ت 1351هـ / 1932م). ط المكتبة التجارية بمصر د.ت.،صورته دار الكتاب العربي، بيروت د.ت.
* ديوان الأحوص الأنصاري-الأحوص: عبد الله بن محمد الأنصاري (ت 105هـ) تحقيق عادل سليمان . ط الخانجي . مصر 1990م.
* ديوان أسامة بن منقذ- أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (ت 584هـ). تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد . ط 2 عالم الكتب. بيروت 1983.

* ديوان الأعشى- الأعشى: ميمون بن قيس (ت 8 هـ). تحقيق جابر(الصبح المنير) ط لندن 1928هـ . و تحقيق محمد محمد حسين . ط مؤسسة الرسالة. بيروت 1983م.
* ديوان أعشى همدان-الأعشى:عبد الرحمن بن الحارث (ت 83 هـ). تحقيق حسن أبو ياسين . ط دار العلوم . الرياض 1983م.
* ديوان امرىء القيس-امرؤ القيس بن حجر الكندي (ت 80 ق هـ / 545 م). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط دار المعارف . مصر 1984م.
* ديوان أوس بن حجر-أوس بن حجر بن مالك التميمي (ت 2 ق هـ / 620 م) تحقيق محمد يوسف نجم . ط دار صادر. بيروت 1967م.
* ديوان البحتري-البحتري: الوليد بن عبيد (ت 284 هـ). تحقيق حسن كامل الصيرفي . ط دار المعارف. القاهرة 63-1978م . وط بيروت 1999م.
* ديوان بشار بن برد-بشار بن برد العقيلي (ت 167 هـ). تحقيق الطاهر بن عاشور . ط تونس 1976م.
* ديوان بشر بن أبي خازم-الأسدي: بشر بن أبي خازم الأسدي (ت 22 ق هـ / 598 م) تحقيق عزة حسن . ط2 دار الشرق العربي . بيروت 1995م.
* ديوان تأبط شراً وأخباره-تأبط شراً:ثابت بن جابر (ت 80 ق هـ) جمع وتحقيق علي ذو الفقار شاكر .ط دار الغرب الإسلامي. بيروت 1984م.
* ديوان أبي تمام-الطائي: حبيب بن أوس (ت 231 هـ). شرح الخطيب التبريزي. بعناية راجي الأسمر ط 2 دار الكتاب العربي . بيروت 1994م.
* ديوان جرير-جرير بن عطية بن الخطفى (ت 110 هـ). ط دار صادر. بيروت 1960م.
* ديوان جميل بثينة-جميل بن عبد الله بن معمر العذري (ت 82 هـ). ط عالم الكتب . بيروت 1996 م.
* ديوان الجواهري ـــ الجواهري:محمد مهدي (ت 1996م) الأعمال الشعرية الكاملة . ط 2 دار الحرية للطباعة والنشر. بغداد 2001 م.
* ديوان حاتم الطائي-الطائي: حاتم بن عبد الله بن سعد (ت 46 ق هـ / 578م). بعناية حنانصر الحتي. ط دار الكتاب العربي . بيروت 1997م.
* ديوان حسان بن ثابت-حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي (ت 54 هـ). تحقيق وليد عرفات. ط دار صادر. بيروت 1974م.
* ديوان الحطيئة-الحطيئة: جرول بن أوس (ت 30 هـ). شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني. تحقيق نعمان أمين طه . ط القاهرة 1958م.
* ديوان حُمَيد بن ثور الهلالي-حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري (ت 30 هـ) تحقيق عبد العزيز الميمني . ط دار الكتب المصرية . القاهرة 1951م.
* ديوان الخوارج-جمع وتحقيق إحسان عباس . ط دار الشروق. بيروت 1982م.

* ديوان دعبل الخزاعي(شعر دعبل الخزاعي)-دعبل بن علي بن رزين (ت 246هـ) جمع وتحقيق عبد الصاحب الدجيلي.ط 1962،1.ط 2دار الكتاب اللبناني. بيروت 1989م.وتحقيق عبد الكريم الأشتر. ط مجمع اللغة العربية. دمشق 1964م.
* ديوان أبي دهبل الجمحي-الجمحي:وهب بن زمعة بن أسد القرشي (ت 63هـ). تحقيق عبد العظيم عبد المحسن . ط النجف 1972م.
* ديوان ذي الرمة: ذو الرمة: غيلان بن عقبة العدوي (ت 117 هـ). (3 مجلدات) تحقيق عبد القدوس أبو صالح. ط 3 مؤسسة الرسالة . بيروت 1993م.
* ديوان الراعي النميري-الراعي: عبيد بن حصين بن معاوية (ت 90 هـ). تحقيق راينهرت فايبرت .ط دار صادر. بيروت 1980م.
* ديوان الرصافي-الرصافي: معروف بن عبد الغني البغدادي (1364هـ /1945م) المجموعة الكاملة. ط دار مكتبة الحياة. بيروت د.ت .
ديوان ابن الرومي-ابن الرومي: علي بن العباس بن جريج (ت 283 هـ). تحقيق حسين نصار. ط دار الكتب المصرية . القاهرة 1073م. و ط دار الكتب العلمية. بيروت 1994م.
* ديوان سحيم- سحيم عبد بني الحسحاس (ت 40 هـ). تحقيق عبد العزيز الميمني . ط دار الكتب المصرية. القاهرة 1950م.
* ديوان الشافعي-الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت 204 هـ). جمع محمد عفيف.ط دار الجيل. بيروت 1974م. وط محمد عبد المنعم خفاجي. القاهرة 1985م.
* ديوان الشبلي-الشبلي:أبو بكر دلف بن جحدر (ت 334 هـ). جمع وتحقيق كامل مصطفى الشيبي . ط بغداد 1967م.
* ديوان الشريف الرضي- الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى (ت 406 هـ). ط دار صادر. بيروت 1307هـ
* ديوان الشنفرى = شعر الشنفرى الأزدي.
* ديوان الصافي النجفي-الصافي النجفي: أحمد بن علي بن صافي (ت 1977م). المجموعة الكاملة لأشعار أحمد الصافي النجفي غير المنشورة. قدم لها جلال خياط. ط وزارة الإعلام. بغداد 1977.
* ديوان صردر- صردر: محمد بن عبد الله (ت 465 هـ). ط دار الكتب المصرية . القاهرة 1934م.
* ديوان الصنوبري-الصنوبري: أحمد بن محمد (ت 334 هـ). تحقيق إحسان عباس . ط دار صادر . بيروت 1998م.
* ديوان طرفة بن العبد-طرفة بن العبد بن سفيان البكري (ت 60 ق هـ /564م). ط دار صادر . بيروت 1968م.

* ديوان الطرماح-الطرماح بن حكيم الطائي (ت 125 هـ). تحقيق عزة حسن . ط2 دار الشرق العربي، بيروت 1994 م.
* ديوان الطغرائي-الطغرائي: أبو إسماعيل الحسن بن علي (ت 515 هـ). تحقيق يحيى الجبوري وعلي جواد الطاهر . ط وزارة الثقافة، بغداد 1976م.
* ديوان طهمان بن عمرو الكلابي -طهمان بن عمرو (ت 80 هـ). تحقيق عبد الجبار المعيبد . ط بغداد 1968م.
* ديوان عبد المحسن الكاظمي-الكاظمي:أبو المكارم عبد المحسن بن محمد بن علي (ت 1354 هـ). الأعمال الشعرية الكاملة . تحقيق حكمت الجادرجي . ط دار الحكمة . لندن 2002م .
* ديوان عبيد بن الأبرص-عبيد بن الأبرص الأسدي (ت 25 ق هـ / 597م) ط ليدن 1913م . وتحقيق حسين نصار . ط الحلبي . مصر 1957م.
* ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات-ابن الرقيات (ت 75 هـ). تحقيق محمد يوسف نجم، ط دار صادر، بيروت د.ت.
* ديوان أبي العتاهية-أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم (ت 210 هـ). تحقيق مجيد طراد، ط دار الكتاب العربي، بيروت 1997م.
* ديوان العرجي -العرجي: عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان (ت 120هـ). تحقيق سجيح الجبيلي . ط دار صادر، بيروت 1998م.
* ديوان عروة بن حزام ـــ عروة بن حزام العذري (ت 30 هـ). تحقيق إنطوان القوال . ط دار الجيل بيروت 1995م.
* ديوان عروة بن الورد- عروة بن الورد بن زيد العبسي(ت 30 ق هـ / 594م). شرح ابن السكيت، تحقيق راجي الأسمر،ط دار الكتاب العربي،بيروت 1997م
* ديوان علي بن الجهم-علي بن الجهم بن بدر القرشي (ت 249 هـ).تحقيق خليل مردم . ط بيروت 1980م.
* ديوان عمر بن أبي ربيعة ـــ المخزومي: عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي (ت 93 هـ).تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة 1965م.
* ديوان عنترة العبسي-عنترة بن شداد العبسي (ت 22 ق هـ / 622م). ط دار الكتب العلمية . بيروت 1995م.
* ديوان أبي فراس الحمداني-الحمداني: الحارث بن سعيد (357 هـ). تحقيق سامي الدهان . مطبوعات المعهد الفرنسي، بيروت 1994م.
* ديوان الفرزدق-الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة (ت 110 هـ). تحقيق عبد الله الصاوي، ط القاهرة 1936م . و ط دار صادر، بيروت د.ت.
* ديوان القتّال الكلابي -عبد الله بن مجيب الكلابي (110 هـ).تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت 1961م.

* ديوان قيس بن الخطيم-قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي (ت 2 ق هـ / 620 م) تحقيق ناصر الدين الأسد ، ط دار صادر ، بيروت 1991م.
* ديوان قيس لبنى- قيس بن ذريح (ت 69هـ). تحقيق عفيف حاطوم ، ط دار صادر، بيروت 1998م.
* ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلى)-العامري: قيس بن الملوح بن مزاحم (ت 68 هـ).تحقيق عبد الستار فراج، ط مكتبة مصر، القاهرة 1965م.
* ديوان كُثَيِّر عزَّة-كثير بن عبد الرحمن الخزاعي (ت 105 هـ). تحقيق إحسان عباس ، ط دار الثقافة ، بيروت 1971م، و ط دار الجيل ، بيروت1995 م.
* ديوان لبيد بن ربيعة-العامري: لبيد بن ربيعة العامري (ت 40 هـ). تحقيق إحسان عباس ، ط الكويت 1962م.
* ديوان اللصوص-جمع محمد نبيل طريفي، ط دار الكتب العلمية ، بيروت 2004 م.
* ديوان المتلمس-المتلمس: جرير بن عبد المسيح (ت 50 ق هـ / 672م). ط ليبزج، و تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة 1970م.
* ديوان المتنبي-المتنبي: أبو الطيِّب أحمد بن الحسين (ت 354 هـ). شرح عبد الرحمن البرقوقي، ط 1مصر 1930م، ط2 دار الكتاب العربي ، بيروت 1986م.
* ديوان المعاني-العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد اللّه بن سهل (ت 395 هـ). ط مكتبة القدسي، القاهرة 1352هـ ،و ط دار الكتب العلمية ، بيروت 1994م.
* ديوان ابن المعتز-ابن المعتز: عبد اللّه بن محمد بن المعتز العباسي (ت 296هـ). صنعة الصولي، تحقيق يونس السامرائي، ط عالم الكتب، بيروت 1997م.
* ديوان ابن مفرغ الحميري-الحميري: يزيد بن زياد (ت 69 هـ). تحقيق عبد القدوس أبو صالح ، ط 3 مؤسسة الرسالة، بيروت 1993 م.
* ديوان النابغة الذبياني-الذبياني: زياد بن معاوية (ت 18 ق هـ /604 م). تحقيق الطاهر بن عاشور ، تونس 1976م.
* ديوان أبي نواس-أبو نواس: الحسن بن هاني (ت 196هـ). تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، ط مصر 1953م.
* ديوان وضاح اليمن- عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كُلال (ت 95 هـ). جمع وتحقيق محمد خير البقاعي ، ط دار صادر 1996م.

(ر)

* رحلة ابن معصوم (سلوة الغريب)- ابن معصوم :علي بن أحمد بن محمد الحسيني (ت 1119هـ). تحقيق شاكر هادي شكر، مجلة المورد 2/8، بغداد 79-1980م.
* رسائل ابن باجة الإلهية-ابن باجة:محمد بن يحيى (ت 533 هـ). تحقيق ماجد فخري ، بيروت 1968م.

* رسائل الجاحظ (رسالة الحنين إلى الأوطان)-الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ).تحقيق عبد السلام هارون . ط الخانجي . مصر 1384هـ / 1965م.
* رغبة الآمل من كتاب الكامل-المرصفي: سيد بن علي المرصفي (ت 1349هـ). (8 أجزاء) ط مصر 46-1348هـ
* روضة العقلاء ونزهة الفضلاء-البستي: أبو حاتم محمد بن حبّان (ت 354 هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين . ط القاهرة 1949م.

(ز)

* زهر الآداب وثمر الألباب-الحصري: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت 453 هـ). تحقيق زكي مبارك . ط 4 دار الجيل . بيروت 1972 م.
* الزهرة-الأصبهاني: أبو بكر محمد بن داود (ت 297 هـ). ط الآباء اليسوعيين. بيروت 1932م . وفي جزأين تحقيق إبراهيم السامرائي .الطبعة الثانية 1985م.

(س)

* سقط الزند-المعري: أبو العلاء أحمد بن عبد الله (ت 449هـ). شرح أحمد شمس الدين. ط دار الكتب العلمية. بيروت 1990م
سمط اللآلىء-البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 478 هـ). (مجلدان) تحقيق عبد العزيز الميمني . ط لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة 1936م.
* سنن الترمذي-الترمذي:محمد بن عيسى (ت 279 هـ). تحقيق أحمد محمد شاكر . ط القاهرة 1930 م.
* السيرة النبوية-ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت 218 هـ). (4 أجزاء) تحقيق مصطفى السقا والأبياري وشلبي. ط مصر 1936م.

(ش)

* شجرة العذراء- توفيق الفكيكي:توفيق بن علي بن ناصر (ت 1969م). ط مطبعة الإرشاد. بغداد د.ت.
* شرح أشعار الهذليين-السكري: الحسن بن الحسين (ت 275 هـ). تحقيق عبد الستار فراج . ط مصر 1965 م.
* شرح ديوان الحماسة -التبريزي: الخطيب أبو زكريا يحيى بن علي (ت 502 هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة حجازي. مصر د.ت.
* شرح ديوان الحماسة-المرزوقي: أحمد بن محمد (ت 421 هـ). تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون . ط القاهرة 1953 م.
* شعر أشجع السلمي (أشجع السلمي حياته وشعره)-السلمي: أشجع بن عمرو (ت 195هـ). جمع وتحقيق خليل بنيان الحسون . ط دار المسيرة . بيروت.

* شعر الحارث المخزومي-المخزومي: الحارث بن خالد (ت 85 هـ) تحقيق يحيى الجبوري ، ط دار القلم، الكويت 1983م.
* شعر أبي حية النميري-النميري: الهيثم بن الربيع بن زرارة (ت 183 هـ). جمع وتحقيق يحيى الجبوري ، ط وزارة الثقافة، دمشق 1975 م.
* شعر الشنفرى الأزدي-الشنفرى: عمرو بن مالك(ت 70 ق هـ).
لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي (ت 195هـ). تحقيق علي ناصر غالب، من مطبوعات مجلة العرب، الرياض 1988م.
* شعر الصمة القشيري (الصمة القشيري حياته وشعره)-الصمة بن عبد الله القشيري (ت 95 هـ). جمع وتحقيق خالد الجبر ، ط جامعة البترا، دار المناهج عمان 2003م.
* شعر طريح الثقفي- الثقفي: طريح بن إسماعيل (ت 165هـ). جمع وتحقيق بدر أحمد ضيف، ط دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية 1987م.
* شعر عبد الله بن الزبير الأسدي-الأسدي: عبد الله بن الزَّبير (ت 75هـ). تحقيق يحيى الجبوري ، ط وزارة الإعلام، بغداد 1974م.
* شعر عبد الله بن همام السلولي- السلولي: عبد الله بن همام (100هـ).
جمع وتحقيق وليد السراقبي ، ط دبي.
* شعر عمرو بن أحمر- عمرو بن أحمر الباهلي (ت 65 هـ). جمع وتحقيق حسين عطوان ، ط مجمع اللغة العربية، دمشق د.ت.
* شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي-الزبيدي: عمرو بن معديكرب بن ربيعة بن عبد الله (ت 21هـ). تحقيق مطاع طرابيشي ، ط مجمع اللغة العربية، دمشق 1985م.
* شعر المتوكل الليثي- الليثي: عبد الله بن نهشل بن مسافع (ت 85 هـ). تحقيق يحيى الجبوري، ط مكتبة الأندلس، بغداد 1971م.
* شعر محمد بن بشير الخارجي- محمد بن بشير (ت 130هـ). تحقيق محمد خير البقاعي ، ط دار قتيبة ، دمشق 1985م.
* شعر ابن ميادة- ابن ميادة : الرماح بن أبرد الذبياني (ت 149هـ). تحقيق حنا حداد ، ط مجمع اللغة العربية ، دمشق 1982م.
* شعر هدبة بن الخشرم العذري-هدبة بن الخشرم بن كرز (ت 50 هـ).
تحقيق يحيى الجبوري ، ط دار القلم ، الكويت 1986م.
* شعر نصيب بن رباح-نصيب بن رباح: أبو محجن مولى عبد العزيز بن مروان (ت 108 هـ) .جمع وتحقيق داو سلوم ، ط بغداد 1967 م.
* شعر يزيد بن الطثرية-ابن الطثرية: يزيد بن سلمة (ت 126هـ).
جمع حاتم الضامن ، ط بغداد 1973م.
* الشعر والشعراء-ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ). ط ليدن 1902م ، و تحقيق أحمد شاكر ، ط دار المعارف، مصر 1966م.

* الشعر العراقي، أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر. يوسف عز الدين. ط الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1965م.
* شعراء أمويون-جمع نوري القيسي (ت 1994م). ط جامعة الموصل 1976، وط بغداد 1982م.
* شعراء بني قُشَير في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي-عبد العزيز محمد الفيصل. ط دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1978م.
* الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي-عبده بدوي. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1988م.
* شعراء عباسيون-غوستاف غرونباوم (جمع وتحقيق). ترجمة محمد يوسف نجم ، ط دار مكتبة الحياة ، بيروت 1959.
* شعراء النصرانية قبل الإسلام-شيخو: لويس شيخو اليسوعي (ت 1927م). ط مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت 1926م، ط2 دار المشرق ، بيروت 1967م.

(ص)

* الصبح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأعشين الآخرين . ط مطبعة أدلف هلز هوسن، بيانة 1927م ، تصوير مكتبة ابن قتيبة ، الكويت 1993م.
* الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)-الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت393 هـ). تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين ، بيروت 1979م.
صحيح البخاري (الجامع الصحيح)-البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256هـ). ط أوربا، و ط البابي الحلبي، القاهرة د.ت.
* صحيح مسلم (الجامع الصحيح)-مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261 هـ). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط القاهرة 1956م.

(ط)

* طبقات الشعراء-ابن المعتز: عبد الله بن المعتز العباسي (ت 296 هـ). ط مصر 1955م،و تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،ط دار المعارف، مصر 1976م.
* طبقات فحول الشعراء-الجمحي: محمد بن سلام (ت 231 هـ). تحقيق محمود محمد شاكر ،ط دار المعارف، القاهرة 1952،و ط المدني 1972.
* الطرائف الأدبية-جمع وتحقيق عبد العزيز الميمني . ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1937م.

(ع)

* عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات -القزويني:زكريا بن محمد بن محمود (ت 682 هـ) ، ط الحلبي ، مصر 1956م.

* العزلة-الخطابي: أحمد بن محمد البنداري (ت 388 هـ). تحقيق عبد الغفار سليمان، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1985م.
* العقد الفريد-ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت 327 هـ). تحقيق أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الأبياري ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1965م.و ط دار الكتب العلمية، بيروت 1997م.
* العمدة في محاسن الشعر وآدابه-ابن رشيق القيرواني: أبو علي الحسن بن رشيق (ت 456هـ). (جزآن) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط بيروت 1972م ، وتحقيق محمد قرقزان، ط دار المعرفة ، بيروت 1988م.
* عيون الأخبار-ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ). ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1973 م.

(غ)

* غرائب الاغتراب -الآلوسي:أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت 1270 هـ). ط مطبعة الشابندر، بغداد 1327هـ
* الغربة في الشعر الجاهلي- عبد الرزاق الخشروم. منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 1982م.
* الغصن الذهبي-فريزر.ترجمة أحمد أبو زيد وآخرين ، ط مصر 1971م.

(ف)

* فتوح البلدان-البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279 هـ).تحقيق صلاح الدين المنجد، ط مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1957م.
* الفتوحات المكية- ابن عربي:محيي الدين محمد بن علي الأندلسي (ت 638هـ). ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1985 م.
* فصوص الحكم-القشيري: عبد الرحيم بن عبد الكريم (ت 514 هـ). ط القاهرة 1946م.
* فضائل مكة والسكن فيها-الحسن البصري:أبو سعيد الحسن بن يسار (ت 110هـ) مجلة كلية الآداب جامعة بغداد العدد 14، المجلد الأول 1970ـ 1971م.
* الفهرست-ابن النديم: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب البغدادي (ت 380 هـ). تحقيق فلوجل ، ط ليبسك 1872م ، و تحقيق رضا تجدد، طهران د.ت.
* فهرسة ما رواه عن شيوخه-ابن خير الأشبيلي: أبو بكر محمد (ت 575 هـ).ط بيروت 1962م.

(ق)

* القاموس المحيط-الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ). ط مؤسسة الرسالة ، بيروت 1986م.

(ك)

* الكامل في التاريخ-ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد الجزري الشيباني (ت 630 هـ). (12 جزءاً) ط مصر 1303 هـ . و ط دار الكتب العلمية. بيروت 1995م.
* الكامل في اللغة والأدب-المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي (ت 286 هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة. ط القاهرة 1956م .و تحقيق محمد الدالي .ط مؤسسة الرسالة . بيروت 1997م.
* كتاب الحيوان-الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ).تحقيق عبد السلام هارون . ط الخانجي . مصر 1967م.
* كتاب الشوق والفراق-ابن المرزبان: محمد بن سهل بن المرزبان البغدادي (ت 330 هـ). تحقيق جليل العطية . ط دار الغرب الإسلامي . بيروت 1988م.
* كتاب الكربة في وصف حال أهل الغربة-ابن رجب الحنبلي: عبد الرحمن بن أحمد (ت 795 هـ). ط القاهرة د.ت.
* كتاب النخل-ابن وحشية:أحمد بن علي (ت بعد 291هـ). وهو جزء من كتاب الفلاحة تحقيق إبراهيم السامرائي . مجلة المورد. بغداد 1971م.
* كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس-العجلوني: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي (ت 1162هـ). ط مكتبة القدسي. القاهرة 1350هـ
* الكشكول- العاملي: بهاء الدين محمد بن حسين (ت 1031هـ).ط دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة . بيروت د.ت.

(ل)

* لسان العرب-ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري (ت 711 هـ). ط دار صادر. بيروت 1968 م.

(م)

* مآثر الإنافة في معالم الخلافة-القلقشندي:أحمد بن علي (ت 821 م). تحقيق عبد الستار فراج . ط الكويت 1964م.
* مجمع الأمثال-الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد (ت 518 هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . ط دار الفكر . بيروت 1972م.
* المجموع اللفيف-الأفطسي: محمد بن محمد بن هبة الله الحسيني (ت 515هـ).تحقيق يحيى الجبوري .ط دار الغرب الإسلامي. بيروت 2005م.
* المحاسن والأضداد-المنسوب للجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ).تحقيق فلوتن. مصورة عن طبعة ليدن 1900م . وط مكتبة الخانجي . مصر 1324هـ

* المحاسن والمساوىء-البيهقي: إبراهيم بن محمد (ت 320 هـ).تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط نهضة مصر . القاهرة 1961م.
* محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء-الراغب الأصفهاني: أبو القاسم حسين بن محمد (ت 502 هـ). (جزآن) ط مصر 1326هـ . وط مكتبة الحياة. بيروت د.ت.
* المحبر -ابن حبيب: محمد بن حبيب البغدادي (ت 245 هـ). تصحيح إيلز شتيتر . ط دائرة المعارف العثمانية . حيدر آباد . الدكن 1942 م.
محن الشعراء والأدباء ـــ يحيى الجبوري. ط دار الغرب الإسلامي. بيروت 2003 م.
* المخصص-ابن سيده: علي بن إسماعيل (ت 458 هـ).تحقيق الشنقيطي. وعاونه فيه الشيخ عبد الغني محمود. ط بولاق 1321 هـ . نسخة مصورة . المكتب التجاري. بيروت.
* مدارج السالكين-ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر (ت 751 هـ). ط دار الكتب العلمية. بيروت 1980م.
* مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية-شوقي عبد الحكيم. ط بيروت 1978م.
* المرأة في الشعر الجاهلي-الحوفي: أحمد محمد. ط نهضة مصر . القاهرة 1954م.
مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739 هـ). تحقيق علي البجاوي. ط الحلبي . مصر 1954م.
* المسك الأذفر- الآلوسي: محمود شكري (ت 1342 هـ). ط بغداد 1348 هـ
مصارع العشاق- السراج القاري: جعفر بن أحمد بن الحسين (ت 599 هـ).
ط دار صادر. بيروت 1958 م وتحقيق بسمة الدجاني. ط وزارة الثقافة . عمان 2004م.
* مطالع البدور في منازل السرور-الغزولي: علاء الدين علي بن عبد الله البهائي (ت 815 هـ). مطبعة الوطن القاهرة 1300 هـ .
* مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي-أنور أبو سويلم. ط دار عمار. عمان 1991م.
* معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب.
* معجم البلدان-ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626 هـ). تحقيق وستنفيلد. ط ليبسك 66-1970م . وط دار صادر. بيروت 1957م.
* معجم الشعراء-المرزباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت 384 هـ). تحقيق عبد الستار أحمد فراج . ط دار الكتب العربية. القاهرة 1960م.
* معجم مقاييس اللغة-ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ).
تحقيق عبد السلام هارون. ط الحلبي. مصر 1366 هـ
* المعجم الوسيط-إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة. إخراج إبراهيم أنيس. وعبد الحليم منتصر. وعطية الصوالحي. ومحمد خلف الله أحمد. ط القاهرة 60-1961م.
* المفضليات-الضبي: المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر الضبي (ت 168هـ). تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . ط دار المعارف. مصر 1976م.

* المنازل والديار-أسامة بن منقذ: أسامة بن مرشد بن علي الكناني الشيزري (ت 584 هـ). ط 2. تحقيق مصطفى حجازي . ط القاهرة 1992م.
* المنقذ من الضلال-الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت 505 هـ).تحقيق عبد الحليم محمود. ط دار الكتب الحديثة . القاهرة 1900م.
الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء-المرزباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت 384 هـ). ط السلفية مصر 1385هـ .و تحقيق علي محمد البجاوي . ط نهضة مصر . القاهرة 1965 م.

(ن)

* نزهة الألباء في طبقات الأدباء-الأنباري: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 577 هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط دار نهضة مصر . القاهرة 1967 م.
* نسب قريش-المصعب الزبيري: أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت 236 هـ). تحقيق ليفي بروفنسال . ط دار المعارف. القاهرة 1976 م.
* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب-المقَّري: أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ). تحقيق إحسان عباس. ط بيروت 1968م.
* نهج البلاغة-المنسوب لعلي بن أبي طالب. جمعه الشريف الرضي: محمد بن الحسين (ت 406 هـ). (4 أجزاء) تحقيق محمد عبده. ط دار المعرفة. بيروت . وط مؤسسة المعارف. بيروت 1996م

(و)

* الوافي بالوفيات-الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764 هـ).
طُبعت أربعة أجزاء في استانبول سنة 1931م. وصدر 27 جزءاً عن دار النشر فرانز شتاينر. فسبادن 61-1999م. وكل جزء بتحقيق محقق معروف.
* وفيات الأعيان ـــ ابن خلكان: أحمد بن محمد (ت 681 هـ). ط مصر 1310 هـ . و تحقيق إحسان عباس. ط دار الثقافة . بيروت 1972 م.

(ي)

* يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر- الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ).(4 أجزاء) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط السعادة. مصر 1956م .وتحقيق مفيد قميحة . ط دار الكتب العلمية . بيروت 1983م.

فهارس الكتاب

فهرس موضوعات الكتاب

المقدمـــة 8-5

ممهـــدات

الحنين إلى الأوطـــان 29-9

ما قبل في الحنين إلى الأوطان 12

من ألف في الحنين والغربة وما إليها 14

معنى الغربة والاغتراب 16

مظاهر الغربـــة 18

الغربة ومظاهرها في الجاهلية 20

غربـــة المـــرأة 26

الفصل الأول

شعر الحنين والغربـــة في الجاهلية وصدر الإسلام 50-31

غربة واغتراب الصعاليك 40

غربة اللون 48

الفصل الثـــاني

الحنين والغربة في الشعر الأموي 102-51

دواعي الغربة 53

أبو دهبل الجمحي - عمرو بن أحمر الباهلي - نصيب بن رباح - القتال الكلابي - مالك بن الريب.

غربـــة المـــوت: 58

بشر بن أبي خازم - أبو الطمحان القيني - مالك بن الريب - الشنفرى

المـــرأة واغتراب الرجـــل 60

غربة الجند الفاتح 62

شعر التظلم من السلاطين والولاة: 70
عُقيبة بن هبيرة الأسدي-الراعي النميري-عمرو بن أحمر الباهلي - مالك بن الريب. .....
من عانى الحنين والغربة من شعراء العصر الأموي: 77
هدبة بن الخشرم العذري- قيس بن الملوح-مالك بن الريب-يزيد بن مفرغ الحميري-أبو قطيفة- ابن قيس الرقيات-طهمان بن عمرو الكلابي-الشمردل اليربوعي-أعشى همدان- جميل بن معمر العذري-الحارث المخزومي- وضاح اليمن- عمر بن أبي ربيعة- الصمة القشيري-عبد الله بن همام السلولي- الخطيم المحرزي- كثير عزة- الأحوص الأنصاري- الطراح بن حكيم- نصيب بن رباح-سعيد بن عبد الرحمن بن حسان - ذو الرمة- العرجي- أبو دهبل الجمحي- يزيد بن الطثرية ـــ محمد بن بشير الخارجي- طريح بن إسماعيل.....

الفصل الثالث

الحنين والغربة في الشعر العباسي..... 103-134
ابن ميادة - بشار بن برد-ابن المولى محمد بن عبد الله -يحيى بن طالب الحنفي- أبو حية النميري- أشجع السلمي - سفيان بن عُيينة-عَلَيَّة بنت المهدي-كلثوم بن عمرو العتّابي - عوف بن محلّم- أبو تمام- علي بن الجهم- الحسن بن مخلد بن الجراح- خالد بن يزيد الكاتب-البحتري- الحسن بن محمد المهلبي- المتنبي- أبو فراس الحمداني-علي بن محمد النهامي-أسامة بن منقذ .....
من آثر الغربة في سبيل الغنى: 125
إبراهيم بن العباس الصولي-شكر بن أبي الفتوح السليماني- محمد بن عبد الله صردر-البحتري.
.....
التنفيس عن الكربة في الغربة بالكتابة على الأبنية والجدران: 127

الفصل الرابع

الغربة في التراث الإسلامي 135-200

معنى الغربة في الإسلام: 137

مؤلفات المسلمين في الغربة 143

غربة أبي حيان التوحيدي: 145

حقيقة تدين أبي حيان- إحراق كتبه- من كتاب الإشارات الإلهية.

مثيرات الحنين والغربة: 155

العين والدموع-الريح-البرق-نجوم السماء-الحمام-الإبل.

النخلة والحنين إلى الوطن 163

الحنين إلى نجد في الشعر العربي: 173

الصمة القشيري- يزيد بن الطثرية-الأبيوردي- حجازيات الشريف الرضي-نجد في شعر الطغرائي-نجد في كتاب المنازل والديار. .....

الفصل الخامس

الحنين إلى العراق ، وبغداد خاصة 201-242

1- من القدماء: 202

الأبيوردي ، عمارة بن عقيل ، طاهر بن المظفر ، أبو نواس ، مطيع بن إياس، عبد الله بن طاهر ، إسحاق الموصلي ، علي بن الجهم، ابن الرومي، علي بن محمد النيرماني ، عبد الوهاب بن علي الثعلبي ، أبو العلاء المعري ، أحمد بن علي الخطيب ، ابن زريق البغدادي .

2- في العصر العثماني: 217

عبد الرحمن السويدي ، أبو الثناء الآلوسي ، أحمد الشاوي ، عبد الحسين النجفي ، راضي القزويني ، عبد الغني الجميل . .....

3- في العصر الحديث: 221

عبد المحسن الكاظمي ، معروف الرصافي ، الصافي النجفي ، محمد رضا الشبيبي ، محمد مهدي الجواهري ، عاتكة الخزرجي ، خالد الشواف أحمد شوقي ، علي الجارم ، نزار قباني ، سليم الزركلي

مصادر الكتاب ومراجعه 243

فهارس الكتاب

فهرس موضوعات الكتاب 261
فهرس الأعلام 265
فهرس الشعر 278
الكتب الصادرة للمؤلف 291
ملخص باللغة الإنجليزية 295

فهرس الأعلام

(أ)

آدم : 135.

أبان بن سعيد بن العاص : 11.

إبراهيم بن العباس الصولي : 125.

إبراهيم بن عبد الله بن الحسن : 167.

الأبيوردي (محمد بن أحمد بن إسحاق): 173، 180، 181، 186، 192، 202.

أحمد بن إبراهيم الكاتب 171.

أحمد بن حمدون : 111.

أحمد الشاوي : 218.

أحمد شوقي : 238.

أحمد بن أبي طاهر : 15.

أحمد بن عاصم : 141.

أحمد بن علي الدلجي : 144.

أحمد بن محمد المخزومي : 129.

أحمد بن هشام : 127.

الأحوص الأنصاري : 33، 158، 159ـ 161.

الأحيمر السعدي : 43، 166.

الأصفهاني = أبو الفرج الأصفهاني.

أسامة بن منقذ : 105، 112، 124، 125، 198.

إسحاق الموصلي : 105، 208.

أسماء بنت أبي بكر : 123.

أسماء المرية : 26.

أشجع السلمي : 107.

أصيل الغفاري : 12.

أعشى قيس : 23، 165.

الأقرع بن حابس : 62.

امرؤ القيس : 10، 31، 165.

أمية بن أبي الصلت : 139.
أمية بن عائذ : 83.
أوس بن حجر : 21.
ابن باجة : 137.
الباز = عبد القادر الكيلاني.
البحتري : 116، 126.
بروكلمان : 15.
البسطامي (متصوف) : 140.
البستي (محمد بن حبان) : 15.
البسوس : 25.
بشار بن برد : 104.
بشر بن أبي خازم : 58.
أبو بكر الشبلي (دلف بن جحدر) : 142.
أبو بكر الصديق : 52، 138.
أبو بكر القومسي : 146.
بلال بن أبي بردة : 212.
بلال الحبشي : 52.

(ت)

تأبط شراً : 42.
أبو تمام : 109، 199.
التوحيدي = أبو حيان التوحيدي.
ابن تيمية : 149.

(ج)

الجاحظ (عمرو بن بحر) : 12، 14، 15، 239.
جبلة بن الأيهم : 23.
جحدر بن معاوية المحرزي : 46 ، 160.
جعفر باشا العسكري : 224.
جعفر الصادق : 139، 140.
جليل العطية : 15.

جمال الدين الأفغاني : 221.
جميل بن معمر العذري : 11، 88، 157، 158، 160.
جمانة (صاحبة ابن مفرغ الحميري) : 82.
الجواهري (محمد مهدي) : 234.
جودانة (جارية) : 167.
ابن الجوزي : 144، 148، 149.

(ح)

أبو حاتم السجستاني : 15.
حاجب الفيل : 61.
الحارث بن أسد المحاسبي : 141.
الحارث بن حاطب الجمحي : 74.
الحارث بن خالد المخزومي : 88، 155.
الحافظ الدمشقي (مسعود بن الحسن): 63.
حبيب بن جبار : 56.
الحجاج بن يوسف : 57، 87.
أبو حردبة :74.
الحسن البصري (الحسن بن يسار) : 11.
الحسن بن عبد الرحمن = الرامهرمزي.
الحسن بن محمد المهلبي : 118.
الحسن بن مخلد الجراح : 114.
حسنة المغنية : 169.
حسين العشاري : 218.
الحلاج (الحسين بن منصور) : 149.
حليمة الخضرية : 38.
حماد بن إسحاق الموصلي : 106.
حماد عجرد : 170، 171.
حمد الجاسر : 173.
حمزة بن القاسم الشامي : 130، 133.
حمورابي : 163.

أبو حيان التوحيدي : 16، 145، 149، 150.
أبو حية النميري : 72، 106.

(خ)

خالد بن سنان العبسي : 139.
خالد الشواف : 236.
خالد بن نضلة : 33.
خالد بن يزيد الكاتب : 115.
الخطيم المحرزي : 45، 91.
الخطابي (حمد بن محمد) :143.
الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت) : 213.
خفاف بن ندبة : 48.
خليل مردم : 208.

(د)

داود الطائي :149 ، 165.
ابن دريد (محمد بن الحسن) : 10.
دلف بن جحدر (أبو بكر الشبلي) : 142.
أبو دهبل الجمحي : 54، 98، 159.

(ذ)

ذات النطاقين (أسماء بنت أبي بكر) : 123.
أبو ذر الغفاري : 136 ، 139.
الذهبي (محمد بن أحمد) : 148.
ذو الرمة (غيلان بن عقبة) : 96.
ذو الصمة القشيري : 158 .
ذو النون المصري(ثوبان بن إبراهيم) : 140.

(ر)

راضي القزويني : 219.
الراعي النميري : 7.
ابن الراوندي : 149.
رابعة العدوية (رابعة بنت إسماعيل) : 40 ، 141.

الرامهرمزي (الحسن بن عبد الرحمن) : 15.
ربيعة البصري : 15.
ربيعة بن مقروم الضبي : 21.
رباب بنت عبد المحسن الكاظمي : 221.
ابن رجب الحنبلي : 144.
رسول الله = محمد بن عبد الله.]
الرصافي (معروف بن عبد الغني البغدادي) : 225.
روضة (صاحبة وضاح اليمن) : 89.
ابن الرومي (علي بن العباس) : 209.

(ز)

الزبير بن عبد المطلب : 34 .
ابن زريق البغدادي : 123، 205 ، 213 .
ابن زريق الكاتب الكوفي 205.
زكي مبارك : 140.
أبو زياد الطائي : 198 .
زيد بن عمرو بن نفيل : 139.

(س)

ابن سبعين (عبد الحق بن إبراهيم): 149.
السبكي : 149.
سحيم بني الحسحاس : 40، 48.
أبو سعيد السيرافي : 149.
سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : 95.
سعيد بن عثمان بن عفان : 65، 75، 76.
سفيان الثوري (سفيان بن سعيد بن مسروق): 149.
سفيان بن عُيينة الهلالي : 107.
السليك بن السلكة 48.
سَلَم بن قتيبة : 167.
سلمة بن زيد البجلي : 21.
سليم الزركلي : 241.

أبو سليمان الداراني : 149.
السمعاني (عبد الكريم بن محمد) : 16.
السمهري العكلي : 158.
سيبويه (عمرو بن عثمان) : 129.
السهروردي حكيم الإشراق : 143.
ابن سيده (علي بن إسماعيل) : 9.
سيف الدولة الحمداني : 121.
سيما (باحث أوربي) : 18.

(ش)

الشريف الرضي (محمد بن الحسين) : 193.
شظاظ التميمي : 74.
شقيق بن السليك الأسدي : 161.
شكري بن أبي الفتوح السليماني : 125.
الشمردل اليربوعي : 85، 159، 160.
الشنفرى الأزدي : 43، 59.
الشيظم بن الحارث الغساني : 24.

(ص)

الصافي النجفي (أحمد بن علي بن صافي) : 228 ، 229 ، 230.
صالح بن عبد الرزاق : 131.
الصدر الرومي : 149.
صدقة بن نافع الغنوي : 199.
صردر (محمد بن عبد الله) : 126.
الصمة بن عبد الله القشيري : 212، 66، 67، 90، 155، 156، 157، 162، 173، 175.

(ض)

ضَبّ بن الفرافصة : 27.

(ط)

طاهر بن الحسين : 67.
طاهر بن عبد الله بن طاهر : 112.

طاهر بن المظفر الخازن : 206.
طرفة بن العبد : 10.
الطرماح بن حكيم : 94.
طريح بن إسماعيل الثقفي : 60، 100، 156.
الطغرائي (الحسين بن علي) : 173، 198.
أبو الطمحان القيني : 34، 58.
طهمان بن عمرو الكلابي : 85.
طيّا (صاحبة الصمة القشيري) : 162.

(ع)

عائشة بنت طلحة : 88.
عائشة بنت محمود التونسي (زوجة عبد المحسن الكاظمي) : 221.
عاتكة وهبي الخزرجي : 236.
عامر بن الطفيل : 26.
عامر بن لؤي : 85.
عبد الرحمن بدوي : 145.
عبد العزيز بن مروان : 84.
عبد الكريم بن هوازن القشيري : 136.
عبد الله بن الزبير : 83، 123.
عبد الله بن الزّبير الأسدي : 60.
عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي :67، 69، 104، 108، 207 .
عبد الله بن كعب العمبري : 165.
عبد الحسين محيي الدين النجفي : 219.
عبد الرحمن بن زين الدين السويدي : 217.
عبد العزيز بن مروان : 55، 171.
عبد الغني الجميل : 220.
عبد القادر باش أعيان : 224.
عبد القادر الكيلاني (الجيلاني ، الباز الأشهب) 218.
عبد الكريم بن محمد السمعاني : 16 .
عبد المحسن الكاظمي : 221 ــ 225.

عبد الملك بن مروان : 70 ، 72.
عبد الوهاب بن علي الثعلبي : 211.
عبلة العبسية (صاحبة عنترة) : 36، 37، 48.
عبيد بن أيوب : 41، 42، 45، 46.
عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي : 65.
عبيد الله بن الحر الجعفي : 57، 157.
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزاعي : 210.
عبيد الله بن عبيد الله الحافظ : 209.
عبيد الله بن قيس الرقيات : 84، 172.
عثمان بن عفان : 27، 170.
أبو عثمان المازني (بكر بن محمد بن حبيب) : 106.
ابن عربي (محمد بن علي محيي الدين) : 140، 143، 144، 149.
العرجي (عبد الله بن عمر) : 158، 160.
عروة بن حزام : 52.
عروة العجلاني : 81.
عروة بن الورد : 44.
العُزّى (صنم) : 163.
عشتار(عشتروت) : 164.
ابنة عفزر : 32.
عُقيبة بن هُبيرة الأسدي : 70.
أبو العلاء المعري (أحمد بن عبد الله) : 149، 211.
علي الجارم : 238.
علي بن جبلة (العكوك) : 207.
علي بن الجهم : 111، 113، 208.
علي بن أبي طالب : 17.
علي بن محمد التهامي : 123.
علي بن محمد بن خلف النيرماني : 210.
علي بن موسى الرضا : 170.
عُلَيَّة بنت المهدي : 107.
عمر بن الخطاب : 13، 23.
عمر بن أبي ربيعة : 10، 90.

عمرو بن أحمر الباهلي : 54، 72.
عمرو بن الحارث بن عمرو الجرهمي : 51.
أبو عمرو بن العلاء (زبّان بن عمّار): 149.
عمرو بن قميئة : 32، 37.
عمرو بن قيس (ابن ام مكتوم) : 52.
عمرو بن هند : 22.
عمرو بن الوليد بن عقبة (أبو قطيفة) : 83.
عمرو بن معديكرب الزبيدي : 25.
عمرو بن هبيرة : 22.
عمارة بن عقيل : 204.
عُميرة بنت بشر بن أبي خازم : 58.
عنترة بن شداد العبسي : 10، 36، 37، 48.
عوف بن عامر : 27.
عوف بن محلم : 67، 68، 69، 108.

(غ)

ابن الغريرة (كثير بن عبد الله) : 62.
الغزالي (محمد بن محمد) : 144.
الغزولي (علي بن عبد الله) : 1، 13.
غويث الكعبي : 74.
غيلان بن عقبة (ذو الرمة) : 212.

(ف)

ابن فارس (احمد بن فارس) :148.
أبو الفتح البستي : 147.
أبو فراس الحمداني : 121، 122.
أبو الفرج الأصفهاني : 66، 79، 80، 112، 127، 133، 167.
الفرزدق (همام بن غالب) : 162.
فرعون : 138.

(ق)

القتال الكلابي : 56.
القريظية : 199.
القزويني : 207.
قس بن ساعدة الإيادي : 139.
القشيري (عبد الكريم بن هوازن) : 136، 139، 144.
أبو قطيفة (عمرو بن الوليد) : 83.
قعنب بن أم صاحب : 200.
القمقام الأسدي : 106.
قيس بن الحدادية : 48.
قيس بن ذريح (قيس لبنى) : 159.
قيس بن الملوح (قيس ليلى) : 78 ، 81، 82، 142، 161.
قيصر (ملك الروم) : 32.
ابن قيِّم الجوزية : 139 ، 144.

(ك)

كافور الإخشيدي : 121.
كلثوم بن عمرو (العتّابي) : 108.
كثيِّر عزة (كثير بن عبد الرحمن الخزاعي) : 92، 156.
كثير بن عبد الله التميمي = ابن الغريرة.

(ل)

لبيد بن ربيعة العامري : 128 ، 165.
ليلى العامرية : 79 .

(م)

مالك بن الريب : 57، 59، 64، 65، 74، 77، 80، 156، 159، 162.
المؤمل بن جعفر البندنيجي : 132.
المأمون (عبد الله بن هارون الرشيد) : 127، 114، 238.
المبرِّد (محمد بن يزيد) : 199.

المتلمس (جرير بن عبد المنسيح) : 17، 22.
المتنبي (أحمد بن الحسين) : 118، 193.
المتوكل العباسي (جعفر بن محمد) : 111، 112.
المتوكل الليثي : 159 ، 160.
مجنون ليلى = قيس بن الملوح.
محمد بن أحمد بن إسحاق (الوشاء) : 15.
محمد بن أحمد بن إسحاق = الأبيوردي.
محمد بن بشير الخارجي : 99، 156.
محمد بن حبان = البستي.
محمد حسين الكاظمي : 232.
محمد بن داود الأصبهاني : 209.
محمد رضا الشبيبي : 233.
محمد بن سهل بن المرزبان : 15.
محمد عبده : 221.
محمد عبد الصمد : 129.
محمد بن عبد الله (رسول الله [ ) : 12، 18، 52، 135، 138، 238.
محمد بن عبد الله = صردر.
محمد بن عمران بن المرزبان : 16.
محمد بن يحيى الصولي : 15.
محمود الألوسي (أبو الثناء شهاب الدين): 217.
المدائني (علي بن محمد) : 34.
مرة بن عوف : 103.
ابن المرزبان (محمد بن سهل البغدادي) : 15.
مروان بن ابي الجنوب : 111.
مروان بن الحكم : 56 ، 74.
مسعود بن الحسن : (الحافظ الدمشقي) : 63.
مصطفى عبد البرازق : 221.
مصعب بن الزبير : 57.
مطيع بن إياس : 167، 168، 169، 171، 206.
معاوية بن أبي سفيان : 27، 70، 204.
المعتصم العباسي (محمد بن هارون الرشيد) : 238.

معروف الكرخي : 139.
ابن مفرغ الحميري : 82.
ابن أم مكتوم = عمرو بن قيس.
المنصور العباسي (عبد الله بن محمد أبو جعفر) 167، 168، 169، 201.
المهدي العباسي (محمد بن عبد الله) : 169.
مهلهل بن ربيعة : 25.
موسى بن عيسى الكسروي : 15.
الموفق العباسي (طلحة بن جعفر) : 142.
ابن المولى (محمد بن عبد الله) : 104.
ابن ميّادة (الرماح بن أبرد) : 103.
ميسون بنت بحدل (زوجة معاوية) : 27، 28.
مي (صاحبة ذي الرمة) : 97.

(ن)

نائلة بنت الفرافصة الكلبية : 27.
أبو نباتة الكلابي : 199.
ابن النجار : 149.
نبهان بن عَكّي العبشمي : 38.
نخلتا حلوان : 167، 168، 169.
ابن النديم (محمد بن إسحاق): 16.
نزار قباني : 240.
أبو النشناش : 44.
نصيب بن رباح : 55، 94، 95.
أبو نواس (الحسن بن هاني): 206.

(هـ)

هارون الرشيد : 105، 107، 128، 170، 235، 238.
هدبة بن الخشرم العذري : 77، 157.
هرم بن حيّان العبدي : 22.
هرمز بن سابور : 130.
الهروي الأنصاري : 141 ، 144.

هشام بن الوليد : 101.
أبو هلال العسكري : 23.

(و)

الواثق العباسي (هارون بن محمد) : 208.
وجيهة بنت أوس الضَّبيَّة : 26.
وَرّاد (ابن عم محمد بن بشير) : 99.
ورد بن الورد الجعدي : 63.
الوشاء (محمد بن أحمد بن إسحاق) :15.
وضاح اليمن (عبد الرحمن بن إسماعيل): 89.
الوليد بن يزيد بن عبد الملك : 100.

(ي)

ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي : 101، 149، 204.
يحيى بن الحكم بن أبي العاص : 72.
يحيى بن طالب الحنفي : 105.
يزيد بن الطثرية : 99، 157، 160، 173، 179.
يزيد بن عبد الملك : 93.
يزيد بن معاوية : 70.
اليمان بن أبي اليمان البندنيجي : 104.
يوسف بن أسباط : 149.

فهرس الشعـر

صدر البيت	القافية	الشـاعر	الصفحة
		(أ)	
يا دعوة للدار	أراهـا	الصافي النجفـي	233
هي الجرعـــاء	تراهـا	الأبيوردي	184
		(ب)	
عشية قالت	تذهبُ	عبد الله بن الزبير الأسدي	6
يضاحك في	وأنـدبُ	المتنبي	120
فوض خيامك	يُجتَنَب	شكر بن أبي الفتوح السليماني	125
ويوم ببغداد	نطربُ	مطيع بن إياس	207
فلا أراني	أقتربُ	طريح بن إسماعيل	100
وفي مصر أراك	يذوبُ	عبد المحسن الكاظمي	222
جـوىً أودى	الطروبُ	عبد المحسن الكاظمي	221
ألا ليت الرياح	تؤوبُ	هدبة بن الخشر	157
أقمرية الوادي	خطـوبُ	شاعر	63
وإنَّ وراء ظهري	أوُوبُ	نصيب بن رباح	55
ألا يا حبـذا	الصحا	شاعر	39
وأصبو للحمى	الغريبُ	عبد المحسن الكاظمي	122
وما جـزعاً	غريبُ	شاعر	150
أصبحتُ في آل	معيبُ	امرأة من بني شيبان	28
وإن اغتراب	لعجيبُ	شاعر	34
ومرتبع من	خصيبُ	الأبيوردي	185
عسى الكرب	قريبُ	هدبة بن الخشرم	77
أظل غريب الدار	غريبَ	قيس بن الملوح	78
أخلاي إن	غريبُ	الحافظ الدمشقي	64
وما زلت	سليبُ	كثير عزة	92
أمغترباً أصبحت	غريبُ	ورد بن الورد الجعدي	63
أجارتنا إن المزار	عسيبُ	امرؤ القيس	33
ألا أبلغا	جانبُـهُ	المتلمس	17

وسائلة أين	مذاهبُهُ	أبو النشناش	44
أحبابنا من غاب	واقترابُهُ	أسامة بن منقذ	125
وسُئلتُ حينَ	ركْبَهُ	عاتكة الخزرجي	236
سقياً لحلوان	عِنَبِهُ	عبيد الله بن قيس الرقيات	172
أحبُّ بلاد الله	سحابُها	حماد بن إسحاق الموصلي	106
إذا ما أتتنا	هبوبُها	الصمة القشيري	157
هاج لك الشوق	غُرَبا	عمرو بن معديكرب	26
لقد أقمتُ	رجَبا	محمد بن بشير	99
ألا هل أتى	زينبا	القتال الكلابي	56
ومن يغترب عن قومه	مغْضَبا	الأعشى	23
أسائلة عميرة	الركابا	بشر بن أبي خازم	58
أيام حلّو لنا	سَيَّابا	الأعشى	165
ألستَ ترى بالله	أركُبا	نائلة بنت الفرافصة	27
أبتُ بالشام	والحبيبا	وضاح اليمن	89
إذا أشرف	الكربِ	شاعر	114
يا معشرَ الغربـاء	قربِ	شاعر	128
كم مشرق	للمغربِ	البحتري	126
لعمري لرهط	مركبِ	خالد بن نضلة	33
علامَ يا دهرُ	ولم أغبِ	أسامة بن منقذ	124
ومغترب بالمَرج	على الحبِّ	قيس بن الملوح	78
ومغترب بالمَرج	على الحبِّ	علية بنت المهدي	107
لقربُ الدار	في اغترابِ	شاعر	13، 23
يناديونني في السلم	الأطايبِ	عنترة العبسي	48
رحم الله من دعا	حبيبِ	شاعر	129
نفسي الفداء	لحبيبِ	شاعر	131
إن الغريبَ	غريبِ	شاعر	115
سقى اللهُ أرضَ	كل غريبِ	فلان الهروي	100، 130
لقد تغربتُ	قريبِ	الصافي النجفي	228
أنا في الغربة	غريبِ	الحارث المحاسبي	141
فلي قلب محزون	غريبِ	قيس بن الملوح	78
ليس يزري السواد	الأديبِ	سحيم بني الحسحاس	49
وعاذلة تغدو	قلبي	وجيهة الضَّبِّيَّة	27
أشتاق أهلي	وأحبابي	أسامة بن منقذ	113

مُـدِّي بساطكِ	عتابي	نزار قباني	240
يا من على الدنيا	يغاضبُ	المؤمل البندنيجي	133
		(ت)	
وآلفة للخـدر	تمنت	الأبيوردي	187
ووجـدي بطيًّا	فجَنَّت	الصمة القشيري	162
ألا من لعينٍ	استهلَّتِ	الصمَّتة القشيري	156
ألا لا تلمني	عُـذرتي	الشنفرى الأزدي	59
ليس السواد بناقصي	ثابتِ	نصيب بن رباح	56
		(ج)	
أسمعت بالجيش	الأعوجِ	أعشى همدان	65
		(ح)	
ويوم وردنا	تصدح	جميل بن معمر	160
ولاى خير في	ومنادحُ	سلمة بن زيد البجلي	21
وأرّقني بالريِّ	بنوحُ	أبو دهبل الجمحي	159
في كل عام غربة	فنزوحُ	عوف بن محلم	109 ,68
ألا يا حمام الأيك	تنوحُ	أبو كبير الهذلي	108
أفي كل عام	فتربحُ	أبو دهبل الجمحي	98 ,54
هبَّت شمالٌ	الشيحُ	مالك بن الريب	65
أرقتُ لبرقٍ	سابحُ	الطغرائي	196
تذكرتُ ليلى	قريحُ	يزيد بن الطثرية	160
ألا عللاني قبل	الجوانحِ	أبو الطمحان القيني	58
		(خ)	
يهيمُ بذكر الكرخ	بالكرخ	محمد بن داود الأصفهاني	209
		(د)	
ألا ليت أيام	يعودُ	جميل بن معمر	88
ألا ليت شعري	لسعيدُ	مالك بن الريب	81
لقد عارضتنا الريح	بـردُ	قيس بن الملوح	79
أزرى بأموالنا	قصدوا	الراعي النميري	72
قالت حُبِسْتَ	لا يُغمـدُ	علي بن الجهم	111
تقاذف بي	شرودُ	البحتري	117
الله يعلم	ما أجـدُ	خالد بن يزيد الكاتب	116
أمـا الفراقُ	يولـدُ	المتنبي	119
اذم إلى هذا	وَغُـدُ	المتنبي	120

ألا ليت شعري	سُعُدُ	الصمة القشيري	175
قد كفاني تغربٌ	بغدادُ	الصافي النجفي	233
بلدٌ صحبتُ	جديدُ	ابن الرومي	124
سقى الله نجداً	نجدا	القريظية	193
إن أخلف الوعد	بما وعدا	الأبيوردي	191
أحقاً عباد الله	نجدا	أبو زياد الطائي	198
خليليَّ إن	جَهُدا	الصمة القشيري	173
أتبكي على بغداد	بُعُدا	إسحاق الموصلي	208
على موطن يخشى	ترعدِ	طرفة بن العبد	10
باح مجنون عامر	بوجدي	أبو بكر الشبلي	142
وقد هيَّجت شوقي	وجدي	شقيق الأسدي	161
ألا يا صبا نجدٍ	على وجدي	يزيد بن الطثرية	157، 179
فطوراً أكرُّ	إلى نجدِ	كثيِّر عزَّة	156
دعوتك للجفن	المشرَّدِ	أبو فراس الحمداني	122
خليليَّ إنَّ الحب	من الوجْدِ	الأبيورد	182
خذي نفسي	ربا نجدِ	الشريف الرضي	193
ألا هل من	من ردِّ	يزيد بن الطثرية	99
شهدت لقد	من بُردِ	أبو تمام	199
حنَّت فلوصي	العهدِ	رجل من تميم	200
أيا حادي الأضعان	صبا نجدِ	الطغرائي	195
ولما تجاوزتُ	على بُعْدِ	شاعر	213
إن العراقَ	فليبعدِ	المتلمس	22
يا أهل مكة	مسعدِ	شاعر	131
يا حبَّذا مكة	وعُوَّادي	عمرو بن قيس	52
من كان يحمدُ	بحامدِ	البحتري	116
فإن تنصفوا	ببعادِ	مالك بن الريب	57
وحالفت الوحوش	وبالبعادِ	عبيد بن أيوب	43
أرض الشَّرَبَّةِ	فؤادي	عنترة العبسي	36
أحرقتني نارُ	والأولادِ	عنترة العبسي	10، 37
قفا بنجدٍ	سُعادِ	الأبيوردي	191
ضاق صدري	فعودِ	المتنبي	118
بغداد يا بلد الرشيدِ	التليدِ	علي الجارم	238
أجِز من غلةِ	الشرودِ	البحتري	116

ما مقامي بأرض نخلة	اليهودِ	المتنبي	118
عش عزيزاً	البنودِ	المتنبي	119
يقرُّ بعيني أن	المتقاودِ	نبهان العبشمي	38
جزى اللهُ عنَّا	طريدِ	القتال الكلابي	56
معاوية إننا بشر	الحديدِ	عقيبة بن هبيرة الأسدي	70

(ر)

يا بجيى يا ابنَ	والحسرَ	عمرو بن أحمر الباهلي	72
كأن لم يكن	سامرَ	عروة بن مضاض الجرهمي	51
أحِنَّ إلى	يقصَّرَ	قيس بن الملوح	81
بمفترقٍ للطرق	الفكرَ	الصافي النجفي	232
وكان لي سهمٌ	النصرَ	الصافي النجفي	232
أراني مدى الأيام	المتحررَ	الصافي النجفي	231
أبغداد لا فاتتك	المفَسَّرَ	عبد المحسن الكاظمي	225
وعبَّرتني سجالَ	ثمرَ	البحتري	117
فهل نجو	زائرِ	شاعر	130
أكرِّرُ طرفي	أنظرَ	الصمة القشيري	176
بدت خوداً	ثغرَ	الجواهري	234
كفى العباسَ	مصرَ	الجواهري	235
عوى	أطيرَ	الأحيمر السعدي	43
وإني لأستحيي	بعيرَ	الأحيمر السعدي	44
إني دعوتُكَ	استغفارَ	جحدر بن معاوية	46
داري بمر	المذرورَ	شاعر	64
إنَّ الكرام كثير	وإن كثروا	أبو تمام	110
شجاني بأعلام	الأباعرَ	الأبيوردي	190
أيا نخلات الكرم	مطيرَ	الأحيمر السعدي	166
طيبُ الهواء	مقاديرَ	شاعر	211
المرء يأملُ	قد يضرُّهُ	لبيد بن ربيعة	128
عوجوا على عدوة	منبرُهُ	خالد الشواف	237
ألا ليت شعري	وحاضرُهُ	أبو قطيفة	83
ألا ليت	نزورُها	عبد الحسين النجفي	219
بكى صاحبي	بقيصرا	امرؤ القيس	32
حننتُ إلى الأجبال	أحمرا	حاتم الطائي	33
إذا المرء لم	فأكثرا	عروة بن الورد	44

سما برقٌ	نـارا	ابن مفرغ الحميري	82
أراقب النجم	فانشمرا	الأحـوص	159
سما لك شوق	فعرعرا	امرؤ القيس	31
وما جبنت خيلي	وميسرا	امرؤ القيس	10
خليليَّ إن حانتْ	قبـرا	شاعرة	102
وليلة بِتنـا	ضُمَّرا	الفرزدق	162
ألا ليتنا كنـا	الوكـرِ	قيس بن الملوح	161
أضاعوني وأيَّ فتىً	ثغْـرِ	العرجـي	98
ألا ليتَ شعري	السِّدْرِ	الخطيم المحـرزي	91
أيبكي حمـام	من صَبْـرِ	جميل بن معمر	160
تذكرتُ ما بينَ	للذكْـرِ	أحمد الشاوي	218
سقى اللهُ	والجسرِ	طاهـر الخازن	206
أبت لي سعدٌ	من عمرِو	الخطيم المحرزي	45
لقد خفتُ	معشرِ	عبيد بن أيـوب	45
ألا حنَّت المرقال	بمعشرِ	أبو الطمحان القيني	35
أرض الشَّرَيَّـة	أذفَـرِ	عنترة العبسي	37
عيو المها	ولا أدري	علي بن الجهم	209
أقول لصاحبي	والضمـارِ	الصمَّـة القشيري	175
فأنت إلى سلمى	السَّواجرِ	الأحوص الأنصاري	161
حمائمَ لم تهتجْ	النواضرِ	شاعر	161
تعَـزَّ بصبرٍ	لداري	الصافي النجفي	228
أقولُ لـه	السِّفـارِ	الطغـرائي	195
يا قلبُ ما أنت	الساري	الشريف الرضي	193
أبغداد يا دار	المنابرِ	شاعر	206
أقول لصاحبي	فالضمـارِ	الصمة القشيري	21
يا نفس لا تجزعي	ومقـدارِ	جحدر بن معاوية	47
يا ربِّ قـد	النـارِ	عبيد بن أيوب	46
تنصرت الأشراف	لها ضررُ	جبلة بن الأيهم	23
قلقل ركابك	القصورُ	صردر	126
لهفي على بغـداد	ثم طـارُ	عبد الغني الجميل	220

(ز)

أكلت ربها حنيفة	إعـوازِ	شاعر	164

(س)

أريتك إنْ نجداً	الرواجسُ	أبو نباتة الكلابي	199
سافرت أبغي	الياسُ	ابن زريق الكاتب	205

(ض)

يا صاحبيَّ أعيناني	مرضا	الطغرائي	197

أعانبتَ في	الخفْضِ	عمارة بن عقيل	205
أيها الركبُ الميممُ	لبعضي	عبد الرحمن الداخل	167

(ط)

يا نجدُ ما لأحبَّتي	قَطُّ	الأبيوردي	188

(ع)

أحقاً على السلطان	فيمنعُ	مالك بن الريب	75 ,74
أمن دِمنَةٍ	تدمعُ	ذو الرمة	96
لقد ساسنا	مُجَدَّعُ	أبو تمام	110
ومغترب ينقضي	تدمعُ	أشجع السلمي	107
أصاحِ ألم تحزنك	لامعُ	الأحوص الأنصاري	158
وليلة بتنا	يلمعُ	جميل بن معمر	158
ستعلم إن مالت	أجزعُ	عبد الله بن الحر	157
إلى الله أشكو	يودِّعُ	كثير عزَّة	92
لما رأت بنتي	فمودِّعُ	حاجب الفيل	61
أتاني وعيدُ	يُروِّعُ	عبد الله بن الحر الجعفي	57
متى أركب	راجعُ	أمية بن أبي عائذ	84
أقول بعمَّان وهل	نافعُ	الأحوص الأنصاري	93
وما يهيج القلب	السواجعُ	العرجي	160 ,98
رحل الأحبَّة	وأوجعوا	شاعر	129
سرى الهمُّ	روائعُهُ	نصيب بن رباح	94
لا تعذليه فإنَّ	يسمعُهُ	ابن زريق البغدادي	213
استودع الله	ومرتعُهُ	علي التهامي	123
وارحمتا للغريب	صنعا	علي بن الجهم	153 ,114
قفا ودِّعا نجداً	يودِّعا	الصمة القشيري	91
فليست عشيَّات	تدمعا	الصمَّة القشيري	156
خليلي عوجا	بلفعا	الصمة القشيري	176

قليلٌ ادِّخار	المعى	تأبط شرًّا	42
عمرك ما كل	منفعَهْ	علي بن الجهم	113
أكلت حنيفة ربَّها	المجاعَهْ	شاعر	164
أودعكم يا أهل	من اللذعِ	أبو العلاء المعري	212

(ف)

سلام على بغداد	المضاعفْ	عبد الوهاب الثعلبي	211
أيرحلُ آلفٌ	قصفْ	عبيد الله بن عبد الله	210
لبيتٌ تخفقُ	منيفْ	ميسون بنت بحدل	28
وإذا تُصبْكَ	ستُكَشَّفْ	أعشى همدان	87
لقد زاد الحياة	الضعافِ	سحيم بني الحسحاس	40

(ق)

يا أم حربٍ	وتعترقْ	الشمردل اليربوعي	86
تقول والعيسُ	منطلقْ	طريح بن إسماعيل الثقفي	100 ,60
لعمرك أفصاني	مُعْرِقْ	معروف الرصافي	225
أرعى الثريَّا	الرَّفَقْ	الشمردل اليربوعي	159
أرقتُ بسَلْعٍ	يخفقْ	العرجي	158
فاستبْقِ عينَكَ	تستبِقْ	طريح بن إسماعيل الثقفي	156
يا حبَّذا نجدٌ	رقاقْ	الطغرائي	196
أحنُّ إلى بغداد	شائقْ	الحسن بن محمد المهلبي	118
آهاً على بغدادها	أحداقُها	شاعر	207
ألامَ على نجدٍ	رِفْقا	الأبيوردي	188
ببغدادَ أشتاقُ	التشوُّقِ	محمد رضا الشبيبي	234
أشعار عبد بني	والوَرِقِ	سحيم	49
ناحت مُطَوَّقةٌ	المهراقِ	عبد الله بن طاهر بن الحسين	208
أحبَّتَنا بزوراء	التلاقي	راضي القزويني	219
آهاً على نفحاتٍ	الأشواقِ	الشريف الرضي	194
ناحت مُطَوَّقةٌ	المِهْرَاقِ	بشار بن برد أو عبد الله بن طاهر	104

(ك)

بكيْتَ العشيرةَ	وأوطانكا	عبد الله بن همام السلولي	91
لولاك يا بلدة	شجواك	عبد الرحمن السويدي	219

(ل)

لولاكِ يا	نجـولُ	قيس بن ذريح	159
ألا ليت شعري	وجليلُ	بلال الحبشي	52
أضاء بريقٌ	سيلُ	الأبيوردي	202
حداني إلى الزوراء	سهلُ	أبو الثناء الألوسي	217
يا ريمَ مالي	النَّجلُ	الأبيوردي	204
ألا حبَّذا شدٌّ	مقيلُ	الطغرائي	198
أزيدَ في الليلِ	سيلُ	علي بن الجهم	113
مصابي جليلٌ	يُديلُ	أبو فراس الحمداني	123
ألا هل إلى شَمِّ	سبيلُ	يحيى بن طالب الحنفي	105
ألا هل إلى نصِّ النواعج	سبيلُ	أبو حيَّة النميري	106
إنَّ الغريبَ	ذليلُ	أبو حيَّان التوحيدي	150
أيا خلتي مُرَّان	سبيلُ	عبد الله بن كعب العُمَيري	165
أقيموا بني أمِّي	لأمَيلُ	الشنفرى الأزدي	43
سقى جَدَثاً	وابِلُهُ	الشمردل اليربوعي	85
وأنزلني طولُ	أشاكِلُهُ	شاعر	34
وهاتفةٍ فوق	حبائلُهُ	الشمردل اليربوعي	160
ألا ليت شعري	الشملا	شاعر	35
أقيمُ بدارِ الحَزْمِ	أحْوَلا	شاعر	21
أدلجْتُ في مَهْمَهٍ	نزلا	مالك بن الريب	75
أبلغ أميرَ المؤمنين	وعويلا	الراعي النميري	71
سأقطعُ أمطاءَ	ومُوصِلا	أبو تمام	111
المطايا			
وكل غريبٍ	الأهلا	شاعر	14
ذهب الرجالُ	ضلالا	ابن المولى	105
لم ينصبوا بالشادياخ	مجهولا	علي بن الجهم	112
ليس مثلي	الفتالا	مهلهل بن ربيعة التغلبي	25
كلفنا بالعراقِ	كهولا	أبو العلاء المعري	211
نظرتُ ودوني	الأمل	شاعرة	29
أبى اللهُ للحيرانِ	يتذلَّلِ	عمرو بن هبيرة	22
نزلتُ على آلِ	المَحَلِ	شاعر	130
لجن نفديكَ	والأموالِ	شاعر	31
طَرِبْنَ لضوءِ	ومالي	أبو العلاء المعري	212

إن ترني	وقذالِ	ابن قيس الرقيات	85
يا نخلُ أنت فريدة	عن الأهلِ	عبد الرحمن الداخل	167
تبدَّتْ لنا	بلد النخلِ	عبد الرحمن الداخل	166
ألا ليت شعري	أهلي	ابن ميَّادة	103
أيا ريح الشمالِ	النحولِ	جميل بن معمر	157
لعلَّ انحدار الدمع	البلابلِ	ذو الرمة	151
نظرتُ وطَرْفُ	المتطاولِ	الصمَّة القشيري	157
حبَّذا الحجُّ	الرحالِ	ابن قيس الرقيات	84
وفرعٍ يُغَشِّي	المتعنْكلِ	امرؤ القيس	165
كلُّ امرىء مصبِّحٌ	نعلِه	أبو بكر الصديق	52

(م)

لقد هتفت	لنائمُ	نصيب بن رَبَاح	95
وتراهُنَّ في الهوادجِ	السَّهامُ	أبو دواد الإيادي	165
أحقّاً ترى	والمعالمُ	سليم الزركلي	241
بَرِحَ الخَفاءُ	فبُعْلَمُ	سعيد بن عبد الرحمن بن حسان	95
وتراهنَّ في	السهامُ	أبو دواد الإيادي	172
فؤادٌ ما	اللئامُ	المتنبي	121
بانت لعينك	وهمومُ	محمد بن بشير الخارجي	156
فكأنَّ ظُعْنَ	حُزومُ	لبيد بن ربيعة	165
وحي على جنانِ	المخَيَّمُ	ابن الجوزي	144
اقرأ على الوشلِ	ذميمُ	القمقام الأسدي	106
أيا جبلَي	قدومُها	أسماء المُرِّية	26
قد سألتني بنت	أعلامُها	عمرو بن قميئة	38
بالخيفِ هاجتْ	سَجِما	الحارث المخزومي	155
طربت وشاقني	حماما	المتوكل الليثي	160
وجدت الفتى	وظالما	هرم بن حيان العبدي	22
ودار الهوان	كرما	ربيعة بن مقروم	21
لحى الله صعلوكاً	فهوَّما	الشيظم الغساني	24
خليليَّ هذا	وسقاكما	الأبيوردي	192
أراعي التاليات	سجاما	المتوكل الليثي	159
أيا خلتي وادي	جَنَاكما	وضاح اليمن	169
ودار الهوان	كرما	ربيعة بن مقروم	21

توالت عليَّ	بالهَمِّ	الصافي النجفي	229
أنكحها فقدها	أدمِ	مهلهل بن ربيعة	25
ولوعة بِتُّ	والسَّلَمِ	الأبيوردي	183
الدهرُ يعجبُ	الحُطَمِ	المتنبي	121
فيا راكباً إمَّا	وجورَمِ	عمرو بن أحمر	55
مزجنا دماً	للمراحمِ	الأبيوردي	181
دعْ عنكَ	التَّوَمِ	أحمد شوقي	238
إذا ما ذكرتُ	للهماهمِ	شاعر	38
قالوا غداة غد	راغمِ	شاعر	132
شرَّدْتني نوائبٌ	السهامِ	محمد بن عبد الصمد	129
وكانت أصبهانُ	عديمِ	أعشى همدان	87

(ن)

قد كنتُ	والحضَنُ	قعنب بن أم صاحب	200
الناس بالعيد	الحَزَنُ	الأبيوردي	180
لأرحَلَنَّ المطايا	أو عَدَنُ	شاعر	166
قد هاج قلبك	الشَّجَنُ	عمر بن أبي ربيعة	10
من كان يسأل	قَمَنُ	الحارث المخزومي	88 ,101
أين السُّلُوُّ من	ولا خُلَّانُ	أسامة بن منقذ	124
وإني لَمُفْنٍ	وهو كائنُ	قيس بن الملوح	82
بمَ التَّعَلُّلُ	سَكَنُ	المتنبي	120، 151
يا ربِّ عفوكَ	مجنونُ	عبيد بن أيوب	46
نظرت وللأدمِ	حنينُ	الأبيوردي	185
إذا نبا بكرم	أوطانُ	أبو الفتح البُستي	147
سقى مُزْنُ السحابِ	بالجوزجانِ	كثير بن عبد الله النميمي	62
ألا ليت شعري	القرائنُ	أبو قطيفة	83
ذكرَ البلاطَ	أوطانُهُ	عمر بن أبي ربيعة	11
وحَنَّتْ قَلوصي	حنينُها	الصمة القشيري	158، 162، 178
سلِّمْ على قَطَنٍ	قَطَنا	شاعر	39
يا نخل صيداء	وجيرانا	الصافي النجفي	229
على بغداد	المتنزهينا	الخطيب البغدادي	213
يشتاقُ كلُّ غريبٍ	الوطَنا	علي بن الجَهم	112

سكنٌ بالحِمى	مسكونا	عبد المحسن الكاظمي	224
لا ترغبوا إخوتي	حيثما كانا	شاعر	13
أهكـذا أنـا	والسَّكَنْ	أسامة بن منقذ	124
أنا جميل والحجاز	شجني	جميل بن معمر	11
جسمي معي	في الوطنِ	سفيان بن عُيينة لالهلالي	107
لا تنهَرنَّ غريباً	والمِحَنِ	شاعر	115
هيهات من أمةٍ	عَدَنِ	عمر بن أبي ربيعة	90
مَنْ للغريب	والحَزَنِ	الحسن بن مخلد بن الجراح	114
أرضُ العُذَيْبِ	أو حَضَنِ	الأبيوردي	189
البلَتنا بالحَزْنِ	الحُزْنِ	الأبيوردي	186
ما مثل بغداد	ما حبنِ	عمارة بن عقيل	205
وكيف أجيبُ	الرِّعانِ	شاعر	62
عسى بغداد	المعاني	عبد المحسن الكاظمي	222
ما اليومُ أول	وأحزاني	أبو تمام	109
ألا قد هاجني	جُاوبانِ	جحدر بن معاوية	160
ألا أيها البكر	لمغتربانِ	امرأة من بني أبان	27
لا يصرمنَّك من عزمٍ	وأوطانِ	إبراهيم الصولي	125
أسعداني يا خلتي	الزمانِ	مطيع بن إياس	169 . 168
أيها العاذلانِ	دعاني	شاعر	171
هل الزوراء تعلمُ	ما عراني	عبد المحسن الكاظمي	223
فكذاك الزمانُ	مؤتلفانِ	أحمد بن إبراهيم	171
غريب ولو ما بين	عالم ثانِ	الصافي النجفي	231
وأجهشت للتوباد	رآني	قيس بن الملوح	80
جعل الله	حلوانِ	حماد عجرد	171
جرح التغرب	النسيان	الصافي النجفي	229
وإني والعبسيِّ	مختلفانِ	طهمان بن عمرو الكلابي	85
طربتَ وشافَكَ	القافزانِ	الطرماح بن حكيم	94
فمن يكُ لم يغرض	غَرِضانِ	شاعر من بني كلاب	35
هوى ناقتي	لمختلفتانِ	عروة بن حزام	53
سِنِّي بروحي	التسعينِ	الصافي النجفي	228
هي المواطنُ	وتبليني	معروف الرصافي	226
إن من تهوى	الوطنُ	عمر بن أبي ربيعة	11
يا ابن الذي دان	المغربانُ	عوف بن محلم	68

فيا ليت شعري	المِحَنْ	ألأحد المغتربين	131
إذا نلتَ في	الوطنْ	البحتري، أو أبو نواس	126
هاج قلبي	اليمَنْ	العرجي	97
طلبُ المعاش	الوطنْ	علي بن الجهم	113
لهفي على بغداد	جُنَّهُ	علي بن جَبَلة	207

(ي)

خليليَّ في بغداد	باليا	علي بن محمد النيرماني	210
فدىً لكِ يا بغداد	وديارِيا	شاعر	242
وهل أترك العيس	الفيافيا	شاعر	162
أعنِّي على برقٍ	عنانيا	السمهري العكلي	158
أقَلِّبُ طَرفي	مراعيا	مالك بن الريب	156 ,59
أقول لأصحابي	بداليا	مالك بن الريب	159
عمت دوائي	مداويا	الشريف الرضي	194
غريبٌ بعيد	لا تدانيا	مالك بن الريب	77
ألا تسألان الله	والمطاليا	الصمة القشيري	67
ألا ليت شعري	النواجيا	مالك بن الريب	81
ولما تراءتْ	وفاتيا	مالك بن الريب	64
تذكرت من يبكي	باكيا	مالك بن الريب	59
أذقني طعمَ	بنانيا	عبيد بن أيوب العنبري	41
ولي هِمَّةٌ أدنى	والنُّهى	شاعر	133
وسرحةٍ برُبا نجدٍ	يرويها	الأبيوردي	190

الكتب الصادرة للمؤلف

(1) الإسلام والشعر.	مكتبة النهضة، بغداد 1964.
(2) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه.	مكتبة النهضة، بغداد 1964 مؤسسة الرسالة، بيروت ،1981 ،1983، 1998.
(3)ديوان العباس بن مرداس السلمي.	وزارة الإعلام، بغداد 1968 مؤسسة الرسالة، بيروت 1992.
(4) الجاهلية (مقدمه في الحياة العربية لدراسة الشعر الجاهلي)	مطبعة المعارف، بغداد 1968 دار القلم.
(5) شعر النعمان بن بشير الأنصاري	مطبعة المعارف، بغداد 1968 دار القلم، الكويت 1985
(6) شعر عروة بن أذينة.	مكتبة الأندلس، بغداد 1970، دار القلم، الكويت 1981، 1983.
(7) لبيد بن ربيعة العامري.	مكتبة الأندلس، بغداد 1970
	دار القلم، الكويت 1981
(8) شعر المتوكل الليثي	مكتبة الأندلس، بغداد 1971
(9) شعر الحارث بن خالد المخزومي.	مطبعة النعمان، النجف 1973، دار القلم، الكويت 1983
(10) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه.	دار التربية ، بغداد 1972، مؤسسة الرسالة بيروت 1997، 1982، 1985، 1990،1995، 2000. جامعة قاريونس، بنغازي1993

(11) شعر عبدة بن الطبيب.	دار التربية، بغداد 1972
(12) شعر عبد الله بن الزَّبير الأسدي.	وزارة الإعلام ، بغداد 1974
(13) شعر أبي حية النميري.	وزارة الثقافة، دمشق 1995
(14) شعر عمرو بن شأس الأسدي.	مطبعة الآداب، النجف 1976 دار القلم، الكويت 1983
(15) شعر عمر بن لجأ التيمي.	مطبعة الحكومة، بغداد 1976 دار القلم، الكويت 1981.
(16) الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العرب (ترجمة عن الانجليزية)	منشورات جامعة بغداد 1976
(17) ديوان الطغرائي(بالاشتراك)	مطبعة الحكومة، بغداد 1976 دار القلم، الكويت 1983
(18) شعر هدبة بن الخشرم العذري.	وزارة الثقافة، دمشق 1976 دار القلم، الكويت 1985
(19) أصول الشعر العربي . د. س. مرجليوث (ترجمة عن الإنجليزية)	مؤسسة الرسالة، بيروت، 1978، 1981،1988جامعة قار يونس، بنغازي 1994
(20) عبد الله بن الزبعرى حياته وتحقيق شعره	معهد المخطوطات العربية، القاهرة 1978 مؤسسة الرسالة، بيروت 1981
(21) كتاب المحن لأبي العرب التميمي. (تحقيق)	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983 الطبعة الثانية 1988، الطبعة الثالثة 2006.
(22) ديوان أحمد بن يوسف الجابر. (الاشتراك) دراسة وتحقيق .	مركز الوثائق، جامعة قطر 1984
(23) الزينة في الشعر الجاهلي.	دار القلم، الكويت 1984
(24) قصائد جاهلية نادرة. (دراسة وتحقيق).	مؤسسة الرسالة، بيروت 1982، 1988

(25) شعر خداش بن زهير العامري. (دراسة وتحقيق) .	مجمع اللغة العربية، دمشق1976
(26) الأقوال الكافية والفصول الشافية (في الخيـــل) للملـــك الرســـولي (تحقيق)	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987
(27) الملابس العربية في الشعر الجاهلي .	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1989
(28) كتاب الردة للواقدي. (تحقيق)	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990
(29) كتـــاب الفاضـــل في صـــفة الأدب الكامل للوشاء (تحقيق).	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1991
(30) منهج البحث وتحقيق النصوص .	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993
(31) الخط والكتابة في الحضارة العربية .	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993
(32) أمـــالـــي المـــرزوقي. (تحقيق)	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995
(33) المستـــشرقون والـــشعر الـــجاهـــلي (بين الشك والتوثيق).	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997
(34) الكتاب في الحضارة الإسلامية.	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998
(35) كتاب المنتخـــل للميكالي. (تحقيـق)	دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000
(36) محمد بن عبد الملك الزيات . سيرته. أدبه. تحقيق ديوانه	دار البشير، عمان 2002
(37) المحاضرات والمحاورات للسيوطي. (تحقيق).	دار الغرب الإسلامي، بيروت 2002
(38) محن الشعراء والأدباء ومـا أصـابهم مـــن الـــسجن والتعـــذيب والقتـــل والبلاء	دار الغرب الإسلامي، بيروت 2003

(39) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. لأحمد بن فضل الله العمري (تحقيق) المجلد العاشر.	المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة 2003
(40) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. لأحمد بن فضل الله العمري (تحقيق). المجلد الرابع والعشرون	المجمع الثقافي، أبو ظبي الإمارات العربية لمتحدة. 2004
(41) الشعر الإسلامي والأموي.	دار البشير، عمان 2005
(42) الغزل العذري.	دار البشير، عمان 2005
(43) المجموع اللفيف (تحقيق). للقاضي الأفطسي الحسيني	دار الغرب الإسلامي بيروت 2005
(44) مجالس العلماء والأدباء والخلفاء. مرآة للحضارة العربية الإسلامية	دار الغرب الإسلامي بيروت 2005
(45) بيت الحكمة ودُور العلم في الحضارة الإسلامية	دار الغرب الإسلامي بيروت 2006
(46) الحنين والغربة في الشعر العربي	دار مجدلاوي _ عمان 2008

Nostalgia and Expatriation in the Arab Poetry

Nostalgia is one of the basic instincts found both in man and animal. This phenomenon is seen in camels' nostalgia for their homelands and the place they live in. This can be seen also in birds' nostalgia when taken away from their nests, and whatever this period was. Birds go back to their nests and camels return to their homeland traveling for hundreds of miles or even thousands of miles just for finding their souls in their homelands. This can be said to all other animals such as dogs and cats. Dogs even have more nostalgia and more loyal than other animals. If this is the case for animals, what can be said for human beings? Human beings have greater nostalgia for their homelands even if they suffered in it. Human beings feel nostalgia for their homeland even if they were living in hunger, misery and tyranny in it. The most obvious evidence for this is expressed by the immigrants to the New World, who made a fortune in this New World; nonetheless felt that they were lacking something: this was their nostalgia to their homelands. They became rich, powerful and reached high classes in the New World, but feeling nostalgia to their homelands and feel sorry if their homelands suffered from aggression, injustice tyranny and catastrophes. Homeland has captured the mind and soul of those who lived away from their homeland. Arabic authors have written a lot about this issue.

Nostalgia is a human phenomenon, not restricted to any particular people or nation. Nostalgia is found in the soul of every human being. But one can say that this phenomenon is more obvious among Arabs as the Arabic poetry has recorded this phenomenon from the early stages of the Arabic history. Arabic poetry from Al- Jahilia(dark ages in the Arabic history) until our time has focused on this important issue with a little difference between the urban areas and the Bedouin areas. This study addressed nostalgia and expatriation in the Islamic and Arabic culture since Al- Jahilia until our times.

In this book, the study focused on some issues while studying the most important phenomenon related to these issues, represented by the following:

Studying nostalgia and expatriation, and the ancients' opinions about this issue while focusing mainly on word and meaning. We also tried to identify the most important books addressing nostalgia and expatriation, identify concept of expatriation and alienation and the features of both these concepts during the different eras (from Al-Jahilia until the modern ages). We studied nostalgia as a general term and the causes that make persons leave their homeland in each period, then clarifying the sufferings caused by the nostalgia and how poets described this phenomenon, especially pauper poets who suffered several kinds of alienation such as: color, belonging and the refusal of the society at that time for thieves and bandits. Some poets have expressed their deep nostalgia when they were dying and when realizing that the moment of

death has approached whether the poet was dying between his own people or whether he was dying away from his homeland, or dying while traveling or in the war. Lineation suffering was obvious among the soldiers who were fighting in the Islamic armies away from their homelands. These soldiers spent months or even years away from their homeland and some of them were not able to return to their homeland for several reasons. A woman who marry a man out of her own tribe also suffered nostalgia or her husband leave her alone for several months. Some women felt nostalgia because they changed their way of living when marrying a man out of their tribe: changing way of life from Bedouin to city life. Some of these women have even mourned for leaving their tribes and for having to live in other tribe.

The study also addressed the case of some of the immigrants who had to leave their homeland for one reason or another, who started to feel nostalgia for their homelands and who started complaining from the hardships of expatriation. They expressed their feelings by writing poetry and some of the most known proverbs and wisdoms addressing this issue on walls and buildings in the expatriation countries. This was some kind of relief for them as it was a kind of expressing of what the immigrant feels of nostalgia and hardships in the expatriation countries.

Returning to the nature and the life, there are some kinds of simulations for expatriation and nostalgia. These simulations motivate the poets create in them the need for expressing their feelings using poetry. For example, tears dropping from one's eye, wind blowing from the homeland or from the side in which the homeland is located simulates the person to express his feelings of expatriation and nostalgia. Lightning in the sky which comes from the side in which the homeland is located is another kind of simulation. Stars that the person watches in the sky are also a simulation for that person to start thinking of his own homeland. These stars remind him of his people and beloved ones in his homeland. When he contemplates in the stars and his eyes meet the eyes of his beloved, which motivates in turn the person to think of his beloved ones. Pigeons are another kind of simulation for nostalgia. Pigeons' cooing makes the person feel tired reminding him of his hardships and suffering in the expatriation countries. The person feels that these pigeons share him his hardships and sufferings.

Camels feel nostalgia for their homelands like human beings. They turn their heads towards their homelands, thus making its owner feel expatriation and nostalgia himself. Palm trees were always linked with to expatriation and nostalgia. They were always a symbol for expatriation and nostalgia and they motivate feelings of expatriation and nostalgia in the person. In some countries, where palm trees are very rare, and in these countries there were some famous palm trees who witnessed some of the most famous poetry said in expatriation and nostalgia in Arab history. For example, Murran, Karman and Al- Rassafah

palm trees in Al Andalusia were an eye witness of Abdel Rahman Al- Dakhel who said one of the most beautiful poetry in expatriation and nostalgia. Caliphs and poets have made songs and poems about Hilwan tow palm trees.

Location was an important element in the poems written by different poets. Najd, for example, was one of the most distinguished locations in the hearts and souls of Arabs. They said and wrote poems about the land, nature and beautiful women. They expressed their nostalgia and longing towards these homelands. Many poems have mentioned Najd and Al- Hijaz in the different time periods. We have mentioned and listed such poets as they represent an important aspect of nostalgia and longing in the Arab poetry.

The study concluded with mentionir.g the most important poems said in expatriation and nostalgia about Iraq, land of richness luxury and civilization. Poets in different time periods, and even from the Abbasids era, have expressed their nostalgia. In the time being, poems have expressed their expatriation and nostalgia to Iraq. These poets have addressed the beauty and civilization of Baghdad. They wrote several poems talking about luxury and richness in this great city.

Professor Yahia Al Jubou ri